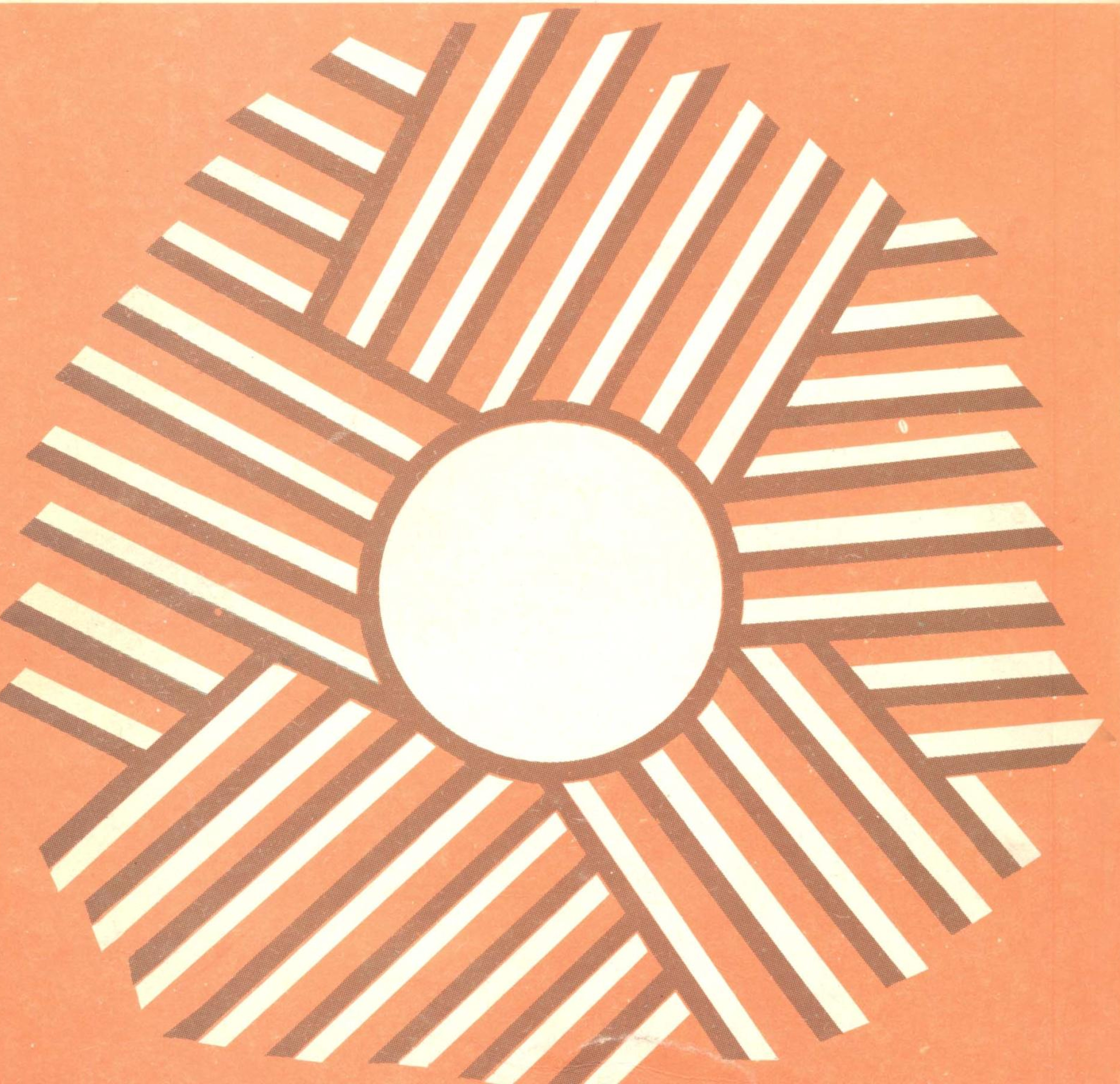
الآداب الأجنبية

العدد ٣٢

السنة الثامنة ـ آب ١٩٨٢

مجلة فصلية تصدر عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق



الآداب الأجنبية

مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب العرب

العــدد ٣٢ ـ السنة الثامنة ـ آب ١٩٨٢

الادارة : اتحاد الكتاب العرب ـ دمشق ـ أوتوستراد المزة ـ
مقابل بستان الطلائع ـ هاتف ٨١٦٢٣٣ ـ ٨١٦٣٤٩ ص · ب ٣٢٣٠

تصميم الغلاف : نذير نبعه

* جميع المراسلات تكون باسم رئيس التحرير .

* تتوجه رئاسة التحرير الى الادباء والمترجمين في الوطن العربي لتزويدهـــا بمواد مترجمة من الادب العالمي في مجـالات القصة والشعر والمسرحية والنقد والبحث الادبي ، وتقديم او تلخيص الكتب ذات الشهرة والفائـدة الفنيـة والفكريـة . ويرجى من الاساتذة الذين يرسلون المواد المترجمـة ان يرفقوهـا بالاصل ، من اية لغة كانت ، او الاشارة الى مرجعها اذا كان مشهورا . والمعذر الادارة عن اعادة هذه المواد سواء نشرت او لم تنشر .

هذا العدد

بقلم: رئيس التحرير

ان تحاول مجلة متواضعة الامكانات مثل « الآداب الأجنبية » الجمع بين الفنى والأصالة والتنوع والتوازن فيما يتصل بالتيارات والبلدان والأجناس الأدبية ، ذلك أمر يسارع المناطقة الى وصفه بأنه غير معقول أو هراء أو ضرب من الخيـــال .

ولكن ، نحن الذين ابتلينا بالحرفة ، نحن ـــ أهل الأدب ـــ الذين نصبنا انفسنا بانفسنا ضميراً للانسان وللعالم وللشعب وللعصر ، لايمكن أن نقبـــل املاءات المنطق ، لأن المنطق كان وما زال وسوف يظل مقتلنا الذي نؤخذ منه .

براءتنا ، كانت وتظل ، خيالنا ودأبنا . وفي العدد الحالي نقدم مادة ، هي دون طموحنا بكثير ، ولكننا لسنا مستائين منها ولايندى جبيننا خجلا لذكرها .

حاولنا فيها أن نقدم شيئاً جديداً فكانت مقطعات الشاعر الباكستاني الكبير فايز أحمد فايز التي أعطيت خصيصاً (للآداب الأجنبية) وقام الشاعر نفسه بترجمتها من الأوردية الى الانكليزية وتولى رئيس التحرير ترجمتها الى العربية راجياً أن يكون في محاولة التناوب بين الترجمة الشعرية والترجمة النثرية محرّضا لاستثارة آراء القراء .

وفي العدد كذلك شعر وقصة ومسرح ودراسات ومرصد أدبي . وقد

روعي التنوع مراعاة شديدة لكي تكون (الآداب الأجنبية) منبراً مفتوحاً لكل ادب ينفع الناس أو يستهويهم .

وسوف يكون العدد التالي عدداً خاصاً بالأدب الياباني قديمه وحديثه ، شعره ونثره . والباب مفتوح أمام الجميع للاسهام الخيّر المثمر .

ولن يسرنا شيء في الدنيا مثلما يسرنا أن نسمع من قرائنا الأعزاء بعض ما يكون لديهم من صدى لمحاولاتنا . وبغير هذا الصدى نخشى أن تلتبس علينا الطريق .

دمشق ١٩٨٢/٦/٢

الدكتور حسام الخطيب

شـــعر

. تألقـــات في دمشـــق

للشاعر الباكستاني : فايز أحمد فايز

ترجمـــة : د. حسام الخطيب

.. ماريو لوزي : الشعر نوع من العبادة

حوار : فيليب رونار

ترجمة : ابو بكر العيادي

... نفحات من الشعر النسوي الفيتنامي

ترجمة : عبد اللطيف الارناؤوط

تألقات في دمشق

للشاعر الباكستاني : فايز أحمد فايز   ترجمة : د. حسام الخطيب

العنوان من عندي لم أستشر الشاعر بشأنه ، وربما لم يكن دقيقاً جداً ، وربما كان فائضاً لا لزوم له ، ولكنني أفترض أن فايز سيحب هذا العنوان وسيقره لانه يحب دمشق ويرخي أعصابه فيها ويضحك من قلبه كطفل لايعرف حتى خبث الأطفال .

قصة هذه القصائد أنني طلبت من فايز حين أمّ دمشق في شهر أيار الماضي للمشاركة في ندوة « أدب المسرح الاسيوي الافريقي » أن يزودني ببعض قصائد جديدة لنشرها في الآداب الاجنبية ، وشغلتني شواغل عن رؤيته بعد ذلك ، ولكنه لم ينس وعده وترك لي هذه المقطعات الثلاث الجميلة بعد أن ترجمها من الاوردية الى الانكليزية ومعها (اللفتة) التالية :

> عزيزي الدكتور الخطيب
>
> اليك ترجمة حرفية بعلية لبضع مقطعات جديدة ، ولست متاكداً من انها يمكن ان تبدو شعراً في الترجمة ولكن ربما كان في مقدورك اجراء التحسين الضروري في الترجمة العربية .
>
> فايز فايز

يافايز

كلامك مشع مثل الجوهر الاصلي ، لايحتاج الى تصنيع ولاصقل ، ولايزيده (السقي) رواء ، ولايسلبه البعلُ نضارته • وكيفما يكون يكون ـ كما قالوا •

وعلى ذلك أحببت قصيدة « أسرى الحب » واهتززت لها اهتزازاً لم أجرب مثله منذ زمن • وسمحت لنفسي أن أقدم لها ترجمتين : الاولى نثرية والثانية شعرية • وسوف أترك لقراء (الآداب الأجنبية) الرأي بشأنهما بل أدعوهم الى ذلك • كما أنني أنشر نص ترجمتك الانكليزية لقصائدك ، ليس لأنها جميلة فحسب بل لأنها أيضاً جديدة لم تنشر •

ولك شكر (الآداب الأجنبية) ، هيئة تحرير وقراء ومناصرين •

حسـام

LOVES CAPTIVES

Fayez Ahmad Fayez

Wearing their necklaces of the hangman's noose
The singers continued to sing
Jingling the ankle bells of their fetters
The dancers made merry with their dance

We who were neither in one group or the əther
Stood by the roadside and looked on them

Enviously
Weeping silent tears

Returning home we saw
The bright red of all the flowers
Bad sickly pale.

And in our side where there was a heart
Now there was only pain.
Round our necks we kept imagining
The feel of the hangman's rope
And round our feet
The dance of chains

Then one day love came and like the others
Bound and shackled
Dragged us into the same caravan.

أسرى الحب

(ترجمة شعرية)

لبسـوا من حبل الشانق أطواقا
وعقـود
ومضى كل مغن يشدو
ويجيد
هزوا أجراساً
تتدلى مـن أطواق الخلخال

ومضى كل يرقص رقصا مرحـا
ويزيـد
أمـا نحن
فكنا خارج هذي الجوقة أو تلك
ورميناهم بعيون حاسدة حسرى
وذرفنا دمعا مغلولا بالصمت
وشرعنا صوب رصيف الدرب
نحيـد

□ □ □

وسلكنا الدرب الى منزلنـا
والدرب بعيـد
وطوال الدرب رأينا أزهارا
مرضى
شاحبـة
تخلع نضرتها
وتميـد
ومكان القلب من الجسم لدينـا
طفحت
أمواج من ألم تترى
وتعيـد
وأخذنا نتخيل

هزة رقص القيد على الأقــدام
ملمس حبل الشانق حول الجيد

□ □ □

وأخيراً في أحد الايــام
حط علينا الحب
كما حط على تلك الأقــوام
ورمانــا
في الأغــلال الى الاذقــان
وغدونــا
جزءاً مــن قافلــة الأيــام

□ □ □

أسرى الحب

(ترجمة نثرية)

لبسوا من حبل الشانق أطواقاً لرقابهم
ومضى المغنون يغنون
هزوا أجراساً تتدلى من جنبات
القيود في كواحلهم
ومضى الراقصون يرقصون مرحين

□ □ □

ونحن الذين لم نكن من هذه
الفئــة أو تلــك
وقفنا على قارعة الطريق ونظرنا اليهم
نظــرة حسد
وذرفنا دموعا صامتة
وفي طريق عودتنا الى منازلنا
رأينا تورّد كل الأزهار
ينقلب الى شحوب ذابلٍ مريض
وفي ذلك الجنب منا الذي يكمن فيه القلب عادة
لم يبــق سوى وخز الألم
وحول أعناقنا بقينا نتخيل
ملمس حبل الشانق
وحول أقدامنا
هزة رقص السلاسلْ

□ □ □

ثم في يوم من الأيام وفد الينا الحب
كالآخريــن
وجرّنا الى القافلة نفسها
نرسف في القيــود

QUATRAIN

During our appointed time we passed
through the transitory world
Bearing the night in our eyes and
carrying the sun in our hearts
At our appointed time we appeared
before the Almighty
With a hymn of praise on our lips
and a glass of wine in our hands.

رباعيــة

خلال الوقت المحدد لنا
عبرنا الى العالم الانتقالي

نحملُ الليلَ في عيوننا ونحملُ الشمس في قلوبنا

وفي الوقت المحدد وقفنا أمام (الجبار)

وعلى شفاهنا تتردد ترنيمة مديح
وفي أيدينا كأس من خمر

LYRIC

Today once again in the threat of Sorrow and pain
I wore the flowers of your thoughts
From the waste land of your love
I picked the flowers of months and years of our friendship
And drapped them over your threshold
Today once again I brought to the shrine of your memory
Wrapped in my longing
An offering of the ashes
of days of seperation and flowers
of the nights of love.

غنائيــة

اليوم ، مرة ثانية ، من خيوط الأسى والألم
لبست أزهار أفكارك
من خراب الحب الذي انتهى
التقطت أزهار شهور
صداقتنا وسنيها
وألقيت بها على أعتابك

واليوم ، مرة أخرى ،
حملت الى حرم ذاكرتــك
تقدمة مزدوجة
ملفوفة بالأشواق :
رماد أيام الفرقــة
وزهــور ليالي الوصــال

ماريولوزي:
الشعر نوع من العبادة

حوار: فيليب رونار ترجمة: أبوبكر العيادي

بالنسبة الى ماريو لوزي احد الشعراء الايطاليين العظام الذين ما زالوا على قيد الحياة ، قول الشعر هو الطريق الوحيد لتجنب الانسحاق بتفاهة الاحداث اليومية .

يعتبر ماريولوزي واحدا من أكبر الشعراء الايطاليين الاحياء . والافواه تهمس باسمه كلما اقترب موعد جائزة نوبل . تعبر طريقته الادبية عن بحث شعري جوهري له صلة وثيقة بشعر القرن العشرين الرائع .

ولد ماريولوزي سنة ١٩١٤ . عاش الفاشية والتحرر والانفجار الاقتصادي ، والازمة الراهنة دون أن يتخلى عن ترجمة علاقته بالعالم — في أبيات كثيفة ونادرة ، وهو أمر صعب أحياناً . تكون في تيار الشعراء الملقبين بالهرمسيين ، هذا التيار الذي جمع في الثلاثينات متمردين على النظام . وهو ينتمي الى الجيل الذي يلي الاربعة العظام : صابا ، انجريتي ، مونتالي وكوازيمودو . في بداية الستينات كان الظن ان الشعراء الطليعيين الجدد (مجموعة الـ ٦٣) سيجعلونه شيخا بصورة نهائية. ولكنه ظل صامدا بعدهم .

طويل القامة ، ذو وجه بارز التقاطيع اترودي★ يبحث عن كلماته وهو

★ نسبة الى اتروديا التي كانت تقع قديما غربي ايطاليا .

يتحدث بتأن عن حفنة المجاميع الشعرية التي هي حياته وحياة ايطاليا خلال نصف قـرن .

س ـ انت مولود بكستالو ـ قرية صغيرة قرب فلورانس ـ عام ١٩١٤ . حدثنا عن احساساتك الاولى ، عن الصور الاولى في حياتك ..

ج ـ كان للضاحية نفس الوضع الغامض الذي هي عليه اليوم مع انها لم تلحق بعد بالمدينة الكبيرة . هناك قسمـان مفصولان عن بعضهمـا تماما : في السهل ، ضاحية صناعية مع الطـابع المؤقت الـذي يستلزمه هـذا النوع من الانشاء ، وعلى التل منازل فخمة وقصـور امراء .

صوري الاولى تمركزت على الفور في عالم منتهك ، في ظل قانون مخروق . اتذكر الجرحى العائدين من الجبهة ، الذين يودعون في تلك القصور التي تحولت بالمناسبة الى مستشفيات ، ما زلت اذكر الضمادات الدامية . كان للحرب رغم بعدها اثر على كستللو لاهمية خطها الحديدي وكنت في الشرفات الاولى فقد كان والدي ناظر محطة الضاحية وحـين لا ارى بعيني كان والـدي يحدثني عن قطارات الجرحى التي تنتظر فوق سكك المستودع .

لقد قضيت هناك الاثني عشر عاما الاولى من حياتي واتيح لي أن اشهد اضرابات العمال الاولى ونهب الدكاكين مـن طـرف اناس طـال بهم الطوى ، والمناوشات الاولى مع الفـاشية . اتذكر كذلـك الصراعات الرهيبة في صلب المليشيا الفاشية نفسها . كنا نعرفهم جميعا في كستللو : لا زال سمعي يحتفظ بكنياتهم : سرو ، ابرة ... هي صور ـ في وجه من الوجوه ـ كانت تنذربكل ملامح هذا القـرن المتناقض والعنيف .

س ـ واقاربك ؟

ج ـ أولا هي ليست عائلة كثيرة العدد : ليس لي سوى اخت . بالاضافة

الى ذلك ، رغم اننا لسنا اغنياء ولا ميسورين فاننا نعيش أفضل من كثير من الناس . كانت أسرتي ملتئمة : كنا نتفاهم مع والدتنا بنصف الكلام . كانت امراة مرهفة الحس ، مولعة بالاوبرا ، بفضلها اكتشفت فيردي وخاصة بللسيني صاحب « لانورما » التي بدت لي دائما أكثر من ميلودراما ، كتراجيدية حق ، كانت وليدة التقاليد الليبرالية الايطالية : كان والدها مدير مدرسة وكان قارئاً مواظباً لـ « جريدة ايطاليا » . اما مع والدي فقد كانت الامور صعبة : فشدة تعلقه بالعائلة جعل نوعا من الشعور بالاضطهاد يخيم عليها حتى ان حبه يكاد يلامس العصاب النفسي . وكانت علاقاتي به ـ وهي صمت ثقيل أكثر منه اصطدامات ـ متوترة غالبا . كان يهتم من بعيد بالجدل الادبي المعاصر، ويقرأ « لافوتشي » والكتاب الذين يحومون حول المجلة : بويتسوليني ، بابيني، زيربارو ... منه سمعت هذه الاسماء الاولى .

س ـ كيف تم اللقاء مع الكلمات بالنسبة اليك ؟

ج ـ حين اعود الى ماضي البعيد الاحظ ان تحول حيويتي الى كلام ولغة هو حقيقة بيولوجية . كنت طفلا كالآخرين ولكن منذ السنة التاسعة أو العاشرة كنت أقطع اللعب فجاة لاخط مقاطع شعرية . كتبت كثيرا في « سيان » خلال دراستي بداية من السنة الثالثة عشرة ، في السابعة عشرة او الثامنة عشرة كان علي أن اختار : اماالفلسفة التي كانت تستهويني أو الشعر . وفاز الشعر. في السنة التاسعة عشرة أو العشرين كتبت القصائد التي نشرت في مجموعتي الاولى « القارب » الصادرة سنة ١٩٣٥ .

س ـ لقد شهد « القارب » النور قبل « وجدان الزمن » لانجريتي (١٩٣٦) وقبل « المناسبات » لمونتالي (١٩٣٩) وبعد اشعار كواكوازيمودو الاولى بقليل فكان ارهاصا للمحاولات الشعرية الاولى لاعضاء زمالة « الهرمسيين » اصدقائك ...

ماذا تمثل هذه المجموعة اليوم بالنسبة اليك ؟

ج ــ هناك نوعان من ردود الفعل تجاه هــذا الكتاب وخاصة ما يمثله : هناك من يجعله متفردا في نتاجي ، وهناك من يرى انه اساس كل ما أتى بعده. ولو كنت ناقدا بدوري لملت الى التفسير الثـاني . فهو كتـاب اكتشـاف : اكتشاف امكانية التعبير ، التعبير عن شيء جــديد : الوسيلة ، ايقاع الغناء ، ربما ما زلت موضع محاباة ، لأن شعري مزيج رواسب ينتظر التحام عناصره مستقبليا . فهو يكشف ذكريات عديدة هي اجتثاث عضوي من التقاليد الايطالية وكذلك الفرنسية ، فقد كان رامبو يفتنني في تلك الفترة .

الشيء المؤكد : اللغة ، التي قيل عنها انها متصفة وبتـرادكية ★ وغير مكثفة ، هي تعبير لا شعوري أكثر منه متعمد ، لارتداد الواقع الذي ليس أصليا بالمرة. كل ما يهم الادب يعارض الحقيقة الرسمية وجشع الفاشية في الاستحواذ على كل شيء لصالحها . ليس هنـاك ادب فاشي : كنت أجتمع مع اصدقائي لنعبر عن سخطنا ضد كتابات النظام ، ولنسخر منها في الغـالب . ان العالم الذي اعبر عنه ، الوثيق الارتباط بعالم أسرتي والتقاليد الكاثوليكية والوسط الريفي والشعبي ، هو عالم غير مباشر فيه يتوسط « أناي » في محاولة لفرض قيم غريبة جدا عن الايديولوجيا الرسمية الى درجة تجعلها غير معرضة للتهجم .

س ــ من هم أصدقاؤك في هذه الفترة ؟

ما هي الهرمسية ؟

ج ــ الهرمسيون المستقبليون بيجند جادي ، جاطــو ، بارنكي ، مكري

★ نسبة الى فرنشيسكو بتراكا المشــهورة باسم بترارك ، وهو شاعر ذو نزعة انسانية . ولد باريتزو في ايطاليـا سنة ١٣٠٤ وعاش في افينيون بفرنسا وتوفي عام ١٣٧٤ . من اعمالـه « المغنون » (١٣٦٦) و « الانتصارات » (١٣٤٢ ــ ١٣٧٤) . ــ المترجم

وكذلك رناتو بودجولي المترجم الكبير للادب السلافي (بوشكين بخاصة) وليوني طرافرسو الـذي عرفنا بهولدرلين .

بين البحث الشعري ومصطلحه النقدي ينشأ ميدان تبادل وروابط متينة، لا يتحول أبدا الى مدرسة بقوانينها واوامرهـا المفروضة . فبينما يبحث كل واحد منا عن نفسه وله مشاريع تنتظر الانجاز كانت هنـاك حزمة من قوى متضافرة « الهرمسية » تخمر في منـاخ ملائم . يبدو لي من الصعب أن أحدد مواضيع مشتركة وحركات متمـاثلة ، أبعد او ادنى من هـذا التعريف الثقافي والوجودي . ان ما يحركنا في الاعمـاق ، اسطورة كلية قـدرة اللغة . ثم أن « الهرمسية » هي أيضا شبابنا !

س ـ هل جعلت « الواقعية الجديدة » « الهرمسية »★ في ازمة ؟

ج ـ حين ظهرت « الواقعية الجديدة » كانت قوة « الهرمسية » وسحرها الفتيين قد نفدا . في الحقيقة أقمنـا مقام واقـع لم نستطع قبـوله أو حتى معارضته ، واقعا آخر : الكلمة ، اللغة ، تمديد الحي من خلال الخيال . لانه ليس من الممكن في الادب معارضة الفاشية ، لا يمكن الا انكارها . حين هوى هذا الجدار بدأ اقتراب آخر من الواقع : لقد وفرت الحرب أسبـابا أخرى مختلفة عن بواكير « الهرمسية » ، وابعدتنـا الآلام التي خلفهـا الصراع عن مواقع انطلاقنا . وعبرت ، أنا ، مثل الآخرين عن هذا التطور في « قدوم ليلي » (١٩٤٠) وبدرجة أكبر في « النخب » (١٩٤٦) وهو طبعا نخب مأتمي .

فالواقعية الجديدة اذن أصابت لحسابها الخاص شيئاً سبق ان اثار ـ لا اقول تدميره الذاتي ـ وانما تحوله الجذري .

★ الهرمسية لفظ مرادف لكلمة الكيميـاء السحرية لاعتقاد اليونان أن هرمس هو مبدع هذا العالم والمقصود بالهرمسية في الادب التعمية والاغلاق . ـ المترجم

ومن جهة أخرى فقراءاتنا ، على عكس الواقعيين الجـدد (بافيزي ، فيتوريني ...) لم تكن للامريكان : كنا نفضـل عليهـم هـو فمنستال ، مالرميه ، ريلكه ، كافكا ، اليوت ، باوند . فقد كان هنـاك ما يمكن أن يسمى بالشعر الاوربي : تلك الموضوعات التي تضع المعاصرة في الحسبان . ليس ظناً منا بامكانية ترجمـة الشعر وتحـوله من لغة الى أخـرى دون أن يفقد حرارته ــ نحن نؤكد بالعكس جوهريـــة اللغة ، الميزة الخلاقـــة لجذور لسان قومنا ــ ولكننا ننتمي كلنا الى نفس العالم .

س ــ انت رجل حصيلة مثل بازوليني . في سنة ١٩٦٠ اعدت نشر أعمالك الكاملة تحت عنوان « حقيقة » . فهل ان ذلك تسجيل منعرج ؟

ج ــ انتظرت كثيرا قبل أن اجمـع كل نتاجي الشعـري الاول وعندما احسست ان وجهة نظري الى العـالم بدات تتغير وكذلك كيفيـة قرضي الشعر . نشرت سنة ١٩٦٠ حصيلة خمس وعشرين سنة من العمل : ٢٧٠ صفحـة .

س ــ ولكن الطليعة الجديدة تتصدر السـاحة في الستينـات : كيف تم التوفيق بين راديكالية بحثك وتحـدي الشعر الجديد ؟

ج ــ لم يكن هناك خصام مع « مجموعة الـ ٦٣ » و «مجموعة الـ ٧٠» الفلورنسية التي تولدت عنها ، فقد كانت العلاقـات معدومة . ورغم ذلك فاني اشعر ان مشاكل الطليعة هي مشاكلي : هذه الحـاجة الى قتل اللغة لتتولد من جديد ــ خصوصا اننا نشهد ازمة النسق الذي عليه رمزت لغة معينة ــ اغراء غالبا ما ينتـابني : ولكني غريب تماما عن ممارسة الطليعة : المجموعة ، البيان ، الجلبة ، كل هذا ليس لي . نعم . ما يسمى بالايطالي Radicalità هو احسن مـا يعبـر عن بحثي الشعـري : القنـاعة ان

الاستفهام كلي دائما ، وان الخطـاب يستأنف دائمـا من الصفر ويجب أن ينتهي . لم أحد قط نحـو مراجعة الجزئيـات من نـوع « لم نعد نستطيع ممارسة الفلسفة اذن لنمارس علم الاجتمـاع » . في الشعـر لا أستطيع أن انتهج طريق « لعدم توافر الافضل » اما الكل او لا شيء .

س ـ نصل الى موسمك الاخير ومعه أجمل نص لك تقريبا « فوق اسس خفية » (١٩٧١) و « في لهيب الجدال » (١٩٧٨) هل لك أن تطلعنا ـ فيما يتعلق بهذين العملين ـ على منهبك الشعري للتحول ؟

ج ـ يجب الانطلاق من حدث داخلي : حتى في شعـر صباي ـ هذا النوع من الاستفهام أو التساؤل غير المستكمـل ـ اصطـدمت دائما تجدار الرثاء ، معنى زمن منته ، لن يدرك مرة ثانية ، وكمـال موضوع في الاصل بصورة مثلى ، فقد بدا لي الرثاء دائما بمثابة قفص . كنت أثور ، ولا اريد ان استسلم للمراثي . لم اكن اسـتطيع قبـول قـراءة قاصرة للعـالم ، قد تكون مؤلمة ولكنها سلبية في تقاليدنا التي ترجع الى بترارك .

في ذلك الحين اكتشـفت في مجلـة مقالا لعالم في الرياضيات ادخل فكـرة الزمن المعكوس الذي يصعدالى مبـدئه عـوض الانحـدار ، ثم كـان اللقاء الاساسي مع فكر تايلار دي شاردان . لقد أدرج ثانية المغامـرة الانسانية في تطور العالم ، الذي يعتبره خلقاً كمولاً يجب أن ينمو . ويركز على التطور المستمر ، وهذا يعني بالنسبة الي منفذا خارج وجه التوبة الاوغستيني .

عندها أحسست ا نوجودنا وحياتنا مندمجة في هـذا المدرج الشاسـع المتطور دائما والمتحول تدريجيا الى تلك النقطة « أوميجا » التي يتحدثعنها . فرضية حيوية بالنسبة الي : لا أستطيع الجزم ان اعتقادي يوافق اعتقاد تايلار. اعلم انه ساعدني على تقويض جدار طالما اصطدمت به . وجاء التفكير الهندي ،

الذي اكتشفته ايضا بفضل الرحلات ، ليدعم هذا التقارب الجديد . اذكر خاصة اوروبندو الذي احس بامكانية بجدل لا متناهية بين عالمنا الغربي التاريخي وهذه الذخيرة اللامحدودة من الايمان كجوهر للحياة التي تتميز بها الهند .

طبعا هذا لا يعني تبني عناصر ثقافة اخرى وانما محاورة ثقافتنا .

س ـ نحن هنا في المطلق ، اللا محدود ، ولكن كيف تتفاعل مع الحياة اليومية ؟

ج ـ ولكني اقبل هذا التعايش بين « اليوم المعاش » و « اللازمن » : في المدرج الاليم للتغيير ، « اليوم المعاش » هو الحصة ، النصيب ، جرعة الدواء التي يجب ان نشربها كتبت عن الارهاب ، عن مصرع مورو . يجب الاجابة عن الاشياء فورا : الواقع اليومي فترة معلومة ومعلومة أكثر حين نعيش في هذا الافق الاليم ولكن ليس باليائس ـ لتطورات الخلق .

س ـ ما يلفت الانتباه رفضك للتشاؤم المطلق الرائج في الادب المعاصر .

ج ـ هذا صحيح . دون ان اكون متفائلا ـ وكيف نقدر على ذلك ؟ ـ فانا لا اقدر أن اكون متشائما لان في ذلك جحد الامكانات الكامنة في العالم . فبقدر ما أثور فيوجه العالم المتعلق علىالرثاء الاستسلامي فاني أثور ضدالعدمية . لاأريد، مثل مونتالي ، ان اكون بنسبة ٥ ٪ لذلك كان أكثر الاوقات تحمسا بالنسبة الي هي فترة جان الثالث عشر : تلك الارادة للالتحام بعصره وقبول التاريخ وهذا الاعتبار للتجسد ـ هذه كلمة تروقني كثيرا ـ جعلتني اؤمن بكنيسة جديدة.

منذذلك الوقت غيرت لهجتي ، اريد ان افهم : لم اعد ارى هذا الدفع الجديد الذي طالما انتظرناه منذ زمن الرسالات : كثير من الاشياء تحجبها ، تهمشها ، تديونها .

ورغم ذلك فيجب أن اعرف نفسي كمسيحي حتى ولو حدث في الاجابة عن ايماني بوجود الاله . المهم ليس ان يكون موجودا ، بل أن المسيح حدثنا عنه ونحن بحاجة لان يزيدنا .

س ـ ما معنى ان يكون الانسان شاعرا سنة ١٩٨٠؟

ج ـ انها الحالة الوحيدة لكي لا تضيع في تراكم الاشياء التي تنشأ من فوضى عالمنا ، الضمان الوحيد لكي لا ننسحق تحت تفاهة الحدث اليومي . ولكن بشرط الا يقتصر الشعر على « الهنا » و « الآن » بل يلج آفاق التطورات والتحولات الايجابية . بالنسبة الي الشعر نوع من العبادة .

قصيدتان للشاعر الايطالي ماريولوزي

ايـة راحـة ؛ اي صخر
اضع عليـه رأسي ؛ لا شيء ،
لا صخر ، ولا مكان
لا مكانية بقائك • يجب
ان تكون . ان تكون دائما ولهذا
روحا وجسداً على الدوام تحـرق ـ
ذاك ما قالتـه منقشعة
اغـوار السـبات

حيث يبحث عن ماوى

والتي اسـتحالت لهيبا

وهـو لا يسـتدرك

كما يـريد ، ليس بعد –

حـتام ، والدي ،

اجبـني – الا اذا لم يكن سـوى كلـمي المسكين

فيشـع مشتتا متـناثرا في عالم تكاثـرت اجـزاؤه –

مثل الملـح ؛ – مثل الملح ومثل الدم .

اغلبـهم معلقـون كفوانيـس

وآخرون محفورون من الداخـل

هـكذا

يحـملون وجـههم

اعـني تلك الجـلطة السـوداء

من الحـنق الخـامد

يحـملونه ضدا .

اين نحن ؟ في اي زقاق من الجحيم ؟
قد يفقد المرء الحياة لقهوة شديدة الفتور
لنوبة سعال
مشبوهة بالتهكم .

القتلة

في كل مكان . السكين جاهزة ،
الرصاصة في الاتون . حان وقتهم
كما كان متوقعا ؟ — يصرخ
جزعي ، ابعد من نفسي
الى مجاهيل رسميين
عن اي خفايا السياسة ؟
لا يعطون جوابا ولكنهم
كذلك لا ينكرون .

نفحات من الشعر النسوي الفيتنامي

ترجمة : عبداللطيف الأرناؤوط

دوان تـــي ديـــام Doan thi Diem

اطلقوا عليها اسم « شاعرة النهر الاحمر » نظرا لحماستها واندفاعها في حب الوطن وحريته . وهي اخت الاديب الفيتنامي الشهير « ليان » .

كتبت قصائد كثيرة ..وجمعت القصص الاسطورية الصينية الكلاسيكية وقد نالت اعجاب الادباء المعاصرين وتقدير النقاد ..

وفي القصيدة التالية تناجي الشـــاعرة زوجها الذي غاب عنها في مهمة على حدود البلاد .. وقد علقت على كلماتها مصابيح المشاعر الزاخرة بالحب والاخلاص .. وهي تهمس بقصائدها في اجواء احلامها واما نيها .

١ ـــ وداع زوج مقاتـــل :

زوجي المنحدر من سلالة الأبطال
ألقى بالمحبرة والفرشاة جانباً
وحمـل القوس والسيف
أقسم أن يبيد أعداء البـلاد

ويحلم باستعادة القلعة الصامدة
ويجوب الأوديــة
ويتسلق الجبــال
ثم يسلم روحه ..

* * *

جلديده ..
قاس كجلد الحصان
يدفع الصخور أمامــه
كأنها زغب الطيور
في أعماقه .. طموح وشجاعة ..
ارتدى درعــه
قصيرة هي لحظة الوداع
سمعناه في رياح الخريف
وهو يهز سوطه فوق جسر « توي »

* * *

في أعمــاق الجســر
يجري الماء صافياً
حــول الجسر
الاعشاب مازالت طريــة

وعلى هذا الجسر
ودعني ٠٠ وتركني ٠٠
مع قلبي المحطم
ليتني كنت حصاناً ، اذاً لرافقته
ليتني كنت قارباً ٠٠ لأحمل الماء اليه
يجري الماء ٠٠ ويسيل
ولايستطيع حمل حزني
والعشب المعطـر
لن يبدد ألمي ٠٠
أسمعته أعذب الكلمـات
بينما كانت يدي تحضن يـده
وقبل أن نبتعد خطوة
توقفت ٠٠ وتمتمت :
الى أين أنت ذاهب ٠٠ أيها الأمير
سأتبعك كشعاع القمـر
وستنأى أفكارك عني
لتفتش فوق ذرى الجبـال
عن البطولة والفخـار

* * *

لا ٠٠ لم تفرغ بعـد
كأس وداعنا ٠٠
عندما لمحوك
كنت تمتشق الحسـام
وتوجه رمحك الى مغاور الحيوانات الكاسرة
تتحـدث الى الابطـال
عندما اصطبغ معطفك باللون الأحمر ٠٠
كألوان الغروب
كان لون حصانك أبيضاً
كالثلج الأبيض ٠٠

* * *

زوجي ٠ !!
تقرع الأجراس وتدق الطبولُ ٠٠
وتتلاحم الجموع
عند مفترق الطرقُ ٠٠
ثم انطلق أنا باتجاه طريقك فاقدة الوعي
أتأملَ خفق الألوية المبتعدة عني ٠٠

* * *

حان الوقت ..
وصلت الطلائع الاولى الى المعسكر
وانتشر الفرسان في الساحة ..
مع الجنود الأقوياء
ياأشجار الصفصاف على جانبي الطريق
هل أدركت الألم ..
الذي يمزق أحشائي

* * *

غدا صوت البوق صدى بعيدا ..
وامست الاعلام قطعاً من قماش .. تتمايل
وسار زوجي في طريق النجوم
فوق قمم الجبال ..
اني .. أحس بوقع خطواته ..
وقلبي يشتد خفقاناً ..
كلما فكرت به ..

* * *

اني أشفق عليك .. يازوجي ..
لتحميك الأقدار ..
لن يشد أزرك الا السيف وسرج الحصان ..

والريح •• تنظف السهول ••
وتقطع أشعة القمر رؤوس الجبال
مـرات عديدة ••
تهز رمحك •• وأنت ممتطي صهوة جوادك ••
تهاجم القـلاع المنيعة ••

* * *

ماأصعب اجتياز دروب المجـد
تهدر الجهود بلا راحـة ••
واحسرتاه •• !!
وحيدة أنـا ••
قابعة في زاوية غرفتي ••
وأنت •• وراء حدود الأفق
لايوجد أحد •• أبوح اليـه ••
بمتاعب قلبـي ••

* * *

زوجي •• أميري
انطوائي على نفسي
هو قدري كامـرأة ••
وقدرك أن تحيا على الدروب ••

آمل أن أقضي عمري بقربــك
كسمكة في حوض مــاء
لم أفكر في يوم ما ··
انك ستغدو غماما تتقاذفه الريح
وأنا الماء الذي لايستطيع اللحاق بك ··

* * *

لم أحلم أنني سأتزوج محارباً
لم أرض أن تسير كمسيرة « تيونغ تون »
الذي كان يسافر بلا أمل للعــودة
لمــاذا ··؟؟؟
فرقتنا الجبال والأنهــار
لِمَ البكـاء ··؟
منذ الصباح حتى المســاء ··
واحسرتاه ··

* * *

كلانا في ربيع العمــر
سعيد ·· نتقاسم الحب معا
أنا وأنت متلائمان ··
لماذا وجدت هذه المسافات

لماذا لم نتمكن من مشاركة بعضنا بعضاً
همومنا ٠٠ وأفراحنا كل يوم

❋ ❋ ❋

أتذكر يوم وداعنا ٠٠ !!!
لم يزقزق الطير فوق شجر الصفصاف
حين سألتك : متى ستعود ٠٠؟؟
أجبتني : عند نشيد النصر ٠٠
لقد شاخت الطيور
وأمام بيتنا يزقزق السنونو
أتذكر يوم ذهابك ٠٠!!
شجرة المشمش لم تفتح براعمها للريح
سألتك : متى ستعود
وعدتني :حين تزهر شجرة الدراق
لقد ذوت تلك الأزهار وسقطت
وبقيت الطحالب تملأ جوانب النهر

❋ ❋ ❋

كنا على موعد قرب جبال « لونغ تاي »
لم أشاهدك ٠٠ بالرغم من مجيئك صباحاً
كانت الأوراق اليابسة

تتســاقط على شــعري
وتنـادى العصافير بعضها بعضاً
عندما حددت لي موعداً على جسر « هام زينغ »
لم أر أثراً لك حين جئت ليلا
انتظرت والريح تداعب فستاني
بينما كان البحر يقذف الرمال على الشاطىء ٠٠

❋ ❋ ❋

كثيراً ٠٠ ما تلقيت الأخبار
لم ألمح زوجي ٠٠ ولم أسمع عنه أي خبر
والأزهار اليابسة ٠٠ غطت ساحة بيتنا
والأعشاب الخضر ملأت الجدران
انتابتني ألف فكرة
في كل خطوة أخطوها ٠٠

❋ ❋ ❋

تلقيت رسائلك
لكنك لم تعـد اليّ
ويوماً بعد يــوم
كانت الستائر تصفي نور الشمس

❋ ❋ ❋

أعود بذاكرتي الى الأيام المنصرمة
منذ بدأت تعد العدة للسفر
تفتحت ثلاث أوراق من اللوتس
واحسرتاه ...
اني أشفق عليها ..
وأنت تجر حياتك الى الحدود
وتحث السير في الطريق الوعرة ..

* * *

مَن لا تفيض مشاعره بالحب ..؟؟
أم .. وزوجة وطفل
يذوون بعيداً عنك
لك أم
تدغدغ الريح ذؤاباتها البيض
لك طفل
يحتاج الى رعايتك وعنايتك به
لك زوجة
تترقب خطاك على عتبة الباب
تنتظر وقت الطعام لتقدم اليها اللقمة ..
كولد بار ..
وحيدة أنا

أرعى أمك بالحب والاخلاص
وأعلم طفلنـا القراءة ..
تحت ضـوء القنديل

❋ ❋ ❋

وحيـدة أنا ..
أعالج أمك .. وأعلّم ولدنا ..
بعيـدة عنك
والمتاعب ثقيلة
أفكر بك ليل نهار
من الربيع الى الربيع
من الشتاء الى الشتاء

❋ ❋ ❋

كل عام يمـر ..
يذوي فيـه شـبابي
وأنت في بقاع بعيـدة ..
لقد كنت ظلي ..
وكنتَ ظلك ..
لم نحيا أبداً بعيـدين
بُعدَ النهار عن نجم الليـل

امتطيت صهوة الجـواد

وسرت في الدروب

التي جللتها الغيوم بسوادها

بينما سحبت حذائي

في دربنا القديم

وهبت نسمات الربيع

يا زوجي ·· يا أميري المعهود

لقد فاتتنا أيام عدة ··

* * *

أنا في مرحلـة ربيعيـة

تتفتح فيها براعم جمالي ··

آه ·· لو نستطيع أن نوقف عجلة الزمن

التي تدور وتمضي ··

أيها الحظ القاسي

أين ولّت أيامُ شبابي ··

قريباً ·· سأغدوا عجوزاً ··

وستزول مسـحة الجمال عني ··

* * *

سطح بيتنا ..
يغمره نور القمر
وأنا وحيدة .. أحلم بك ..
وفي الخيمة التي يكللها الزهر
لم يبدد الهواء شذاك
أتوجه الى السماء .. أتأوه
لقد تحطّمت السعادة ..
سأبكي مصيري
وليهزني الألم لأجلك ..

* * *

ألم تشاهد السنونو
أثناء فراقه لرفاقه
بينما بقيت الحشرات تعانق بعضها بعضاً
وترفرف العصافير بأجنحتها
وتتقارب أزهار اللوتس
وأغصان شجر الصفصاف ..

* * *

هكذا تحب الحيوانات
والنباتات ..

لم نفرض نحن البشر
الغرامة على أنفسنا ••؟؟
أرغب حياة مقبلة
الا نبتعد عن بعضنا
أن تتلامس أجنحتنا كالعصافير
ونتشابك كأغصان الأشجار

* * *

آه •• لو أستطيع أن أكون ظلا
لأتبعتك أينما تذهب
لأعرف كيف أساعدكَ في وضح النهار
وأقوم بواجبي نحوك ••
بكل كرامة وعزة واباء ••

* * *

ستغدو رجلا عظيماً ••
وستنقل اللوحات الرخامية
أسمك الى الأجيال
مع ألقابك الواضحة
سيفرح ابنك
وستفرح زوجك

أنا لست حمقـاء
انك لا تقل عظمة عن غيرك
حين تعود حاملا صولجاناً من الذهب
وأنا ·· فوق آلة نولي
سأشـكو ··
بل سأبكي ··

* * *

سأعلق معطفك
سأنزع درعك
وانفض عنهما الغبـار
واسكب النبيذ في أكواب ذهبيـة
لك يا زوجي ··
سأرتدي أجمل الثياب
وأتعطر بالروائح الشذيـة
لأجلك فقـط ··
أفتح منديلي ··
لترى آثار دموعي ··

* * *

سأنشد لك أشعاري ••
وأسمعك همساتها الحزينـــة
سنبقى وحدنـــا
لنبوح بأسرارنا ••

* * *

أجل •• سأملأ لك الكأس بالنبيذ
وأنشد قصائـــدي
ليتعانق الخمر والشعر معاً
سنعيش الى نهاية العمر معاً ••
وهذه الســعادة
ستغسل سنوات الهم والانتظار
آه •• كم سننعم بفرحة السلام ••
ولك يا زوجي ••
أنشد أشعاري الزاخرة بالعاطفــة
على أمل اللقاء القريب ••

* * *

نجوك هـــان Ngoc Han

١٧٧٠ ــ ١٧٩٩

هي ابنة الملك (هيان تونج) من منطقة هانوي ٠٠

أحبها والدها حبا جما ، مما جعله يعدها اعدادا علميا ادبيا رائعا ، تزوجت في السادسة عشرة من عمرها من زعيم قبيلة (تاي سن) الذي قدم من الشمال في عام ١٧٨٨ حيث ارتقى العرش ، فاسبغ عليها لقب (باك كونج هوانغ) أي ملكة قصر الشمال ٠ ماتت في التاسعة والعشرين من عمرها ٠ وظلت أمها ترعى طفليها خفية بعدموتها ، وما لبث ان قتل هذان الطفلان ومثل بجثتيهما بأمر من الملك (جيالونغ)

لقد تركت الشاعرة مؤلفات شهيرة منها :

ــ مرثيات الملك كونغ تريانغ

ــ دموع وحسرات ٠٠

□ □ □

دمـــوع وحسرات

الريح تحمـل الصقيع الى حجرتي

وأزهار الأوركيد تذوي على الشرفات

والدخان ٠ يجلل قبره

ما عدتُ ألمح ظل عربته الملكية ٠٠

فأنا وحيدة أندب حظي

أيتها السماء ·· !!!

كيف تقطعت عرى زواجنا ·· !!

لمن أبوح بألمي ··؟؟؟

لمن أشكو حزني العميق كالمحيط

الشاسع كالسماء ··؟؟؟

* * *

واحسرتاه ··

ألا ترحمني السماء

غيومها تحجب عني عربته

ما أقصر ما يطوي الزمن

الفرح والحزن ··

واللقاء والفراق

ما أقصر أيام العمـر ··!!

تركتني وحيدة لا سند لي

بعد ان تحطمت عرى حبنا

ألوب · أبحث عنك ليل نهار

* * *

لمن أبوح بالألم

انتظرتك طويــلا

حياتي بعدك حلم ..
أخرج منه أحيانـاً
لأعدو كالبلهـاء
كأني أشم عبير ثيابك
فأنبري لخدمتك يا سيدي
ولكن .. هيهات ..!!
القصر خـاو
وأنا وحيـدة
كعنكبوت ينسج بيته
نور القمر يلثم الأشجار
وشبحك يا حبيبي ..
يتنزه تحت مظلتـه
فتمهـل .. !!
اني لاحقة بك ..
ولكن . هيهات .. !!
لا شيء حولي الا العدم
يهمي دموعـه
وأنت في خاطري
والألم يعتصر قلبي
فما أقسى أن يكتب لنا الفراق
أما من رجوع من عالم الأشباح

علام يفرق الموت بين قلبين
لم تكتمل وحدتهما بعـد ٠٠

* * *

أيها الكريم المعطـاء
يا من كان حبك كالسـيل
يسقي تسع مقاطعات
يا جليل العمـل ٠٠
يا نبيل الخلق ٠٠
آه ٠٠ لو ان الخالق لم يقصر سنوات عمرك
آه ٠٠ لو أقدر على شراء ما نقص من أيامك
لافتديها بكل ما أملك ٠٠
واحزني ٠٠
أن يتساقط الندى فوق الرياض
وأنا أسقي بدموعي التراب
مخلصة لك العهد ٠٠

* * *

يعـود الربيـع بزهـره
فأكتم ألمي ولا أبوح به لأحد
وقد صممت أن الحق بك ٠٠

لا تردني عن عزمي
الجبال أو الأنهار
ولا يشدني غير حب أطفالك ..

* * *

أسرح الطرف شرقاً
حيث تتجه المراكب ..
فلا أرى غير سماء وماء
فيرتد بصري الى الغرب ..
حيث تمتد الأشجار بلا نهـاية
والى الجنوب ..
حيث يتجول الأوز البري
والى الشـمال ..
حيث يلف الضباب الغابة بكفن أبيض
أسبر أغوار الآفاق الأربعة ..
فلا أراك .. !!!
السماء كالهوة .. فأين أجدك .. ؟؟
أسعى اليك ..
فيباعد السعي بيننا الى الأبد
أتأمل نور القمر الخافت بحزن
نافع ضياءه الفضي غلالة من الغبار الرقيق

اذ يطالعني وجهي في المرآة ..
لأني حيـة وأنت ميت ..
تحطم حبي ..
فشردت وحيدة على الشاطىء ..
تحطم قلبي ..
فأين مواكبك بالأمس
ألمي يكبر مع الأيام
فاشهدي أيتها الشمس والقمر
اني لن أبوح بما أعاني

نجوين ثي هوي Nguyen thi Hui

من القرن التاسع عشر

ولدت في قرية ((نجي تو)) في ضواحي هانوي . تزوجت من رجل مثقف . كانت معلمة في الحرم الملكي .. وتتضـمن قصـائدها صـورا ماساوية حزينة تتناول هروب الزمن من مآسي الماضي .. ومن قصائدها :

١ ــ حسرات

لم يعبث الخالق بتشويش المسرح البشري
كم من نجم يحلق ..
وفصول تمر حافلة بالضباب

لم يبق الا أعشاب الخريف
تغطي مدارج العربات القديمة
وكانت جدران القصور الملكية من قبل
تشع بثريات الماء المتدفق
لكن الأمـواه اليوم حزينة كئيبة
للتبدل الذي حلّ
وقد أصبح قلبي مسرحاً
للحاضر والماضي
مرآة محطمة للقرون

* * *

٢ ــ حنين المســاء

يتلكأ آخر شعاع المســاء
في سـماء حائرة
ويمتزج ضجيج الحرّاس بصوت البوق البعيد
ويربط الصياد العجوز
مجدافه وقاربه في الشاطىء
ليعود الى قريته النائيـة
يسوق الراعي قطيعه
وتلاعب العاصفة أشجار البامبو المتعبة
فتهز أجنحة العصـافير

ويحث المسافر خطاه في الطريق
المحفوفة بأشجار الصفصاف النديـــة
سافر الفي الى البعيد البعيد
وأنا وحيدة في المنزل
فلمن أفتح جراح صدري ••؟؟
واحسرتاه ••!!

❋ ❋ ❋

٣ ــ عبــور

في شعب « ترنسفرسال »
تغيب الشمس
وينسج العشب والشجر
بساطاً منالزهر والصخر
وينحني الحطابون عند قدم الجبل
يحزمون ما حطبوا
أكواماً من القش •
على طرف النهر
قرب السوق ••
وتنق" دجاجة الماء محطمة القلب
فتجيبها الحجلة البرية
الراقدة قرب صغارها ••

رحت أتأمل عظمة السماء
والجبــال ··
والماء ··
ولكن ··؟؟
من لي بمن يسمع النجوى ··؟؟

❋ ❋ ❋

قصــــة

. المدبـــر

فيليبس براكوديدس

ترجمة : جورج صدقني

.. قاعـــة الفـــردوس

ويليـــام تريفـــور

ترجمة : محمود فلاحـــة

... ميجـــو

هامـــا سينغ

ترجمة : نظارب نظاريـــان

.... التمثـــال الثلجي

ناتانييل هوثورن

ترجمة : عصام صبري

المدبّر

قصة : فيليبس براكوديدس   ترجمة : جورج صهد قيني

كلمة عن الكاتب :

فيليبس براكوديدس كاتب يوناني ولد في العام /١٩٤٠/ ونشر عدة مجموعات من القصص القصيرة. وقد نالت روايته « نحو الفزينيون » ، التي نشرت في العام ١٩٨١ ، جائزة الدولة للرواية قبل فترة قصيرة . وهو يقوم في الوقت الحاضر بترجمة الاعمال الكاملة للكاتب الفرنسي (مونتيني) من الفرنسية الى اليونانية .

منذ سنوات وسنوات ، لست ادري كم سنة ، والعم بنايوتيس ، زوج العمة (ليلا) ، يعكر صفو حياتنا بتصرفاته . ولكي نجد له العذر ، ولكي نزيح عن كاهلنا عبئاً ثقيلاً ، كنا نقول ان الذنب ليس ذنبه ، بعد كل ما رأته عيناه . فلعل هذا أورثه شيئاً من الخلل في رأسه . وكان يعدّه أيضاً « مختلاً » أولئك الذين سمعوه يتحدث عن « المدبّر » ، وتعزز انطباعهم عندما قرؤوا في الجريدة مقالته الكبيرة ، التي أنكر فيها وجود الله إنكارا واضحاً ، وأعلن أنه اذا كان العالم موجوداً ، فما ذلك إلا لأنه يتحرك بفعل قوة ، بفعل نوع من « المدبّر » ، بحيث يوجد ـ من أدنى درجة الى أعلاها ـ نظام «يشمل ما يفوق القدرة على الفهم وبكلمة أخرى يشمل اللامعقول ، والخيال ، والحلم . وبه (باعتباره صورة الإنسان المثالية ومماثلاً له في الجوهر ، وكذلك لكل ما يتعلق بالانسان)

ينتظم المنطق ـ هذا البناء الهش الذي تلطمه الامواج بلا هوادة ـ ويرى النور» .

لقد كتب ايضا اشياء أخرى ، بعثت الرعدة في اوصال اكثر من واحد ، ولكن لم يبق من هذه المقالة أي اثر ، لأن حريقا نشب بعد الهزة الارضية الاخيرة ، والتهم كل شيء في قلب المدينة ، حيث كانت مكاتب الجريدة ومطبعتها . وقد استحسن بعضهم أن يطلق عليه لقب « المدبّر » ، ولكن هذا كان بالاحرى بدافع العداوة الشخصية ، حتى ان هذا لم يلق رواجا ، ولم يصبح اللقب شائعاً ، فطواه النسيان . لأن العم بنايوتيس كان إنسانا طيبا وبشوشا ، وكان جميع الناس يشعرون بالتقدير حيال البراءة البادية عليه ، والتي كان يعززها ـ على اية حال ـ كل ما راته عيناه .

ففي ذروة الحرب ، تم اعتقاله ، مع كثيرين غيره ، على ايدي الايطاليين الذين كانوا يحتلون جزيرتنا ، وشحنوهم جميعا في مركب كان يتعين عليه ان يحملهم كرهائن الى ايطاليا . غير ان المركب نسف بطوربيد في عرض البحر ، خطأ على ما قيل ، ذلك أن جماعتنا كانوا يجهلون انه ينقل مجموعة من مواطنيهم ، في حين أن رواية أخرى تؤكد أنه لم يكن هناك خطأ بل خلط ، طالما أن الآخرين كانوا يتوقعون نسف احدى المدمرات ، وهي كانت قادمة في طريقها بالفعل ، ولكن وراء المركب ، بعد أن أصيبت بعطب في آلاتها فخففت من سرعتها نتيجة هذا النسف غير الموفق في إصابة هدفه ان غرق مركب الرهائن على الفور ، ولم ينج منهم إلا اثنان أو ثلاثة . وكان العم بنايوتيس منهم . بقي الغرقى يومين على طوف عائم الى أن التقطتهم مدمرة للعدو ، ربما كانت هي المدمرة التي كانت تسير خلفهم . هكذا وصل العم بنايوتيس الى إيطاليا وحبس في معسكر للرهائن في منطقة فلورنسا .

ظلت العمة (ليلا) سنتين بطولهما ولا خبر . ساد الاعتقاد بأنه مات غرقاً ، فلبست السواد ، وكانت تذهب الى الكنيسة (يوم الاموات) ، فتشعل شمعة

على نية ذكراه . وفي اثناء هاتين السنتين كان زوجها قد تدبّر أمره وتعرف على امراة ايطالية ، وهذه اعطته ذات يوم أوراقا شخصية مزورة وساعدته على الفرار . زعمت السنة السوء انه تزوجها فضلا عن ذلك ، وانه رزق بطفل منها . ولكنه ، هو ، كان يكتفي ــ لدى سماعه هذا ــ بالابتسام . كانت العمة (ليلا) تقول : ما اهمية هذا كله ، طالما انه نجا بحياته ؟ ولو كان له طفل في إيطاليا ، هل كان يمكن أن يكون مستعجلاً العودة الى بيته الى هذا الحد ؟

والواقع انه جرى ــ فور فراره من معسكر الرهائن ــ الى المحطة ، واستقل القطار المتجه الى (برانديزي) . غير انه جرى تدقيق أثناء الرحلة ، فعدّت أوراق العم بنايوتيس مشبوهة ، فأوقفه الألمان ، وارسلوه الى معسكر اعتقال في بولونيا . ومن هناك أرسل الى روسيا ، حيث كان البرد قارساً فيما يبدو الى درجة لا تصدّق ، وفي نهاية المطاف حبس في معسكر (داشاو) .

كانت الحرب قد انتهت نهائيا عندما عاد الى الجزيرة هيكلا عظميا ، لاتعرفه العين ، برقم موشوم على ذراعه الايمن ، وعلبة قهوة تحت ابطه الايسر ــ هدية من الذين حرروه . وكانت تلك اول مرة نرى فيها قهوة مثل هذه القهوة ، فعندما علم النّاس في المدينة أن العم بنايوتيس قد وصل ، وأن الجميع يأتون ليشهدوا الحدث ، وأن العمة (ليلا) أحرقت ثيابها السوداء فرحاً في وسط الشارع ، وأنها نادت جاراتها لكي يفلّين (ينقين ، ينظفن) زوجها من القمل لانها لا تكفي وحدها للقيام بذلك ، طرح الناس اسئلة عن هذه القهوة اكثر من الاسئلة التي طرحوها عن مغامرات العم . كان ذلك هو العجب العجاب : يغلى الماء ، وتلقى ملعقة صغيرة من هذا المسحوق الاسود فتعبق في أرجاء المكان رائحة القهوة العذبة . كان الناس قد نسوا هذه الرائحة ، بعد كل هذه السنوات من الشعير المحمص ومن الحمص المتفحم . حتى الاسقف جاء بنفسه

ليذوق طعمها ، وبالكاد استطاعت العمة (ليلا) أن تنقذ بضع ملاعق صغيرة لتذوق طعمها هي أيضاً .

* * *

لم نعرف أبدا ما راته عينا العم بنايوتبس أثناء سنوات أسره كلها . نحن لا نملك الا فرضيات يزداد عددها يوما بعد يوم . تقول السنة السوء انه لجأ الى وسائل غير شريفة علمها عند الله لينجو بجلده . وعندما خطر لرئيس البلدية ذات يوم أن يمنحه وساما لانه الوحيد الذي ظل على قيد الحياة من بين كل اولئك التعساء الذين غادروا وطنهم رهائن على المركب الذي نسف بالطوربيد ، وعندما رفض العم بنايوتيس مثل هذا التقدير دون أن يعطي تفسيرا ، انطلقت السنة السوء من جديد . اذا كان يرفض فذلك أن وراء الاكمة ما وراءها ، وان ضميره يعذبه لبعض الخدمات المريبة التي تعين عليه أن يؤديها لكي يفوز بالنجاة . إننا اذن لم نعرف ابدا ما رأته عيناه ، فقد كان يتحاشى الكلام دائما ، ولم تكن العمة (ليلا) نفسها قادرة على اشباع فضول الفضوليين ، هي التي كانت تروي مايخطر ببالها ، فتخلط بين الاحداث وتخلط بين السنين ، فلا يبقى مؤكدا في نهاية المطاف الا شيء واحد هو الهيكل العظمي من القصة : الطريق التي قطعها العم بنايوتيس من معسكر اعتقال الى معسكر اعتقال آخر .

ومع ذلك لابد انه عانى كثيرا ، لانه منذ عودته ، انهمك على الفور في أعمال ذميمة مرذولة : فأقام علاقة بامراة متزوجة وبامراة أخرى مطلقة ، وانصرف الى لعب الورق والى العمل المتواصل . ولم يطل به الوقت حتى كسب مالاً بفضل أعمال جديدة ، ولكن المال كان يتسرب من يديه تسربا كان يبذّره على صديقتيه ، وعلى الشراب والقصف ، ويخسره في لعب الورق ، والباقي في النرد . وكانت هناك أيام عانى فيها اهل بيته من الجوع . كانت العمة (ليلا)

تطلق لغضبها العنان ، في صميم حياة الاسرة الخاصة ، فتلعن الساعة التي عاد فيها ،والتي نجا فيها . وعندما كان العم بنايوتيس يجدها لدى عودته تبكي وتتمتم ، كان يبتسم ، وينطق ببعض الدعابات السخيفة ، مثل طفل اقترف ذنبا ويأمل في ان يتخلص على هذا المنوال .

كانت (الجدّة) قد صرخت به في وجهه بأنها لم تعد تطيق أن تراه، فقد اورثها وجع القلب ، وسوّد بأعماله الدنيئة وجوهنا في عيون الناس . وكان (الجدّ) قد كتب له رسالة تنضح بالاحتقار مؤلفة من عدة صفحات ، ولهذا كان يخشى ان يذهب ليراه ، كان يخشى الا يتحمل الصدمة - بسبب نوبات ارتفاع البولة - فيموت بها ، وهو لم يكن ينوي أن يموت بسبب شخص حقير. حتى عندما أمسك زوج صديقته بتلابيبه ، في رابعة النهار وسط الساحة ، وهمّ ان يبصق عليه ، وهو رجل قميء قصير الساقين يلبس نظارات ضخمة ، كان فمه قد جف غضباً ، ولسانه يدور في فمه الذي جف ريقه ، حينئذ ايضا لم يفعل العم بنايوتيس شيئا . لقد ابتسم ، وامسك بيد الزوج ، وابعدها عن ياقته ، ومضى في طريقه .

هؤلاء الذين يتذكرون ابتسامته ، في تلك السنوات ، يقولون : هذه التكشيرة ، التي كانت تبدو كابتسامة ، انما كانت تكشيرة حقد بكل ما في الكلمة من معنى . ويخلصون الى القول انه ليس وراء أعمال العم بنايوتيس الا الحقد ، فليس عنده ادنى اثر من البراءة . ويقولون ان هذا الحب غير المحدود الذي كان يخص الاطفال به ، أطفاله وأطفال غيره ، الذين كانوا لايفارقونه قيد انملة ويتنازعون رفقته ، وآخرون يؤكدون أن غريزة الطفل لا تخطىء، وأن الاطفال لا يتبعون ابدا رجلاً بالغا عندما يشعرون في اعماقهم انه لا يحبهم وبالتالي فان آخرين يقولون ان سلوكه كان بالتأكيد سلوكا بريئاً تماما ، لأنه كان يريد أن يبتلع مخاوفه ، ويمحو من فكره كل ما رأته عيناه.

وعندما بدأ شيئاً فشيئاً يشكو من آلام في المعدة ، لم يعلق احد كثيراً من الاهمية على ذلك . قالت له العمة (ليلا) ان هذا مردّه الى افراطه، وانه يحسن صنعا بكبح جماح نفسه ، فأولاده في نهاية دراستهم الثانوية ، وينبغي أن يذهبوا الى الجامعة ، انهم بحاجة اليه ، فهذا لا يمكن ان يدوم ، ان الناس، عندما يخرجون الى الشارع، يرثون لحالهم لان لهم مثل هذا الأب ، سنوات طويلة من الانحلال ، وخلع العذار ، والتبذير ، والعار ، والهمجية ، كفى ! لقد آن الاوان لكي يتخلى عن فلسفته ، التي لا يهدف من ورائها الا الى ذر الرماد في العيون ، والاستعانة بها على المكر بالنساء ـ فكأنها طعم لاجتذاب كل هذه الدجاجات الى شباكه . لقد آن الأوان لكي يتعقل ، فمنذ الهزة الأرضية والمدينة تتدهور ، والناس يرحلون ، لقد حان وقت التوفير ، حتى تستطيع العمة (ليلا) بدورها أن تسافر حتى العاصمة ، فترى أمها العجوز التي تدهورت صحتها كثيراً، وتنتهز الفرصة فتشتري لنفسها شقفة فستان، ففي الريف لا يوجد في الدكاكين الا (العتايق) واشياء لانفع منها ولا ذوق فيها . فضلا عن ذلك فان كل انسان عاقل يذهب الى الطبيب اذا ما أحس بآلام في المعدة ، وينصرف الى شفاء نفسه ، بدلا من الشكوى والتذمر . كان العم بنيايوتيس يبتسم من اجديد ، ولم يعد يتحدث عن آلامه في الوقت الحاضر، كل ما في الأمر انه كان يعض شفتيه ، وهكذا كان بوسع المرء أن يحدثه قلبه بحدوث أمر معين ، رغم السنة السوء التي كانت تعزو عضة الشفتين هذه الى حالة من الشذوذ النفسي .

تلك المرحلة هي التي شرع فيها بطلب الكتب من العاصمة ، وبدأ يحبس نفسه في دكانه للدراسة . كان يكتب ـ وكان المارة يلاحظون هذا في المساء ـ وارجح الظن أن « المدبّر » هو الذي كان يكتب عنه ، كتبا سميكة بهذا الحجم ، خالية من الصور ، مع ملاحظات وهوامش واشاء غريبة

شبه شيطانية . وعلى هذا المنوال فانه سيغادر هذا العالم اذن وذهنه مخبول ، فلا خلاص ، ولا امل في التحسن ، واولاده لم يكونوا يبدون اي احترام نحوه ، وبشق الأنفس كانوا يبادلونه بضع كلمات ، عندما كانوا يعودون من العاصمة ، لأنهم كانوا قد بدؤوا دراستهم في الجامعة ، وكان ابنه نقولا يستعد للسفر الى باريس . انهمك العم بنايوتيس في دراسات السحر والتنجيم ، بدلا من ان يهتم بعمله ، فأحاطه الأسقف علما ، اذا كان ينوي الاستمرار في كتاباته عن « المدبّر » ، بأنه هو لن يتردد في حرمانه من الكنيسة لان هذا خطيئة ، والبرهان هو الحريق الذي نشب اثر الهزة الارضية ، والذي التهم قبل كل شيء مكاتب الجريدة ومطبعتها ، أن هناك عدالة الهية ، وعين الله ترى كل شيء . كانت خيوط العنكبوت قد اخذت تغزو الدكان ، وكان مما يوجع القلب منظر البضائع تحت الغبار ، ميتة ، وكل واحدة منها في مكانها لا تريم حراكاً .. حتى ان المرء ليتساءل كيف يمكن ان يكون هناك زبائن ليتخطوا العتبة .

اما العمة (ليلا) فكانت قد شبعت من الانتظار ، فانتقلت لتعيش في العاصمة ، عند امها ، واخواتها ، ثم في شقة اخذتها بعد ان باعت ممتلكاتها ، كان الناس يقولون انها ،هي ايضا ، وجدت لنفسها عشيقا ، في هذه المدينة حيث لا يعرف احد احدا ، فقد كانت ما تزال تحتفظ بشيء من المظهر . وهناك اناس لم يكونوا يترددون في ترديد مثل هذه الأمور عامدين امام العم بنايوتيس ، لكي ينفجر ، ويتكلم ، ويكف عن عض شفتيه .

وعندما انهار ، في نهاية المطاف ،في الشارع ، وشخص الاطباء في المستشفى التهابا في البنكرياس ، كانت العمة (ليلا) واولادها بعيدين ، وكانت المواصلات مع الجزيرة مقطوعة بسبب الشتاء والعاصفة ، فمات دون أن ينبس ببنت شفة ، وحيدا ، حاملا معه كثيرا من الاسرار ، وماحيا في نهاية الشوط كل

ما رأته عيناه ، ومحررا العالم بموته من خطايا « المدبّر » ، وظهرت على الباب امرأتان ــ صديقتاه ــ لم يعرف أحد من الذي أخطرهما ، فأطبقتا له عينيه. ثم انزلوه الى غرفة الموتى ، بعد أن غطوه بقطعة من القماش ، لأن شفتيه المشدودتين أصبحتا الآن ترسمان تكشيرة منظرها لا يطاق .

وجاء دفان الموتى (الحانوتي) ليتدبر أمره ، ويسوي له سحنته ، ليجنب الناس التعليقات والانطباعات المنفرة . كان احتفال الدفن جميلاً . ذهب اليه جميع الناس مرتدين ثيابهم الجميلة وكتبوا (نعوات) ، وبعد طول السنين عاد بعضهم الى الكلام عن « المدبّر » ، وقدموا طلبا لتأسيس جمعية تحمل اسم العم .

قالت السنة السوء : من المؤسف أن العم بنايوتيس مات ، فقد كان يستحق أن يزج به في السجن ، ليكون هذا درسا للرؤوس الفارغة التي لادماغ فيها ، بل انه قد يكون حسنا أن تعتقل صديقتاه ، الظريفتان كلتاهما ، ليجعل هذا الأخريات يفكرن ، أولئك اللواتي يبحثن عن الفرص لينتهزنها . واليوم ، بعد أن عاد نقولا بعد انهاء دراساته في باريس ، يتحاشى الكلام عن أبيه،ويقول انه يعتبره استفزازيا ، ورجلا ذا أفكار رجعية ، وعقبة على طريق الثورة ــ تلك الثورة الآتية . هوذا ما قاله ، وهو لابس حسنا ، وطاعم جيدا، ومورّد الخدين ، ولديه جواب لكل شيء، وينوي أن ينطلق الى حلبة السياسة.

وبعد سنوات طويلة ، قيل ان في (زاكيلا) ولدان ، ابنان ولدا سفاحاً « للمدبّر » . أولهما ، وهو الأكبر ، هو ابن المرأة المتزوجة ، أو بالحري حبيسة البيت الشقية ، في شبابها كانت جميلة جدا ، فالمرحوم لم يلق بنفسه الى التهلكة دون أسباب . ولكن جزاء وفاقا لخطاياها جاء الغلام معتوها . ان له دكان أحذية في حي فقير ، في ركن منعزل ، وهو ينتظر وسط بضاعته ليضايق البنات العابرات. الظاهر أن أباه هو الذي أورثه حمى الجسد هذه ، انه يشبهه

بوجهه أيضا. وهو يصوّت باتجاه اليسار ، ومنحرفا نحو اليسار أكثر ، فكأنه كان يفهم شيئا في هذا المجال .

اما الثاني ، الأصفر ، فهو ابن المطلقة ، الذي ولد من حسن الحظ قبل الطلاق بقليل ، بحيث ان الامر ليس مؤكدا حقا ، ومع ذلك فانه يشبه العم بنايوتيس ، فكأن المرحوم قد بصقه من فمه . ولكنه ، هو أيضا ، جاء مجنونا. انه يعرج من ساقه اليمنى ، وهو ذو ذراعين طويلتين ، ويلاحق النساء ولعابه يسيل من الرغبة . والآن ، بعد ان ماتت أمه ، ليس له أحد يرعاه ، فأخوته واخواته الآخرون لا يرغبون في أن يروا وجهه . هذا واضح ، لن يزيد الأمر الا سوءاً وسيموت على فراش من القش . الظاهر أن نطفة العم بنايوتيس قد ضعفت بسبب كثرة افراطه . وقد عاقبه الله على الامور الغريبة جدا التي كتبها ، يجب أن نرى هذا ، وأن نفكر فيه مليا ، ذلك أن نظام الاشياء نظام واحد . وواحداً يجب أن يبقى وما اكتشفناه علينا أن نهجره ، فنحن صغار جدا فلا نفهم اسرار العالم ، آخرون يعرفونها ، أولئك المسؤولون عنها في الوقت نفسه ، وهاهي الابالسة الجديدة التي تزرع البؤس والعاصفة ، والبحر يرغي ويزبد ، وتتكسر الامواج الهائلة على رصيف الميناء ، فتغسل الصخور ، وتزيل الاقذار ، فتلمع الارصفة ، ويمر الناس منحنين تماما ، لقد اقبل الشتاء من جديد ، عيد الميلاد ، رأس السنة ، وهاهو عيد الغطاس يقترب ، وسيغوص الصليب الى الاعماق ، وابن الزنى ، ابن « المدبّر » سيخلع ملابسه لكي يغطس ، ان له جلدا سميكا ، سيتناول بيديه الدنستين الرمز الالهي ثم يصعد من جديد الى سطح الماء ، محركا ذراعيه الطويلتين فوق المياه التي تقدست ، عارضا (شعار الغلبة) بابتسامة غبية ، ان مثل هذه « الاعمال الباهرة » هي التي يكسب منها عيشه ، وبين فخذيه بدت لطخة العانة سوداء

عين السواد الذي يغطي السماء ، وسرواله المبتل ملتصق بجلده ، كان ينبغي منعه من (انتشال الصليب) ، ولف نفسه على الفور بمعطف ليذهب فيلثم يد الاسقف ، مع عصا الاسقفية ، والخاتم الكبير ، والاسقف ولحيته التي تهتز مع الريح ، طارا من حوله الدنس ، وجبته التي تهتز طاردة الشر من حولنا ، وينحني (الموبوء بالطاعون) ، فيلثم يده، ويبلل له يده ، بشفتيه الباردتين ، كالحية .

* * *

قاعة الفردوس

قصة : وليام تريفور   ترجمة : محمود فلاحة

على كرسيها العالي امام المشرب بدت السيدة العجوز ساكنة كتمثال . نظرت بياتريس اليها ، وقالت في نفسها : ربما لا يحمل وجهها اي تعبير لانه لاينم ، في حالة السكون ، عن عمرها الحقيقي . لقد كان وجهها مغطى بطبقة سميكة من المساحيق ، وعيناها مكحولتين وشفتاها مطليتين بأحمر الشفاه الذي يخفف من تجاعيدهما ، وعلى الوجه عموما ذرور ضائع . كانت ذقنها مرفوعة قليلا وفي زاوية شدت حلقات الجلد حوله ، وبدا شعرها رماديا قصيرا من تحت قبعتها النسائية العنيفة التي توحي أنها من أزياء الماضي مثل تنورتها

---

* **وليام تريفور William Trevor كاتب ارلندي معاصر ، ولد سنة ١٩٢٨ ، وتلقى تعليمه العالي في كلية ترينيتي في دبلن ، ثم احترف الكتابة ، القصصية بشكل خاص ، واستقر اخيرا في مدينة ديفون في بريطانيا .**

نشر تريفور عدة كتب ادبية وروايات ومجموعات قصصية ، ومنها : الاولاد الكبار (١٩٦٤)، دائرة الحب (١٩٦٦) ، حين ثملنا على الكعك (١٩٦٧) ، السيدة ايكدوروف في فندق اونيل (١٩٦٨)، السيدة غوميز واخوتها (١٩٦٩)، غرفة الرومانس (١٩٧٠) ، اليزابيت وحيدة (١٩٧٢)، ملائكة في الريتز (١٩٧٣) ، اولاد دايناموث (١٩٧٧) ، احياء عصرهم (١٩٧٩) ، عوالم الاناس الآخرين (١٩٨٠) ، والقصة المنشورة هنا ، قاعة الفردوس ، احدى قصص مجموعته الجديدة التي ظهرت في ١٥/١٠/١٩٨١ تحت عنوان « فيما وراء الحدود » ، وهي ذات صلات وتشابكات ارلندية، فتعالج الاخلاق والسجايا والاوضاع الارلندية بشتى صورها مع اجراء موازنات بين الماضي والحاضر.

السوداء الضيقة ومعطفها الاسود المصنوع من القطيفة ، واستنتجت بياتريس ان هذه العجوز قد تكون في الثمانين او الثانية او الثالثة والثمانين .

قال السيد بياتريس مقاطعا تحديقها وتفحصها السيدة العجوز :

ـ من المؤكد اننا نستطيع تمتيع انفسنا . من المؤكد اننا نستطيع يا بياتريس .

فادارت راسها ، ولكن نضارة جلد جسمه ذي اللون القرميدي والابتسامة في عينيه جعلتا شفتيها ترتجفان ، وبدت كأنها تبتسم هي ايضا ، بيد أن ماقد يكون اخذ على انه سرور لم يكن سوى كبح لدموعها .

فقالت له : نعم ! بالطبع .

كانا متزوجين ، ولكنهما ليسا زوجين . كان صديق بياتريس يرتدي ثيابا خفيفة ملائمة ليوم أحد صيفي ، في أوائل متوسط عمره ، غير نحيف ولكنه ليس ممتلىء الجسم . أما بياتريس فكانت في الثانية والثلاثين ، صغيرة الجسم سوداء الشعر ترتدي ثوبا قطنيا ازرق سميكا ، وتضع على عينيها نظارتي شمس تخفيان عينيها ذاتي اللون الصدئي القاتي . كما وصفهما والدها منذ زمن طويل ، حين كانت تريد أن تصبح ممثلة .

قال صديقها :

ـ هذا هو الافضل .

لقد ردد هذه العبارة القصيرة ربما للمرة المائة منذ جلسا في سيارته قبل فترة عصر ذلك اليوم . لقد انتهت علاقتهما الغرامية ، وأمكن تجنب الخطرعلى عائلتيهما ، وجاءا الآن ليودع الواحد منهما الآخر .

اجابته مرددة العبارة نفسها تقريبا :

ــ نعم ! اعرف ان هذا هو الافضل .

وامام المشرب رفعت السيدة العجوز ، ببطء يدها الى قبعتها ، ولمستها لمساً رقيقا بأصابعها . وببطء ايضا نزلت اليد ثم رفعت كأسها من المشروبات الروحية الخليطة . ان فمها القرمزي لم يكن قد تشوّه تماماً ، الا ان تقدم السن ثلّم ، تثليما شديداً ، ما كان ذات يوم محيطا دقيقاً له ، والتصقت الشفتان كأنهما برعم وردة الى جانبه . اخفاق ، قالت بياتريس في نفسها ، وهي ترقب عرضا كل هذا . نعم ! واخيرا فان هذه العلاقة الغرامية لم تكن سوى اخفاق . انها لم تعد تشعر بالحب لصديقها ، وهو منذ وقت طويل لم يعد يحبها ، ومن لطف التعبير وصف فراقهما بالوداع ، فقد امضيا عطلة قذرة ، ولم يتبق من علاقتهما شيء يرفع لقاءهما عن هذه الصفة .

قال :

ــ انني آسف لاننا لا نستطيع الاستمرار ، وانا آسف من اجل غلنغاريف Glengarriff .

ــ هذا لا يهم .

ــ الى هذا الحد .

توقفت عن مراقبة السيدة الجالسة امام المشرب ، وابتسمت له وهي تخفي دموعها ، ولكنها كانت تريد منه ان يعرف عدم وجود اية مودة ، ولِمَ يجب ان تكون هنالك مودّة ؟

قالت :

ــ ومع ذلك فقد جئنا الى غلنغاريف كانت هذه نكتة ، لانهما في المرة

الوحيدة التي زارا ذلك المكان تم اكتشافهما تقريبا في خياناتهما الزوجية . لقـد استخدمت شقيقتها عذراً لتغيباتها عن البيت ، ومنذ وقت طويل كانت شقيقتها مريضة فعلا في بيت بمزرعة لشركة ميث Meath ، وهـو بيت لم يكن فيـه ، لحسن حظ غرض بياتريس ، أي هاتف .

قال لها :

ـ لن انساك .

ثم وضع يده السمراء الكبيرة فجـأة فوق احدى يديها ، على حـين كان عرق ينبض ، بشكل ظاهر ، في جبهته . وعلى جانبي هذا العرق ارتسم خط من النمش ، وعلى الجلد ذي اللـون القرميدي كان هنالـك خمس شـامات لا يلحظها المرء في فصل الشتاء .

ـ وانا لن انساك أيضا .

ـ آه ! يا عزيزتي بياتريس .

قال لها ذلك وكأنهما قد عادا الى البداية .

كانت الحانة قاعة مربعة معتمة ، تتناثر فيها طاولات صغيرة جلسا الـى واحدة منها ، ومنافض السجاير عليها صور بيرة هاينكن . وقد لمست اشعة الشمس الزجاج القاتم في احدى النافذتين راسـمة من خلالـه وهجاً يشـبه الشعاع العنبري للوسكي . وخلف المشـرب نفسـه كانت هنالك صفوف مـن زجاجات المشروبات الروحية ، المقلوبة على معياراتها الدولية، المتوهجة بسرور لانها القطع الوسطية التزيينية ، متباهية الانعكاسـات على المرآة المزحومـة بالزجاجات امامها . وكانت ارضية الحانة مغطاة بسجادة منقوشة ، زاد من نقوشها حروق السجاير الملقاة عليها ومختلف البقع واللطخات .

سقفت الحانة بالقرميد في فترة وفرة وانتعاش زمن جد المالك الحالي ،

وهنالك علامة تعلن عن ذلك على الباب الذي يفتح من قاعة الفندق المبنية بخشب الماهوغاني . لقد تردد صديق بياتريس لان المكان قلما يكون مرجواً : ففندق محطة قطار كيفان قائم في بلدة لا يعرفها اي منهما ، وربما كانا سيواصلان رحلتهم ، ولكن الصديق كان تعباً والشمس تواجهه واشعتها في عينيه . فأعادت طمأنته قائلة : لا بأس به .

اخذ كأسيهما الى المشرب ، وكان عليه ان يقرع جرسا لان الرجل المسؤول عنه اختفى قبيل عشر دقائق . قال للسيدة العجوز الجالسة الى المشرب : « مساء لطيف » . فبدر عن هذه موافقة من غير ان تحرك عضلة في رأسها الثابت . ثم قال للساقي وراء المشرب ، وكان هذا قد اعتذر عن تغيبه قائلا انه كان يصلح صنبورا للماء :

ـ سنتناول كأسين آخرين .

تنهدت بياتريس ، وقد تركت بشأنها ، ثم تناولت نظارتيها الشمسيتين . لم تكن ثمة اية حاجة الى هذا الوداع ، وليس ثمة حاجة ايضا الى أن تراه للمرة الاخيرة في منامته او تجلس الى طاولة معه عند العشاء او الافطار تبادله الحديث الذي كان ذات يوم طبيعياً . لقد وصف هو وضعهما بأنه « العلاقة الغرامية الاخيرة » ، اما هي فقد دارت في مخيلتها صورة شخص يقرع طبلاً مشقوقا ويحاول ان ينتزع منه صوتا لم يعد هناك قط .

كيف يمكن ان تصل علاقتهما الى هذه النهاية ؟ ان قاعة الفردوس في فندق محطة كيفان لم تكن ، ليلة السبت في هذه البلدة الجبلية الاقليمية ، سوى نثار اوراق علقت بسياج جمعية « الاخوة المسيحيين » ، فكيف يمكن أن تكون هذه نهاية علاقة كانت بينهما ذات يوم ؟ انه وهو يودعها كان زوج سيدة اخرى ، فالحبيب قد غاب من شخصه .

كان الساقي يقول :

حسنا ! انه لصنبور مريع هذا الذي عندنا . انه يسيل الماء اما قويا جدا او ضعيفا جدا ، وانا لا استطيع ان اضع فيه «الجلدة» التي تمنع الارتشاح .

قال الصديق :

ـ ربما يكون هذا عملا صعبا .

ـ انك تستطيع الدخول يا سيدي ، وان تقول هذا الى الزوجة بدلا عني.

دفعت اثمان كؤوس الشراب ، وانتهى الامر . ولكن جرى صب المزيد من الجين والمارتيني في كاس السيدة العجوز . وراقبتها بياتريس ثانية وهي ، مثل افعى الزومبي ، تشعل لنفسها سيجارة .

* * *

كان اسمها الآنسة دوهيني Doheny ، وهي لم تتزوج قط رغم ماكانت تتحلى به من جمال . وهي ، مساء كل سبت تلتقي باسرة ميلدرم Meldrum حيث يمضون بضع ساعات يستعرضون فيها ما جرى في الاسبوع الذي انقضى، ويتبادلون الثرثرة ويعلقون على العالم اجمع . وقد اعتادت انسة دوهيني ان تأتي مبكرة وتجلس الى البار وحيدة نحو عشرين دقيقة تتناول خلالها كأسين من الشراب كانا بالنسبة اليها ضروريين . وقبيل ان تصل هذه الاسرة كانت تغادر مكانها وتجلس الى طاولة في أحد اركان الحانة ، فهناك كانت الاسرة تود ان تجلس .

ولم يكن مألوفا أن يؤم الحانة اناس آخرون في ذلك الوقت ، فقد كانت تمتلىء فيما بعد عادة ،اما في الساعة السادسة ، وقبل ان يصل أصدقاؤها ، فكانت تستأثر دائما تقريبا بالحانة لنفسها . وكان فرانسيس كيفان ، وارث

الفندق والساقي في الوقت نفسه ، يقضي وقتا طويلا في الجزء الخلفي يعنى بهذا أو بذاك . ولم يكن هذا ليهم الآنسة دوهيني ، لانهما ، هي والساقي ، بعد ملاحظات قليلة عن الطقس لا يجدان ما يتحدثان به ، فكانت هي تتمتع بالجلوس وحيدة الى المشرب ، تحدّق في الصور التي تعكسها المرآة خلف زجاجات الشراب ، شريطة الا تكون هذه صورها هي . ومن ناحية أخرى كان وجود زائرين في الحانة غيرها تحولاً ساراً جداً .

نظرت الآنسة دوهيني مرتين الى بياتريس ومرة واحدة الى صديقها ، فحزرت انهما يرتكبان خطيئة . لقد تسربت نهايات محادثتهما عبر القاعة ،ولم يبذل الاثنان اية محاولة لخفض صوتيهما لأن العجوز بدت ، في معظم الحالات ، وكأنها صماء . كان الاثنان ، بياتريس وصديقها ، من مدينة دبلن ، ولم تدوّن قرابتهما في سجل فرانسيس كيفان في البهو . وبدون تعليق كبير اجتازت الحياة المعاصرة خطيئتهما ، فالسيارة ذات اللون البني الخفيف الواقفة أمام الفندق جعلت انغماسهما في شهواتهما مسألة بسيطة .

وفكرت الآنسة دوهيني ملياً ، وقالت في نفسها : كم كانت هي مختلفة سنة ١٩٣٣ ! فقد قدرت، تقديراً صحيحاً ، انها في تلك السنة كانت في عمر هذه الفتاة فاحمة الشعر . وفي سنة ١٩٣٣ كان الزنا والطلاق والسيارات ذات اللون البني الخفيف تمتّ جميعها بالصلة الى امريكا وانكلترا ، فكان الناس في أرلندة يقرأون عنها ويعتبرونها غريبة عما كان يدعى الطريقة الارلندية في الحياة .

لقد اعتاد الاب هوران Horan أن يقول « ارلندة الكاثوليكية » ، و « ارلندة الكاثوليكية المحتشمة الجديرة بالاحترام » . وكانت تلك العبارة غامضة ، ولكنها ذات معنى : فالامة الصاعدة الباحثة عن أعمدة تبني عليها نفسها قد غرقت في القداسة وفي اللغة الارلندية ، وهذه خيارات طبيعية في

تلك الظروف . واعتاد الأب هوران أن يقول أيضا : « ان طبقة معينة من النساء هي التي تثير الاشمئزاز » . فالنساء المصبوغات من « دار سينما كلانسي Clancy » ، التي ادخلت سنة ١٩٣٦ ، كن مخلوقات يحملن نذيرا مروعاً . وكان الأب هوران يدعوهن ، النساء الفاسقات ، ويضيف أن دار الصور المتحركة هذه كان يجب الا يسمح لها بالوجود . وفي ضريحه الذي يرقد فيه منذ حوالي ربع قرن قلما كان سيصدّق حواسه اذا دخل الى قاعة الفردوس ، في فندق محطة قطار كيفان Keegan ، واكتشف زانيين وواحدة من رعيته التي لم تلتزم بتأنيبه النساء المصبوغات .

ومع ذلك فان الآنسة دوهيني ، وطوال خمسة وثلاثين عاما ، قد سارت متمهلة عبر البلدة في امسيات أيام السبت ، نحو هذه القاعة نفسها ، مارة بتمثال ثوار سنة ١٧٩٨ هبوطا الى ناصية شارع القلعة . وايام الآحاد كانت تقطع المسافات نفسها في طريقها الى القداس وعودتها منه . ولم يكن المطر أو البرد يمنعها من الذهاب الى « كنيسة الحبل بلا دنس » أو الى الفندق ، بل ان المرض نفسه لم يكن ليعيقها في غالب الاحيان . لقد بدا للآنسة دوهيني أن صيرورتها أكثر انصباغا وتزينا ، مع تراكم السنين ، لهي أمر طبيعي في ظل الظروف الحالية .

كانت ، في « قاعة الفردوس » تحس انها في بيتها ، وفي فصلي الربيع والصيف كانت اسرة ميلدرم تجلب لها معها بعض النباتات أو باقات من الثوم المعمّر أو البقدونس وأحيانا الازهار . وكانت هي بدورها تأتي لهذه الاسرة معها بقدر مليء بالمربّى أو بقطع من الفريبة لا لانها ترغب في الردّ على جميل هذه الاسرة الصديقة بمثله ، بل لان فعل ذلك كان يسرّها . اما في أعياد الميلاد ، واللقاءات تكون أكثر رسمية ، فكانت هي والاسرة تتبادلان الهدايا من مختلف الانواع .

وفي عيد الميلاد كان فرانسيس كيفان Francis Keegan نفسه يزين قاعة الفردوس وقاعة الفندق وغرفة الطعام . ومرة واحدة في السنة وفي شهر نيسان ، كانت حفلة للرقص تقام في غرفة الطعام مترابطة مع سباق محلي للخيل ، فكان يقال في البلدة ان فرانسيس كيفان قد جنى ، خلال تلك الليلة الطويلة ، من ريع الحانة مايكفيه للاثني عشر شهرا التالية .

لقد كان الفندق ينتقل ، بعلامات بارزة ، من نيسان الى نيسان ، وتصبح « قاعة الفردوس » نشطة تماما وتعج بالعمل حين تقام مأدبة أو حفلة ، في مناسبة ما ، في غرفة الطعام ، رغم انها لا تصل الى درجة الانفاق المتهتك الذي يميز ليلية سباق الخيل .

وكان المسافرون ، العاملون بالتجارة ، يمكثون لفترة قصيرة احيانا في الفندق ، فيتناولون ما يجدونه من طعام طبخته السيدة ريفان ، يكون في خير الحالات متواضع المطمح والانجاز . وبعد الغداء كان هؤلاء الرجال يجلسون على الكراسي المرتفعة في « قاعة الفردوس » ، يتحدثون مع فرانسيس كيفان ويتناولون كؤوس الجعة . وكانت السيدة ريفان تقدم في اللحظة الاخيرة ، وتحتسي كأسا من مشروب الجن المزوج بالماء . لقد كانت امرأة زرية المظهر ، ذات شعر رمادي منفوش ، وتنتعل خفين بسيطين . وكان زوجها يطابقها اسلوبا ومظهرا ، ويعكس لونه الارجواني تكريس نفسه للمواد التي يتاجر بها في حانته . كان هذان الزوجان غير بارعين ، ولكنهما حسنا الظن بالناس ، ويعتبران تعيسين في البلدة لانهما لم ينجبا أطفالا ، ولهذا السبب كان « فندق القطار » الذي يملكه كيفان ، يقترب من آخر أيامه كهم عائلي ، وبمعنى آخر كان لا بد أن يكون كذلك لان خط القطار ، الذي أخذ الفندق اسمه منه ، قد اغلق سنة ١٩٥١ .

قالت الآنسة دوهيني في نفسها :

ـ كم احسدها . كم هي محظوظة اذ وجدت نفسها في هذه الايام السهلة غير مدانة لانها تحب رجلا ً .

وبدا صحيحا للآنسة دوهيني ان ثمة علاقة حب حقيقية في « قاعة الفردوس » وان لا احد يثيراي تساؤل حولها . لقد عرف فرانسيس كيفان تماما أن الاثنين ليسا رجلا وزوجة ، وباتت تزمتات الاب العجوز هوران اجد عفنة الآن وكانها بقايا الفئران . والقديسة التي صحبت مولد أمة قد بدأت اخيرا تطرح جلدها الضيق الاول ، وقالت الآنسة دوهيني لنفسها :

ـ ان التحرر سيهيمن ، بمعجزته على العالم .

* * *

جال الاثنان في شوارع البلدة لان وقت الغداء لم يكن قد حان بعد . وكان الكثير من حوانيت البلدة لا يزال فاتحا أبوابه ، والخضريون متلهفون من الملفوف الذي بيع القليل منه طيلة الايام الماضية ولا يمكن ان يعرض للبيع بعد عطلة الاسبوع ، كما أن كيفن ريان Kevin Ryan ، صاحب مبنى يضم حوانيت للمواد الكيماوية والحلويات ومواد التجميل وضع في نافذة فوق هذه الحوانيت مكبرا للصوت تنبعث منه مختلف الاغنيات وموسيقى ليلة السبت والتي تناسب شتى الاذواق .

كانت شوارع البلدة ضيقة مزدحمة ، والنساء ينتقين من معروضات الخضريين اذ انهن انتظرن حتى هذه الساعة لان الاسعار ستنخفض ، وانسل الرجال الحليقون الى الحانات ، وتسكع الشبان والشابات خارج مقهي ردموند Redmond وعلى درجات تمثال سنة ١٧٩٨ ، واشتبك كلبان في قتال غير شديد خارج مصرف أرلندة .

واستفهم زائرو البلدة عن موقع القلعة ، ثم صعدوا تلة القلعة . لقد قال لهم الطفل الذي سألوه : انها مقابل « شركة محركات القلعة » ، وهناك كانت اطلالاً مغطاة بنبات اللبلاب ، وهي اشبه بخرائب حظيرة البقر . وقد أغلق حديد مموّج ممرها المفقود ، وعلى ملصق الاعلانات فيها علقت اعلانات عن « غازكالور» وفريق راقص ، وسيرك دافي Duffy ، وحركة فاين غايل ، وسباق الخيل السنوي الذي ابقى فندق القطار شغّالاً .

لقد هدمت البيوت في هذه المنطقة المهجورة وبدىء منذ عهد قريب باقامة مبان من الاسمنت المسلح مكانها . اما مقبرة الكنيسة البروتستانتية فكانت مهملة ، وتحدث اعلان في نافذة « شركة محركات القلعة » عن « مبان جديدة في شارع وولف تون » ، وكانت الفضلات المبعثرة ونثار الاوراق والاغصان في كل مكان .

قال ، وهو يضحك ضحكته البسيطة العفوية :

ـ انها ليست مناسبة تماما للتصوير ، فبعض هذه البلدات جد حقير .

ـ أظن ان الناس لا يلحظون ذلك .

ـ ان عليهم ان يلحظوه ، فربما يوقظون أنفسهم .

لقد قال ، بعد ان رآها لأول مرة ، انه سمع نفسه يهمس أن هذه هي المرأة التي كان عليه أن يتزوجها . جلسا معا يتحدثان وهما يحتسيان قهوة ما بعد الفداء في بيت شخص ما غيرهما ، وقد اخبرها ، برقة ،انه يعمل في صناعة الحبال الارلندية ،جاعلا من ذلك نكتة لان هذه هي طريقته . وبعد اسبوع مرت سيارته بمحاذاتها في طريق راثغار Rathgar حيث كانت تعيش منذ زواجها ، وقال لها : « أظن انني عرفتك » ، واعترف فيما بعد أنه بحث عن

اسم زوجها في دليل الهاتف . دعته قائلة « ادخل وتنـاول بعض الشراب » . وبالطبع دخل ، وكان ولداها هناك ، ثم قدم زوجها .

عادا الى البلدة ، وقد تأبطت ذراعه وهما يهبطان التل شديد الانحـدار الذي تسلقاه . وهبت رياح بعثت البرودة في هواء المساء .

وقالت :

ـ اشعر ان ذلك قد حدث منذ وقت طويل . ويبدو ان الشطر الاكبر من حياتي قد حدث منذ ذلك اليوم حين أتيت الى بيتي لاول مرة .

ـ أعرف ذلك يا بياتريس .

لقد بدا ، على خلاف طبعه ، لطيفا ، وحين ابتسم لها ذات يوم وجـدت نفسها تشيح بوجهها عنه . لم تكن غير سعيدة في زواجها ، بل كانت متبرمـة برتابة اعداد الطعام والعناية بالاولاد . كما كان يداخلها شعور غير راسخ بانها غير مقدرة ، وانها لم تحظ بالحب اللائق طوال سنوات .

قال لها :

ـ انك غير آسفة على ماحدث .

ـ وخطا الى الشارع لأن الرصيف كان مكتظاً بالمارة خارج مقهي ردموند.

فخفضت من صوتها حتى لا يسمعها وهي تقول : انها غير واثقة . لم تكن تريد أن تكذب ، ولم تكن واثقة من الحقيقة .

أومأ براسه متظاهراً باعادة طمأنتها ، ولو لمرة واحدة بالطبـع ، لن يدع بجواباً خافتاً ينزلق من بين شفتيه .

* * *

كانت الآنسة دوهيني قد تركت مكانها من امام المشرب وجلست الى طاولة مع اسرة ميلدروم حين عادت بياتريس وصديقها الى « قاعة الفردوس » بعد الغداء . وكانت السيدة ميلدروم تروي كل شيء حول زيارة ابنة اختها كاثلين لها عصر الاحد الماضي فقالت انها كانت تضع طوقا من الحجارة الكريمة ، ثم ذكرت ان زوج كاثلين الجديد قد جلس طوال ساعات ثلاث لا ينبس ببنت شفة . لقد جنى ثروة من صناعة الملابس الجاهزة ، وهو بليد الا انه طيب القلب .

اصغت الآنسة دوهيني ، ومن العجيب ان ذهنها ظل منصرفا الى الزائرين الذين عادا الى القاعة ، فقد سمعت الفتاة تقول ان جولة حول البلدة ستكون لطيفة ، كما انها منذ حوالي الساعة سمعت صوت الرجل في الردهة ، وقدرت انهما في طريقهما الى حجرة الطعام . ولا ريب أن طعام الغداء لم يكن جيدا لان الآنسة دوهيني كثيرا ما سمعت الشكاوى من طبخ السيدة كيفان . ومع ذلك، فمن الطبيعي الا يكون طعام الغداء هو ما يهم .

وتابعت السيدة ميلدروم : ان اطفال كاثلين الاربعة ، من زواجها الاول ، قد كبروا الآن ولم تعد مسؤولة عنهم ، وهي محظوظة لانها تزوجت ، وهي في هذا العمر المتقدم ، من رجل صناعة ملابس جاهزة ثري . أمال السيد ميلدروم رأسه أو أومأ به ، بيد انه كان ، بين حين وآخر ، يتفوه باعتراض رقيق ، فيضع الحقائق في نصابها ، وينظم ذاكرة زوجته . لقد كان رجلا أشيب يرتدي سترة من نسيج التويد ، جد طويل ونحيف ، ووجهه حاد كنصل السكين ، وشارباه الاشيبان معتنى بهما جيدا . كان يدخن وهو يحتسي الشراب ، تاركا بالضبط عشر دقائق ما بين نهاية احدى اللفافات وبين اشعاله اللفافة التالية . وكانت السيدة ميلدروم أصغر حجما من مرافقيها ببضعة انشات ، وهي مدورة ممتلئة الجسم ، تضع على عينيها نظارتين وعلى رأسها قبعة سوداء .

ولحظت الآنسة دوهيني أن الغريبين كانا يحتسيان آنذاك شراب الدرامبوي Drambuie ، وروى الرجل نكتة هي على الارجح حول الطعام الذي تناولاه ، وابتسمت الفتاة . ولم تستطع أن تفهم لِمَ كانت هـذه المجاهرة بأنهما ليسا رجلا وزوجته ، لقد تبدت كآبة في وجه الفتاة ، ولكن هذه الكآبة لم تفصح عن شيء كثير . وبطريقة مفاجئة تخيلت الآنسة دوهيني نفسها تعبر عن القاعة الى حيث كان هذان الاثنان ، وسمعت نفسها تقول : « أنت تعرفين أنك محظوظة ، صدقا أنت محظوظة ايتها الطفلة . » ونظرت ثانية في اتجاه الفتاة ، ووقعت عيناها ، للحظة ، في عينيها ، واوشكت أن تنطق الكلمات ، ولكنها غيّرت رأيها لانها ، وقدر الامكان ، ارادت ان تبقي وجهها ساكنا وهادئا .

* * *

واصغت بياتريس الى جهود رفيقها لاسباغ البهجة على المناسبة ، ولكن البلدة والفندق ، ولاسيما وجبة الطعام التي تناولاها للتو ، اجتمعا ليعكسا الوضع بأن نهاية علاقتهما الغرامية قد حدثت .

وقالت بياتريس لنفسها ثانية : انهما هنا لا ليودع الواحد منهما الآخر فعلا بل ليقترفا الزنى للمرة الاخيرة ، وهما سيتمتعان بذلك كما فعلا هذا دائما، الاّ أن تمتعهما هذه المرة لن يكون المتعة نفسها التي اثارها الحب هنا . ربما كانا لن يحضرا، وربما كانا وبكياسة أكثر قد قالا وداعا ، بيد أن وجودهما في حانة أطلق عليها ، ويا للسخف ، « قاعة الفردوس » بدا فجاة امرا مناسبا .

ان غرفة النوم ، حيث يحدث فعل العاطفة الآلي كانت مغطاة بورق الجدران القذر ، وقطعة الصابون الوردية فيها استخدمها شخص آخر . وقالت بياتريس في نفسها ثانية : عطلة اسبوعية قذرة ، فقد خلت من الحب ، وكلّ ما

تبقى هو خليط من الخداع والاكاذيب ومن هذه الرغبة العارية . أما شقيقتها ، وهي تحتضر الآن في بيت المزرعة ، فقد كانت صديقة جد حميمة ، ولن تفتقر لها الآن . ففي هذه الليلة ، وفي غرفة نوم ريفية سيقضيان الوقت هو وهي معا وكأنهما زوجان .

كان آنذاك يواصل حديثه بحرارة :

ـ ظننت أن لحم الشريحة سوف يسير ، فقد كان جلد حذاء لشخص ما .

واحست فجأة انها ثملة ، وارادت أن يتعتعها السكر ، فرفعت كأسها باتجاهه وقالت :

ـ مزيدا من الشراب .

وهنا ، وقعت عينها على عين السيدة العجوز الجالسة الى الطاولة الاخرى ، واحست للحظة برغبة الآنسة دوهيني في التحدث اليها ، واثار حيرتها ان السيدة العجوز ، التي لا تعرفها لابد أنها ترغب في قول شيء ، ومع ذلك احست احساسا قويا أن هذا هو الامر . ثم انتبهت الآنسة دوهيني ثانية الى ما كانت السيدة العجوز الاخرى تقوله .

وحين انتهيا من تناول الشراب الذي جاء به صديق بياتريس لتوه غادرا الطاولة التي كانا يجلسان اليها واتجها الى المشرب وجلسا على كرسيين مرتفعين امامه ، واخذا يصغيان الى فرانسيس كيغان يروي لهما نشاطه السنوي في الفندق ليلةسباق خيل شهر نيسان . وكانت زوجته ، السيدة كيغان ، تقف الى جانبه ، فروت كيف ان أشخاصا هائجين فتحوا صندوقين مليئين بصيصان عمرها يوم واحد ، كانا موضوعين في صالة الفندق . وكيف أن باكي او برين

العجوز تصور انه امسك الصيصان حين رآها تجري صاعدة الدرج وهي تصفق بأجنحتها . وقالت السيدة كيفان ايضا أن ثمة قصة اخرى، حدثت قبل زمانها، حين نزل جاك رويل Jack Doyle وموفيتا Movita في فندق كيفان . وقد طارد جاك دويل زوجين ، في شهر عسلهما ، هربا شبه عاريين من سريرهما صعودا الى تل القلعة .

وبعد ان احتست بياتريس بضع كؤوس من الشراب اخذت تضحك ، فقد بات احساسها بالبؤس أقل اذ أن وجهي فرانسيس كيفان وزوجته أخذا يعومان ، عوما محببا ، في مخيلتها . وحين نظرت الى الثلاثة الهرمين في الزاوية، وهم الاناس الآخرون الوحيدون في القاعة ، أخذت وجوههم تعوم أيضا .

وجاء الرجل الهرم النحيف الى المشرب وطلب المزيد من الشراب وعلب اللفائف . اوما براسه الى بياتريس وابتسم لها ، ثم ابدى ملاحظة عن الطقس .

فقال السيد كيفان مقدما اياه : السيد « ميلدروم » . فقالت بياتريس : « مرحبا » .

تثاءب رفيقها ، وبدا كأنه يقترح أن يمضيا الى النوم ، ولكن بياتريس لم تعره اهتماما ، بل دفعت كأسها الى فرانسيس كيفان ، ومدت يدها الى حقيبة يدها ، وأعلنت أن الشراب سيكون على حسابها ، وقالت : كأسا لكل واحد .

كانت تعي انها فقدت توازنها تقريبا عندما نظرت الى كيفان وزوجته والى الثلاثي الهرم . قهقهت ، وقالت : الشراب على حسابي . ثم غمغمت بكلمات غيرواضحة ، وقهقهت ثانية .

وروت السيدة كيفان حكاية أخرى عن تاجر مسافر يدعى آرتي لوغان Artie Logan ، ثَمِلَ في غرفته ثم طلب عددا كبيرا من الصينيات عليها

فناجين الشاي وصحون المخبز المدهون بالزبدة ، حتى نقل الى غرفته كل ما في الفندق من صحون وفناجين . ومر السيد كيفان بهم ، وهو عائد من طاولة الثلاثي الهرم وقال : لقد طلبوا مني أن اشكرك . وادارت بياتريس رأسها ، كان الثلاثة ينظرون اليها ، ووجوههم تفصح عن شيء ما ، وكؤوسهم مرفوعة باتجاهها ، وصاح الرجل العجوز بأعلى صوته : حظا سعيدا .

وآنئذ فقط ادركت بياتريس الامر ، فنقلت نظرها من وجه لآخر ، وهي تكره نفسها على الابتسام كي تعبر عن شكرها على التمنيات الطيبة التي ابدوها لها، فالحقيقة التي احست بها بدت وكأنها تنبثق من مجموعة غير واضحة من القسمات والملامح والملابس والكؤوس الثلاثة المرفوعة . اومأت برأسها ، ورات الرؤوس تستدير ثانية عنها . لقد ظلت حائرة ولم تستقر على أمر ، فالحب الذي جرى هنا لم ينفضح قط بأي شكل . وفي هذه البلدة الضيقة المخيفة ، وفي هذه القاعة حدث الخبو المتواصل لعاطفة صامتة تختلف اختلافا مثيرا عن محاولتها الملحة أن تنسى .

حدقت بياتريس ، وقد باتت ثملة جدا ، عبر المشرب فشاهدت وراءها فرانسيس كيفان وزوجته يضحكان ، بينما كان الرجل ، الذي أحبته ذات يوم حبا جما ، يقهقه بصوت عال . وكان صوت الضحكات غريبا ، وكأنه صدى آت من بعيد . وظنت لوهله ، انها لاتمت بأية صلة « لقاعة الفردوس » ، وأن السيدتين العجوزين والرجل الهرم هم رهط هذه القاعة . لقد كان ذلك الرجل الهرم محبوبا ، وهو بدوره ، وبصمت ، بادل من أحبته الحب . أما زوجته الممتلئة الجسم ، ذات النظارتين ، فمعها كل الحق في ان تشعر أن زوجها لم يخنها قط ، لذا فهي لاتحس بأي خجل أو عار أو اثم . وطوال سنوات زوجها المديد لم تكن لها شقيقة على فراش الموت تغيد منها ، كما لم تمض ، على عجل،

امسيات في بيت في طريق راثفار بعد أن ترخى ستائره لتحجب ما يجري فيه عن عيون الجيران الذين قد يخمنون ، ثم يعاد ترتيب غرفة النوم قبل أن يقدم الولدان من المدرسة .

نعم ! ان هذه السيدة العجوز لم تعرف حتى عناقا واحدا .

ان هذا الحب ، الذي امتد هذا الزمن الطويل ، سوف يستمر الى آخر العمر وحتى يوارى حاملاه الثرى . لقد عرفت بياتريس ، ودون حتى أن تفكر ، ذلك .. فهذه السيدة العجوز ، ولغاية ما ، تعرض مزهوة ما تبقى من جمالها ، بينما بدا زوجها انيقا بملبسه المصنوع من نسيج التويد . وقالت بياتريس في نفسها وهي لاتزال غير قادرة على تركيز أفكارها بسبب السكر : « ما ابهى هذا المنظر » . ثم اخذت تتفحص تلك الزوجة التي لم يحدث قط أن خدعت ، وهي ، راضية ، تتحدث .. وتطيل النظر في الزوجين وثيقي الصلة ببعضهما العائشين في عالمهما السحري .

لقد ارادت أن تقول لان شخص : ما أجمل أن يبقى الشيء سليما ولا يدمر جزء منه ، ولكن لم يكن هنالك من تخبره . وفي بيت طريق راثفار سيكون طفلاها جالسين امام جهاز التلفزة يشاهدون برامجه ، وسيكون أبوهم جالسا معهم . أما شقيقتها فسوف تقضي قبل انقضاء السنة . كم بدت القسوة شديدة . وبحدة اكثر تذكرت الآن ترتيب غرفة النوم عصرا ووجه شقيقتها الذابل . ارادت أن تهرب ، أن تعود ، زمنيا ، القهقرى كي يمكن لها أن ترفض حبيبها ليلة أن تقابلا أول مرة .

* * *

وذرعت الآنسة دوهيني شوارع البلدة المعتمة . لقد اعتاد الناس رؤيتها

كل ليلة سبت . انها كما كانت دائما ، تجلس هنــاك . قريبة منــه ، ينبعث الدخان من اللفافة الموضوعة بتكاسل بين أصابعه . أما فتاة اليوم فانها ستكون قريبة ، بطريقة مختلفة ، من الرجل الذي هو زوج سيدة اخرى ايضا . وكما في الافلام ستتناثر ملابسهما في الفرفة المستأجرة من أجــل الحب والفزل ، وتخرق همساتها الصمت . وسالت الدموع على طلاء وجه الانسة دوهيني .

كما يحدث دائما حين تغادر « قاعــة الفردوس » ليلة السبت ، اذ قــد يصعب أحياناً الا تبكي حين تفكر بالايام الهنية في حياتها هازئة بالالم الشديد لحبها المخنوق .

ويليام تريفو
١٩٨١

ميـــــــجو

قصة: هـاماسـينغ   ترجمة: نظار. ب. نظاريان

هاماسينغ (هاهمبرسوم كلنيان)

اسمه الأدبي هاماسديغ ، اما اسمه الحقيقي فهو (هامبرسوم كلنيان) ، من اشهر الكتاب الأرمن ، ولد عام ١٨٩٥ في قرية بيرجالج من قرى مدينة خربوط في تركيا . انهى دراسته الثانوية في مسقط راسه ، ووسع ثقافته الأدبية بعد ان درس أعمال كبار الشعراء والكتاب الأرمن ، امثال ، واروجان ، سيامانتو ، واسحقيان من الشعراء ، ومن الناثرين امثال ، رافي وزارتاريان ... وغيرهم . سافر الى الولايات المتحدة عام ١٩١٣ وكان والده قد سبقه اليها . كان يدرس في جامعاتها نهاراً ويشتغل عاملا في الليل لتأمين لقمة العيش . واتخذ له التصوير الضوئي مهنة . قام بجولة عام ١٩٣٨ في كل من اوروبا ومصر وسوريا والبلقان . في عام ١٩٦٦ عندما كانت الجالية الأرمنية في الولايات المتحدة تحتفل بيوبيله الأدبي الخمسين وبلوغه السبعين من العمر ، وبينما كان يلقي كلمته على جمهور المحتفلين وقف ذلك القلب فجأة وهو على المنصة كجندي يقع شهيد معركة الوطن ، وقع شهيد الكلمة قبل أن يتمتع بسعادة التكريم .

له مكانة خاصة في الأدب الارمني كاديب يجسد بقصصه حياة أهل القرية بكل وجوهها ، يصوّر بكل دقة وبراعة وباسلوب شاعري ، وبكل جمال القصة

الواقعية وفنيتها ، حياة القرية وبسطائها واشرارها ، ففي قصصه نجد قوة انامل الفنان التي تحرّك الأحداث وتتلمس مواضع الجمال ، تبحث عن أدق الخلجات النفسية وارقها ، معبراً عن اسمى المشاعر الانسانية التي كثيراً ما تختفي تحت ركام المعاناة وقساوة الحياة .

لم يكن هاماسينغ ناشراً فقط ، وانما كتب الشعر واجاد فيه فهو قاص وشاعر وروائي ، كتب القصة الشعرية كما كتب القصة الشعرية الساخرة بشكل لم يضاهيه فيها أحد مثل الكوميديا المقدسة » . الا انه اخذ مكانت اكثر فأكثر في مجال القصة القصيرة ، وله رواية كبيرة تعتبر من انجح الرويات في الأدب الأرمني هي . الفارس الأبيض . ظلت مضامين قصصه تدور في فلك قريته في مسقط راسه خربوط ، وظلت ذكريات وطنه الغالي تجتذبه بنشوة ترابه واهله وبكل ما يمت اليه ، تسحرة وتسكره .

من مؤلفاته نذكر ما يلي .

١ ــ القرية ، قصص ، بوسطن ١٩٢٤
٢ ــ المطر ، قصص ، باريز ١٩٢٩
٣ ــ الفارس الأبيض
٤ ــ ١٣ قصة ، منتخبات
٥ ــ الكوميديا المقدسة

انتشر الوباء في تلك السنة بين الحيوانات ، فكانت الثيران تتساقط تحت النير ، والابقار بين القطيع . في تلك السنة ، لست تدري بأي مرض ، مات لوليك أوفان .

عندما مات أوفان ، خلف وراءه داراً خربة ، غليوناً ثميناً مصنوعاً من

خشب الكرز ، وامرأة وبقرة مبقعة الظهر ، فتى في الرابعة عشرة — هو ميجو .

غدا ميجو بعد موت ابيـــه فتى القرية اللص . سروال أحـمر ممزق كان يستر عورته ، ففي فصول الصيف كان نصف عار تقريبا ، أما في الشـــتاء فكان يتدثر بعباءة ابيه بعد ان جعلها علىمقاسه .

— ميجو ! آه يا ميجو ، يا خراب البيوت ، المعلف فارغ ، هل تقرض البقرة ارجلها ؟ لتقرض انت ارجلك يا ميجو ، يا خرّاب البيوت .

ما يكاد ميجو يجلب البقرة من الحقل الى الدار حتى يتسلق ، في هذه المرة سطح الدار ، ليرجم العصافير الدورية التي تقف تحت مدخنة دارهم . كان ميجو يستمع الى لعنات أمه المتصاعـــدة تصاعد الدخان من المدخنـــة . كان ينزل من السطح . كانت البقرة وميجو يذهبان معاً الى الحقل البقرة تسير من الأمام في كسل ضاربة بذيلها طرفي بطنها ، وميجو من خلفها يصفرُ اغنية ما .

عند تفتح الربيع كان ميجو يغدو في الحقـــول كما لو كان يمتلك اقدامـــا كأقدام الماعز كثيرا ما كان المسافرون من المدينة يمرون من طرف جبل (القديس سركيس) ،يرونه في المرج السفلي ، تحت ظل البقرة يجرجر جثةغراب ما . أو واقفا مثل الصنمتحت أشعة الشمس يعذب أرنبة تتدلى من أذنيها بين يديه .

في المساء عندما كان فلاحو الحقول — وقد عادوا الى منازلهم — يفكون النير ، ويدخلون الثيران الى الزريبـــة ، في وقت متأخر ، كان ميجو يظهر ممتطيا ظهر البقرة ، يدخل القرية وقد تدلت ساقاه العاريتان المحروقتان من الشمس ، وعلى كتفه خشبة علق في نهايتها أحد طيور العقعق بلونه الاسود والابيض .

كانت ضحية ميجو في ذلك اليوم عقعقاً حاول مرات ، تحت شمس الظهيرة، أن يحط على ظهر البقرة المبقع بالاسود والابيض .

كان ميجو بقفزة خفيفـــة ينزل من على ظهر البقـــرة . فكان أقرانه يلتفون

حوله ، وهم من الفتيان الذين عادوا لتوهم من الكنيسة . وكذلك بعض الفلاحين وقد عادوا أيضاً لتوهم من الحقول .

ـــ كيف تنعق البومة يا ميجو ؟ ـــ كان أحد الفلاحين يسأله .

ويتكوم ميجو على نفسه تحت الحائط ، تجحظ عيناه ويصيح مثل البومة التي تتأمل القمر .

ـــ ميجو ، كيف تخور بقرتكم ؟ ، ـــ يتدخل فلاح آخر ويجعل ميجو من يديه أقداما رافعا أنفه الى الأعلى فيخور مثل بقرتهم تماما .

ـــ مووو ، مووو .

كان ميجو يتمدد على الأرض ويقلد الأرنب ، وقرض السنجاب للجوز ، كان يقلد أصوات مختلف العصافير ، بينما البقرة على مقربة منه كانت تهز رأسها بصبر وأناة ، وتلحس ظهرها منتظرة أن تسدل الستارة الأخيرة .

آه يا ميجو ، ميجو احفر قبرك بيدي انشاء الله ، يا خراب البيوت يا ميجو . لقدعادالمصلون ، وهبط الظلام ، أين تركت البقرة ؟؟ ، وانا انتظرها لأحلبها .

هي أمه التي كانت تبحث عن ميجو في أزقة القرية مرسلة لعناتها عليه . كان ميجو يغيب عن الأنظار فجأة عندمايسمع من بعيد لعنات امه .

في تلك الليلة لم يعد ميجو الى الدار .

في الليالي وفي وقت متأخر جداً ، عندما كان القرويون ينامون ، بعد تعب يومهم ، على أسطحة منازلهم باطمئنان وهدوء وجباههم تراقب النجوم ، كان ميجو يتسلل بقفزة من الحديقة القريبة من بيت مرضو ، ثم يتسلق شجرة

التوت ومنها ينتقل ببـــطء الى التختالخشبي العائد لبيت مرضو . وهناك فوق الأعواد اللينة كان ينام متكورا على نفسه ككلب ما .

❋ ❋ ❋

كلينك ، كلينك ، كلينك .

كان الطحان نافو يَسن ّ رحى الطاحونة . التفت الى الخـــلف عندما تفز شيء ما من شرفة السطح الى الأسفل ـــ فكان ميجو .

ـــ أهذا انت ما ميجو ، يا مبروك الوالد . ـــ قال نافو ـــ ظننت ثعلباً ما قد قفز وهرب . تعال واجلس . انظر يا ميجو كيف أســـن حجرة الرحى . تعلم ياميجو .كان ابوك من احسن اصحابي . انظر هكذا ، اقعد هنا .

كان الطحان يستمر في سَن ّ حجر الرحى . كلينك ، كلينك ، كلينك .

في اليوم التـــالي ، وللظلام لا زال يخالط النـــور ، كان الطحان العجـــوز يطرق باب لوليك أوفان .

ـــ يا بنت ، يا ساريك .

ـــ ماذا يا عم نافو .

ـــ هذا ، ميجو ، البارحـــة ، سرق كيس دخـــاني وغليوني ايضاً . كان غليوناً حسناً يا ساريك . انه معي منذ عشرين سنة . لا اســـتطيع البقاء بدون غليون . من اين لي ان اعرف . كنت أسن الحجر وكان ميجـــو جالســـاً قربي ، وفجاة نظرت فلم أجد ميجو ولا الغليون .

ـــ آه يا ميجو ، ميجو ، لينازعك الموت سبعة ايام ، يا خر ّاب البيوت ، ياميجو ـــ كانت امه تصب لعناتها على رأسه .

ـ لا تلعنيه يا ساريك انه ولد جاهل .

ـ كيف لا العنه يا عم نافو ، فداك روحي . البارحة جاء غوكاز الاقرع ، لم يكن قد دخل بيتنا منذ وفاة زوجي .

ـ يا بنت يا ساريك .

ـ ماذا يا غوكاز .

ـ أين ذلك الولد ، ميجو .

ـ ليتك رايته يا عم نافو ، كان ثائرا ، وقد حميت قرعته .

ـ في الصبـــاح الباكر ، مع استيقاظ الدجاجات ، يذهـــب ميجو الى جبل القديس سركيس، وهناك يسرق فخ غوكاز الأقرع . قل لي يا عم نافو، فداك روحي ، ماذا أفعل ؟ انه لا يأتي الى البيت في الليالي. كان بالأمس عندما قذفني بحجرة كادت تفج راسي .

لم يكن نافو الوحيد الذي جاء يشكو ، ولا غوغكاز الأقرع فما كان يمر يوم من الأيام دون أن يطرقوا باب لوليك أوفان ، وينادون ساريك .

كان العمال الزراعيون يبحثون عن ميجو عندما كانوا يعثـــرون على آثار أقدام بقرة ما في أراضيهم المزروعة حديثاً . كانت ماما خـــاتون تأتي عندما كانت تجد ساق دجاجة من دجاجاتها مكسورة .

ما كاد الطحان نافو يغيب خلف عوجة الزقاق حتى دخلت بسرعة الاخت مانان الى الدار .

ـ ساريك يا بنت ، الويل لك ، اين هذا المدعو ميجو .

ـ ما الأمر يا أخت مانان ؟.

ـ يا بنت، هذا ابنك ، حطم جرة عروستنا الجـديدة على طريق النبع . كانت جرة جديدة، جديـدة ، لونها احمر ، ساريك ـ كانت الجـرة على كتف العروسة فقذفها بحجرة حطمتها ، فعادت العروسة المسكينة الى البيت والمياه تتقاطر من اثوابها . وانت ، اتفتخرين بأن لك ولداً صبياً .

ـ ليس لي صبي يا اخت مانان، انا لا اريـد صبياً مثل هذا .، ـ كانت ساريك تجيبها وهي تبكي . فكيف لا ابكي حظي . يا ليت هذه الخرابة كانت قد هدمـت فوق راسي حتى لاارى اياماً مثل هذه الأيام . آه يا ميجو ، حرام عليك حليبي ، يقبرونك تحت التراب بطولك يا خرّاب البيوت .

ـ لا تزعلي يا سـاريك ، انه لا يزال صغيراً ، فلن يبق على هذه الحالة غداً . ـ قالت الأخـت مانان ثم اضافت ـ غداً يأتي الخريف وتفتتـح المدارس ابوابها، فأرسليه الى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة ويصبح منشدا في الكنيسة.

لم تكن نصيحة الاخت مانان بجديدة ، فما اكثر ما كانت تقولها عندما كان لونيك اوفان على قيد الحياة ، فكثيرا ما تقول لساريك .

ـ ساريك ، فكري وقيسي ، ارسلي ابنك الى المدرسة ليتعلم الكتابة ، ولئلا يترعرع راعيا .

كانت ساريك ، بعد موت زوجها ، عبثا تحاول ارسال ميجو الى المدرسة عندما كانت المدرسة تفتح ابوابها في كل خريف .

كان الفصل خريفا ، وكانت أعمال البيـدر على وشـك الانتهاء ، كانت اجنحة العصافير الملونة قد مرت من كبد السماء الزرقاء منذ زمن .

ذات يوم من أيام الآحاد ، سمعت ساريك صوتا جديدا يرتل صلاة ، وهي جالسة في الرواق الخلفي من الكنيسة . بعد انتهاء الصلاة ، رات ساريك على

الباب رجلا مسنا يرتدي بنطالا وعلى رأسه قبعة طويلة بدون شرابة ، وقد اصفرت شعرات شاربيه من كثرة التدخين ، وهو يتجه مع نائب القس الى الدار .

كان معلم القرية الجديد دون شك .

في اليوم التالي استيقظت ساريك باكرا قبل قرع ناقوس الكنيسة . كان الظلام مازال سائدا في الزقاق عندما نظرت الى خارج الدار فرأت الاخ مقدسي، وقد حمل حماره قطنا ، يتجه نحو المدينة وهو يتمتم مقطعا من صلاة .

ـ يا اخ مقدسي ، فداك روحي ، خذ هذه القروش العشرة واشتر لميجو كتابا للقراءة ـ قالت ساريك .

في ذلك المساء ، عندما عاد ميجو والبقرة من الحقل الى البيت ، قدمت له امه كتاب القراءة وهي توصية بان يتجه غدا باكرا الى الكنيسة ومنها الى المدرسة ، بدلا من أخذ البقرة الى الحقل . وانشغلت هي أمام السراج بخياطة دشك مدرسي صغير لميجو ، كانت الام تحاول ، أثناء حديثها أن تجعل كلامها حلوا ، مع تقديم الوعود ، لئلا يغضب ميجو ، ويهرب من البيت .

تأمل ميجو كتاب القراءة الذي كان كتابا جديدا بغلافه الاخضر ، وأخذ يتصفحه تحت ضوء السراج وهو جالس القرفصاء ، وبالقرب منه كان يرتاح العجل المولود في تلك السنة .

كان الكتاب يحمل على غلافه صورة القديس مسروب ، بجبهته العريضة المنورة ، ويده اليمنى ممدودة فوق صدره الايسر ، وهو يحدق في السماء بعينيه المتفتحتين الواسعتين راجيا النور لاختراعه في الصفحة التالية راى ميجو صليبا بأربعة أطراف ، واستمر التصفح ، واذ به ماذا يرى . راى فخ غوكاز

الاقرع بالذات تماما . رأي دجاجة ماما خاتون الام ، وقد ضمت تحت جناحيها صوصها .

كتاب القراءة ، كان قد غدا عالم ميجو ، فراى فيه أعشاش العصافير ، وراى فيه الارانب ، وكذلك الكلب كومو ، العائد لعائلة طاطو .

احب ميجو كتاب القراءة ، فتصفح صوره مرات ومرات ، ثم نام بعد أن وضعه فوق مخدته .

في الليل راى ميجو حلما ، وراى في حلمه ، بأن كتابه ذا الغلاف الاخضر قد فتح اجنحته واخذ يطير فوق المرج ، وكانا ، هو وبقرته ، يريان طيران الكتاب ووقوفه فوق قبة الكنيسة .

في الصباح الباكرلبس ميجو قنبازه المخصص ليوم الاحد ، ووضع الكتاب والدشك تحت ابطه واتجه صوب الكنيسة . في الكنيسة لم يضع ميجو الكتاب والدشك على الارض من تحت ابطه ، وكان بيده الثانية قابضا على طربوشه بقوة ، كان يتكلم بصوت عال مع جارهم مانوئيل قائلا : بأن فخ أوفان الاقرع موجود داخل كتابه .

حديث ميجو بصوت عال ، عدم رسمه شارة الصليب على وجهه ، احتفاظه بطربوشه ، والدشك تحت ابطه ، وحتى مظهر كونه تلميذا ، كل هذه كانت كافية لاثارة موجة الضحك بين التلاميذ .

بعضهم كان ،داخل الكنيسة ، يغطي فمه بيده لاخفاء ضحكه .

بعد انتهاء الصلاة خرج التلاميذ من الكنيسة وهم يتزاحمون ، واتجهوا نحو المدرسة . فتبعهم ميجو . واخذ ينتقي مكانا له قرب جارهم مانوئيل ،

ففرش الدشك على الارض ، وقعد ، وبعد برهة اقترب منه ابن قندلفت الكنيسة وهو يقـــول :

ـــ آبيبي ميجو . هذا مكاني . اتركه حالا .

لم يكن ميجو من الذين يغادرون مكانهم بســـهولة . حتى انه كان يستعد لضرب ابن القندلفت بمرفقه لو لم يدخل المعـــلم الصف ، ويسود الهـــدوء بين التلاميذ فجأة .

قام ابن القندلفت الى المعلم يشكو له أمره قائلا .

ـــ استاذ ، لقد احتل ميجو مكاني .

كان اسما جديداً بكل معنى الكلمة بالنسبة للمعلم .

ـــ من هو ميجو . ـــ سأله المعلم .

ـــ ميجو ابن لوليك أوفان .

رأى المعلم صبياً حديث العهد ، جالساً قرب العمود ، يتكلم بصوت عال ، ويعرض لمانوئيل صور كتاب القراءة .

ـــ تعال الى هنا يا صبي . ـــ قال المعلم منادياً ميجو .

لم ينتبه ميجو الى ان المعلم كان يتكلم معه ، لأنه كان مشغولا بصور كتاب القراءة . حتى أخذ التلاميذ ممن في جواره ينحرونـــه بمرافقهم منبهينه الى كلام المعـــلم .

عندما نهض ميجو من مكانه وجد الدشـــك ينجر وراءه . فارتفعت قهقهة التلاميذ . كان ميجو قد وقع في حيرة تقريباً .

ـــ من الذي فعل ذلك . ـــ سأل المعلم .

ـــ مكر . وشى صبي من الزاوية .

كان مكر الأحدب الجالس على يسار ميجو ، هو الذي ، دون شك ، قد ربط الدشك بطرف ثوب ميجو بدبوس ما .

ـــ قم واقفاً يا مكر . صاح المعلم .

فقام واقفاً صبي ممروض بعينيه الخضراوين تقريباً .

ـــ افتح كفك .

فتح مكر كفه مرتعداً ، فضربه المعلم ضربتين بعصا خشبية .

ـــ هيا قل ما اسمك . قال المعلم وقد اتجه نحو ميجو بوجه عابس .

ـــ ميجو . ميجو بكل صراحة .

ضحك التلاميذ من جديد ، لأن ميجـــو كان قد أجاب بصوت عال اكثر من من الطبيعي بكثير .

ـــ اسكتوا . صاح المعلم في التلاميذ ، ضارباً الطاولة بالخشبة التي كانت بيده عدة ضربات .

ـــ ما هي شهرتك .

ـــ ميجو ، ميجو . كرر ميجو بصوت عال اكثر من ذي قبل .

ـــ أنا أسألك عن شهرتك .

ـــ أوفانيان . أجاب احد التلاميذ من طرف الصف .

ـــ من كان هذا . التفت المعلم .

ـــ كربو . وشى تليمذ آخر .

ـــ قف يا كربو .

فوقف صبي قصير القامة ممتلىء الجسم .

ــ افتح كفك . انا لم اسألك ، اليس كذلك .

وناوله ضربتين من الخشبة . ثم التفت الى ميجو .

ــ اعني ما اسم عائلتك ، ما هو اسم والدك .

ــ لوليك اوفان . اجابه ميجو .

ــ حسنا افتح كتاب القراءة يا ميجو . قال المعلم وهو يزيل سيمة الغضب عن ملامحه .

ندى ميجو ابهام يده اليسرى بلعاب شفتيه وفتح الصفحة التي فيها صورة فخ غوكاز الأقرع .

ــ لا ليس هناك افتح الصفحة الأولى .

فتح المعلم تلك الصفحة التي فيها شـارة الصليب ، وابجديـة القديس مسروب .

ــ قل ، الف . بدأ المعلم ، وهو يتجول في الصف يمنة ويسرة .

ــ الف . كرر ميجو واضعا اصبعه على الحرف الأول .

ــ باء

ــ باء

كان ميجو يكرر الأبجدية بشكل آلي وينظر في نفس الوقت في وجه المعلم . كان الأبجدية كانت مكتوبة على وجه المعلم .

وكرر ميجـو ، وهو يتتبع المعلم في تجوالـه ، حتى نهاية الأبجدية ، حتى الياء . بينما كانت أصبعه واقفة فوق حرف السين .

ــ حسنا تعال واجلس في هـذه الزاويـة ــ قال المعلم . قامتك طويلة

لا تتناسب مع جهلك الابجدية .

حمل ميجو الدشك وقعد قرب مكر الأحدب .

ما كانت تمر ساعة حتى قام ميناس الصغير الجالس قربه الى المعلم يشكوه .

ــ استاذ ، ميجو ضربني .

ــ قف يا ميجو ، افتح كفك .

في أول يوم ، ولأول مرة ذاق ميجو طعم ضربتين من العصا .

كان ميجو ، في ذلك اليوم ، قد مزق غلاف كتابه الأخضر .

في اليوم التالي قام الصبي الجالس على يساره يشكوه الى المعلم .

ــ استاذ ، سرق ميجو قلمي .

ــ استاذ ميجو سبني . اضاف صبي آخر .

وفي اليوم الثالث كان ميجو اخذ يرسم على هوامش كتابه صوراً للعصافير ، والتي كانت تشبه المقص اكثر من شيء آخر .

كانت الظهيرة قد اقتربت ، راى ميجو قطعة من الشمس سقطت من شق النافذة مباشرة فوق يده . آه كم كانت جميلة . كانت الشمس تأخذ ، في نظر ميجو ، شيئاً فشيئاً شكل كائن حي . أقطعة فقط من الشمس على يده . بينما في الخارج ، فوق المروج ، بحر من الشمس ، حيث كان ميجو يستطيع أن يستحم بالشمس .

كان ميجو ينسلخ عن جلده ، وبخاصة ، عندما كان ظل عصفور ما يمر قرب نافذة المدرسة متمسحاً بها . شطح خيال ميجو خارج الصف ، الى جمال الخريف ، الى الأوراق المتساقطة على الطرقات ، وهي تتراقص بجنون فوق الجسور . تخيل الاشجار وهي تشتعل بلون اللهيب . وكأنه سمع من قمة

صنصافة يابسة صوت غراب تحمله الريح . وهو كان عاجزاً عن المرور ، مع الريح والبقرة ، من خلال انسجام ذاك الخريف .

كانت حيطان المدرسة تزداد سماكة شيئاً فشيئاً ، وحواجب المعلم كأنها تزداد اكثر سماكة من تلك .

— اييه ٪ما اكثر ظلم الناس .

ميجو حبسوه في المدرسة . والبقرة حبسوها في الزريبة .

البقرة ايضاً كانت تشكو المآ في الزريبة ، وكانت ترسل صوتها ، وهي تحدق بعينيها في الكوة الموجودة في سقف الزريبة طيلة الوقت ، كوة صغيرة جداً من الضوء فقط كانت تسقط منها ، في ساعة معينة من اليوم ، بين خيوط العنكبوت . احساس مشترك داخل كل من البقرة وميجو كان يعيش دون اختلاط .

غداً لن يدخل المدرسة ، فكر ميجو . وبخاصة لأنه جالس تجاه مكر الأحدب المروض ،والذي يخرج له لسانه لاغاظته .

كان ميجو مفقوداً منذ يومين ، كان بعض التلاميذ قد رآه وهو فوق شجرة ما ، يهدم عش عصفور . وآخرون كانوا قد شاهدوه وهو يستحم في الساقية .

في اليوم الثالث ، دخلت امه ساريك من باب المدرسة ، وهي تحمل على ظهرها ميجو ، وكصرة ما قذفت به أمام المعلم . كانت قطعاً من الأعواد وخيوط العنكبوت قد علقت برأس ميجو وبجسمه .

— يا استاذ ، روحي فداك ، اضربه اضربه ، لك جسمه ولحمه وعظمه يا استاذ . انتشلته من بين أعشاب فوق تخت عائلة مرضو . اضربه فلقة يا استاذ ، حتى تتكسر ركبه ، لقد أضاع كتاب القراءة . منذ خمسة أيام فقط

اشتريته له . آه كيف اندب حظي وابكي . ماذا افعل . آخ يا ميجو ، جعلتني معلولة ، اخذتك العلة يا ميجو ــ كانت امه المتكلمــة ، وهي تلعنه ، بينما كان ميجو يحاول هرباً آخر من باب المدرسة المفتوح .

انتظرته امه سدى في تلك الليلة . لم يعد ميجو الى البيت .

كان المعلم قد ملّه ، كما كانت امه قد ملته .

احتفاظ ميجو في المدرسة كان مستحيلا .

في ذاك الشتاء ، لم يأت ميجو بحدث يستحق الاهتمام . قتل هرة . اطلق بعض الأسماء على بعض الكلاب . وسرق أيضاً فخ غوكاز الأقرع مع الثعلب .

في أيام الشتاء لم يكن ميجو يبتعد عن دكان الجزار ، فكان يشعر بالكبرياء عندما كان الجزار يكلفه بعمل ما ، أو يكلمه .

ــ ميجو اذهب واجلب الماعز من بيتنا .

فكن ميجو يركض .

ــ ميجو اذهب واجلب لنا ماء من النبع .

فكان ميجو يركض .

كان ميجو يحب مساعدة الجزار ، فكان ينال نفس الامتياز عندما كان يعلن عن أسعار اللحم ، بصوته الطري الحاد .

كان ميجو يحب ان يكون جزاراً ، يربط القشاط المليء بالسكاكين ، يفتل شاربيه ، يميل الطربوش قليلا فوق رأسه ، ملقياً طرف الشرابة على رقبته .

أما في ليالي الشتاء فكثيراً ما كان ميجو يصبح داخل زريبة بيت مرضو .

كانت لبيت مرضو عتبةكبيرة بعض الشيء ، وكان المتسولون الواقفون أمام باب الكنيسة يلتجئون اليها في الشتاء لاتقاء البرد .

كثيراً ما كان ميجو يصادف متســـولين مجهولين ، فقد البعض منهم بصره فقداناً كاملاً ، الا انهم يجيدون الغناء . وآخرون ظهورهم محنية مثل الأكياس ، وبعيون دامعة ، كانوا يحبون رواية حوادث معينة ، لميجو عن غرامياتهم ، حتى ان ميجو رأى متسولين أيضاً لهم أطفال . في صمت الليل كانوا يرقصون فرحين مسرورين . كأنهم ليسوا اولئك المتسولين المساكين في النهار ، بوجوههم الحزينة . لكن ميجو كان قد أحب من بين هؤلاء الفرسان ذوي الأسمال متسولا واحداً ، في احدى عينيه غبش يحكي الحكايات . كانا يرقدان جنباً الى جنب وقد تمدد ميجو فوق سرج الحمار ، أما الشحاذ فقد جعل مخدة له كيس الخبز اليابس . وبعد فترة كنت تسمع الشحاذ ينادي .

ــ ميجو ووو .

ــ هيييه .

ــ أستيقظ .

ــ هممم .

ــ لقد صاحت الديكة .

لم يكن ميجو يستيقظ حتى يسمع الشحاذ يقول .

ــ ميجو استيقظ سأحكي لك هذه المرة حكاية الحصان الطائر .

كان ميجو يهرس انفه ويفرك عينيه ، ويستيقظ . كم كان يحب الاستماع الى حكايات الشحاذ . فالحـــكايات كانت بالنسبة اليه حيـــاة واقعية ، تأخذ وجودها ، عندما كان الشحاذ يبدأ راوياً .

ــ كان ياما كان ، ملك همام . . .

كان ميجو يمتطي متن الحصان الطائر مع بطل الحكاية ، يطير الى أطراف الدنيا ، يقاتل الجن وينقذ فتاته ، ويا لها من أعمال يقوم بها . . .

ذهب حتى ميجو ، في ذلك الشـتاء ، مع الشـحاذين الى القرى القريبة للتغرب . تجول معهم بعض القرى ويد الشحاذ على كتفه ، ثم عاد من جـديد الى القرية يحدوه شوق كبير .

* * *

كان الفصل ربيعاً . غـزرت مياه الينابيع ، وفاضت الجداول . نشرت الأشجار جذورها داخل التراب أكثر فأكثر . تحت كل تربة كانت البذرة تحبل . حياة في كل مكان — حركة في كل مكان . كل وشـمة للنبات تختلج في سـبيل الاخصاب .

كانت الثيران في الحقـول توسع فتحات مناخيرها ، وترفع خطـومها الى الاعلى تستشم مؤخرة الابقار .

ففي فيض حياة الربيع تـلك ، كان ميجو يشاهد كل صبـاح ممتطياً ظهر البقرة .

في يوم ربيعي دافىء ، دخل ميجو بستان الخضار العائد للعم سـوكيك لمطاردة طير هدهد أعرج سقط فوق سـطح كوخ البستان ، فاقترب ميجو من الكوخ . ماذا رأى . كانت زوجة العم سوكيك تحمم ابنتها الصغيرة لوسيك على عتبة باب الكوخ . لم يعرف ميجو لماذا اختبأ خلف الأشجار ، ولماذا أخذ يتأمل عري الفتاة وهي من أقرانه ، والتي كانت قد تكورت على نفسها عارية تقف على كعب من كعبيها ، فكأنها فينوس واقفة داخل آنية فخارية .

كانت امها تصب الماء بالطاسة وتمشط شعرها الطويل المبلل المرسل حتى ظهرها .

كان ميجو امير الحقول ، ولكنـــه لم يكن قد راى في الطبيعة كائناً يسحره بقدر ما سحره عري لوسيك . . نسي ميجو الهدهد ، نسي بقرته ، وخرج من بين الأشـــجار .

راته الام ولوسيك فجاة ميجو يقف قرب باب الكــوخ ، بجانب الشجرة ، صامتاً مثل الشجرة ، يتأمل دون أن ترف له عين .

ــ هيبيه ميجو ، ماذا تفعل هنا . صاحت الأم .

لميتكلم ميجو ، كان قد اصبح أخرس . بينما كانت لوســيك تضيق بخجل ما بين كتفيها اكثر فأكثر ، متخذة وضعية انسان مقرور .

لاحظت ام لوسيك بدهشة اللهيب في عيني ذلك الصبي الفتى ، وقد اشتعل بعري ابنتها .

ــ انصرف من هنا يا ميجو .

لم يتحرك ميجو من مكانه .

ــ هيبيه ، انصرف . صاحت الأم بغضب ، وخرجت من باب الكوخ الى البستان لطرد ميجو . بينما كان ميجو يسقط بقفزة واحدة ، في الطــرف الثاني من السياج . وغاب ميجو عن انظار لوسيك مثل الرؤيا كما ظهر فجأة .

في اليوم التالي ، اخذ ميجو بقرته الى قرب بستان العم سوكيك وقفز الى البستان من فوق السياج ، على بعد لا بأس به من الكوخ .

راى ميجو هذه المرة العم سوكيك وهو يحفر الأرض بالرفش وقد شمر

عن ساعديه . وبقربه وقفت لوسيك بجانب كيس البطاطا ، تساعد أباها .

كان العم سوكيك قد لاحظ ان ميجو تقفز من فوق السياج ، لكنه لم يغضب .

ـ هيبيي ، ميجو ، ماذا تعمل في هذه الأماكن . صاح العم سوكيك . ـ ايه تعال وساعد لوسيك حتى ننتهي بسرعة .

اقترب ميجو من لوسيك ، فنظرا الى بعضهما ، واصطبغ وجهاهما بالاحمرار .

ـ انظر الى لوسيك وافعل كما تفعل . أوعز العم سوكيك .

كان ميجو يتناول حبات البطاطا من داخل الكيس مثل لوسيك ، ويلقيها في الحفرة التي حفرها العم سوكيك ، ثم يغطيها بطبقة من التراب . كان الأمر سهلا وبسيطاً جداً ، ولكن ميجو لم ينقطع عن النظر الى لوسيك .

كانت لوسيك فتاة صغيرة في الثالثة عشرة من عمرها ، بجسمها الأسمر الذي احرقته الشمس . مثل سولاميت في نشيد الانشاد ، كان جسمها قد راى شمساً . كانت قدماها عاريتين فوق التراب . انها تقف على ساقيها العاريتين كأنها زهرة دوار الشمس ، تحوم حولها الفراشات تبغي الوقوف على فستانها ، على كتفيها ، وعلى جداول شعرها .

راى ميجو في لوسيك الحقل كله ، بفجره وبغروبه ، وجد فيها قطعة من طير الحمام ، قطعة من الثعلب ، قطعة من الأرنب ، قطعة من البقرة ، وقطعة من السماء . كان لعينيها جمال عيني عجل ما ، نزل فيهما هدوء الحقول وقلقها ، كان اشد نعومة من رفيق اجنحة صغار الحمام عندما كانت تطير فوق الرابية لتحط على صخور جبل القديس سركيس الناتئة الغبراء . كان سواد حاجبيها أشد من سواد ريشة غراب سقطت فوق الثلج كانت لفستانها الوان

زاهية مثل ظهر بقرتهم . كان ميجو يشعر بشيء مجهول ما كلما كانت كفه تلامس كف لوسيك أثناء اخراج البطاطا من داخل الكيس .

رأى ميجو فتيات مثل لوسيك في الحكايات التي كان الشحاذ يرويها له .

كان ميجو منزعجاً ، كما هي حالة حبة القمح تحت التراب عندما ترى أشعة الشمس .

لوسيك كانت شمس ميجو .

ما عاد ميجو يأخذ البقرة الى الرابية ، ففي كل يوم يذهب مع بقرته الى جهات بستان العمسوكيك ، فيترك البقرة في الأراضي اليابسة الجرداء ، ويقفز من فوق السياج الى البستان ويختبىء خلال المزروعات . كانت البقرة قد لاحظت ان ميجو لا يهتم بها كالسابق ، فكانت ترفع عقيرتها بالصياح تحت الشمس من لظى العطش . ما كانت تجد شيئاً لتأكله بين الحقول الجرداء ، فلم يكن ميجو يقترب منها ، ما عادت ترقد في ظل الأشجار ورأس ميجو مستقر على بطنها .

عبثاً كانت البقرة تخور في الحقل . بينما كان ميجو مختبئاً تحت مزروعات البستان يحرس كلما مر عصفور ، أو عندما تحرك الريح المزروعات ، عندما يسمع صوت العم سوكيك أو زوجته ، وأخيراً عندما كانت تظهر لوسيك بين الزرع بقامتها وقد وهبت شعرها للريح .

— لوسيك . كان ميجو يكلم نفسه بدرجة من العمق وبصوت لا يكاد يسمع ، بصوت حكيم رزين حتى انك تتخيله حيواناً عجماً انطلق لسانه فجأة بالكلام .

— لوسيك ألم تبق معك بطاطا للبذر . كان يكلمها ميجو وهو خارج من بين المزروعات .

لم تبق هناك حبات بطاطا للزراعة . فكانت لوسيك تمر مع الريح ، دون اجابة ، وتغيب بين المزروعات مثل الريح .

كم كان ميجو يتمنى ان يصبح فلاحاً عند العم سوكيك . يحفر التراب من الصبح حتى المساء ، أن يزرع البطاطا ، أن يقـوم بكل أعمال البسـتان . لن يطالبهم بشيء لقاء تلك الأعمال الثقيلة المتعبة ، ولا حتى كيلة من القمح . يكفيه ان يكون قرب لوسيك فقط ، ليصبح اخا لها .

ذات يوم آخر خرج ميجـو من بين المزروعات ايضاً عندمـا رأى مرور لوسيك . كان ميجو هذه المرة قابضاً على بومة بين يديه .

ـ لوسيك . ناداها ميجو .

فنظرت لوسيك باهتمام الى البومة بين يدي ميجو مقتربة منه .

ـ لماذا قبضت على تلك البومة ، حرام عليك يا ميجو . قالت لوسيك .

روى ميجو لها الحكاية التي كان الشحاذ قد رواها عن العجوز الشمطاء التي تطير راكبة متن المكنسة ، والتي تكشف عن الحظوظ ناظرة في احدى عيني البومة ، كما هي تحدد ساعات النهار .

زادت لوسيك اهتماماً ، وأخذت تنظر مع ميجو في عيني البومة ، فلم يجدا شيئا سوى صورتيهما ، في أعماق عين البومة جنباً الى جنب ، كأنهما جذبا الى بعضهما بخيط حريري ملون .

جلس ميجوولوسيك جنباً الى جنب . روى لها حكاية الشحاذ عن الحصان الطائر .لم يكن يرويها كما كان يرويها الشحاذ ،بل كان يجعل من نفســه بطل الحكاية ، يقاتل الجن ، يأخذ الحصـان الطائر ويطيران هو ولوسـيك بأجنحة الملائكة ممتطين صهوة الحصان ، فيجتازان الجبال والبحار . فتيان مسحوران

ببيكاس . كم كانا يحبـان التحليق جنبـاً الى جنب لرؤية العـالم ، لأن عالم لوسيك وميجو كان ينتهي خلف جبل القديس سركيس ، حيـث كانت الشمس تغيب .

كانا نسيا تلكالدنيا التي يعيشان عليها ، وللسفر الى العوالم الساحرة ، كانا يمتطيان صهوة الحصان السحري ، يمران من قرب القمـر ، عندما خرجت فجاة أم لوسيك من بين المزروعات وهي غضبى .

وهرب فجأة ميجو .

ــ ماذا تفعلين هنا يا بنت، بح صوتي وانا اناديك .الم اقل لك يا بنتألا تكلمي ذاك اللص ميجو ؟ . آه لو اسـتطعت القبض لحطمت له ركبتيه . قومي وانصرفي ، انصرفي حالا . اغسلي تلك الأواني . قالت أمها بغضب وشدتها الى الكوخ وهي تضربها .

لم تعد لوسيك بعدئذ ترغب في ان يأتي ميجو الى بستانهم . لم تعد ترغب في الذهاب الى العوالم المجهولة مع ميجو .

لم تتكلم بعد ذاك لوسـيك مع ميجو ، لأن ميجـو كان لصاً . كانت أمها تضربها عندما كانت تراها تتكلم معه .

* * *

مر ربيع ،ومر صيف وخريف ، لكن ميجو لم يكن ليتعد عن بستان العم سوكيك . فكان يترك البقرة في الحقـل ، وعلى الطرقات ، ويدخـل هو تحت المزروعات ليشاهد قامة لوسيك التي تنمو يومـاً بعد يوم . في مساء خريفي ، عندما خرج ميجو من بين المزروعات وجـد البقرة مفقـودة مسح الحقـل كله

بقدميه ولكن لم يجد لها أثراً ، ترى أكانت غاضبـــة منه ، فانصرفت عنه ، أين غابت يا ترى . اي عابر سبيل أخذها معه واختفى .

كانت البقرة قد فقدت ، وكانت أمه قد انقلبت الى كتلة من اللعنات .

ـــ آخخ يا ميجو ، يا ليتك مت ، وقذفت بجيفتك للكلاب آه‌ه يا اختي يا أمي لا تلوماني كانت لنا بقرة واحدة فقط فضيعها . ماذا أفعل ، أنا الأرملـــة ، أي باب أطرق .آه يا ميجو يا خرّاب البيوت يا ميجو .

كان آخر شهر للخريف ، انتقلت عائلة سوكيك من البستان الى القرية . وبعد ان قضى ميجو عدة ليال في كوخ أهل لوسيك المهجور ، وعندما اشتد البرد عاد الى زريبة عائلة مرضـــو . لم يكن ميجو يذهب الى البيـــت ، ولم تكن أمه تبحث عنه .

في ذاك الشتاء كان ميجو يساعد فلاحي عائلة مرضو ، فكان يسوق الثيران الى الماء ، وينقل تبناً من المتابن ، وكان كثيراً ما يمضي الليالي مع الشحاذ راوي الحكايات .

ـــ يا أخ ساكو . كان ميجو ينادي وهو يرقد فوق سرج الحمار .

لم يعد ميجو ذلك الفتى المتحمس فهو يقل من الكلام، ولصوته نبرة حزينة، وحتى ان الشحاذ كان قد لاحظ على وجه ميجو ظهور بثور صغيرة .

ـــ ماذا يا ميجو .

ـــ لقد أرقت ، ارو لنا مثالا يا أخ ساكو .

ـــ نم يا ميجو ، غداً مساء سأروي .

ـــ لا يا أخ ساكو ، اني أرق جداً .

ـــ ما بك يا ميجو ، بالله نم .

كان ميجو يريد التحدث عن اشـيـاء كثيرة ، ولكنــه لم يحدث أحداً بشيء ، ولا حتى صديقه الوحيد الشحاذ . كان ميجو صامتاً ، مثل الجبل المتطاول نحو السماء ، أو كأشجار السرو عاشقة النجوم .

ـ احك ، احك يا اخ ساكو ، آه ما أطول هــذه الليالي . كان يتحـدث ميجــو .

كان الشحاذ يبدأ الحديث ملتفتاً نحو ميجو ، ويبدأ الحديث وهو يرسـل خشخشة الخبز اليابس في الكيس تحت رأسه .

ـ كان يا ما كان ملك همام ، له ابنة صغيرة . . .

كانت الصوروة تبدأ في خيال ميجو ، وكان العم سوكيك يجلس على قمة جبل القديس سركيس بألبسته الزاهية ، وعلى رأســه تاج من الذهب له منظر قبعة القسيس . فكان الملك هو العم سوكيك ، أما ابنته فكانت لوسيك .

ـ ميجــو .
ـ ماذايا اخ ساكو .
ـ امستيقظ أنت .
ـ احكِ يا اخ ساكو .
ـ وذات يوم نزلت ابنة الملك تلك الىالحديقة الخاصة بهم مع الخدم . . .

كان ميجو يتخيل لوسيك ، وهي لابسة البسة ذهبيــة تنزل الى بستانهم مارة من طريق النبع .

ـ ميجــو .
ماذا اخ ساكو .

من هذاالذي بقربي .

ـــ احك احك احك يا اخ ساكو . انه العجل .

وكان الشحاذ يحكي ، كان يزوج بنت الملك بأحد الرعاة ، ويعقد لهم حفلة مرس لمدة اربعين ليلة ، ومن جديد يرسل خشخشة الخبز اليابس في الكيس ، ثم يدير ظهره لميجو وينام .

لم يكن النوم يداعب أجفان ميجو ، عبثاً كان ينتظر الفجر وعيناه تحدقان في السقف الثلجي الملفوف بالورق .

كانت ليالي ميجو طويلة جداً .

في امسيات الشتاء ، عندما تخلو الأزقة من السابلة ، كثيراً ما كان ميجو يقفز من باحة دار العم سوكيك الى الأسفل ، وينظر الى الداخل من ثقب نافذة صغيرة محجبة بالوروق . فكان ميجو يرى لوسيك وقد جلست قرب أمها تلف الخيطان ، وقطة الدار تلعب بطابة الخيطان . كانت أمها تغزل خيطاناً بالمغزل اليدوي ـــ . أما العم سوكيك فانه كان يشحط غليونه وهو متكىء على المخدة يتصفح الكتاب المقدس . كان ميجو يرى أحياناً لوسيك وهي تقترب من الجرة الحمراء وتجلب ماء لأمها أو لأبيها بالطاسة ، حتى انها كانت تقترب من النافذة ثم تبتعد عنها . كانت حركاتها الصامتة ذات مغزى عند ميجو .

كان ميجو يتأمل بأنفاس مكبوتة ، الهدوء السائد في بيت سوكيك ، كان يتأمل لوسيك ، يتأملها طويلا دون ان يشبع . لم يكن ليبتعد عن النافذة حتى يرى أصحاب البيت يؤدون صلاة المساء ، وحتى يرى العم سوكيك يفك زناره ويضعه فوق المخدة ، حتى تفك لوسيك أزرار فستانها . كان ميجو يبتعد عن النافذة عندما كانوا يطفئون السراج فقط .

في تلك الليلة تحدث ميجو مع الشحاذ كالعادة .

ــ اخ ساكو .

ــ ماذا يا ميجو .

ــ ارو لي مثلا يا اخ ساكو . كان صـــوت ميجو يضطرب ، وهو يرجو الشحاذ ، ففي الحكايات كان يجد حياته وعزاءه الوحيد .

ــ نم يا ميجو ، غداً عيد القديس سركيس ، سوف أستيقظ باكراً . كان الشحاذ يجيب .

غداً أحد القديس سركيس . نام الشحاذ باكراً تلك الليلة ليصعد في الغد جبل القديس كان الشـــحاذ أيضاً يعرف مصلحتـــه . كان الغد يوم النذور . فأصحاب النذورو سيأتون غداً زرافات ووحدانا من القرى القريبة لأداء النذور ، بعدصوم ثلاثة أيام . وكان يوم الشـــحاذ هو يوم النذور فالناس يغـدون اكثر كرماً في أيام الأعياد . يا ليت الثلج لا يسقط غداً ، ولا العاصفة تعصف . .

لم يكن الشحاذ يريد رفض رجاء لميجو . كانت عنده حكاية جديدة يرويها له في كل مرة . وفي هذه المرة روى له قصة القديس سركيس فأطنـــب في مدح حصانه . قال . ــ ان القديس يمتطي صهـــوة حصانه في الليالي العاصفة ، حصانه الطائر ، صهوة بيكاس ، يمر من فـــوق الجبل ، تاركاً على الصخـــور آثار سنابك حصانه . وروى له ، انه في كل سنة يصوم الشـــباب والصبايا ، ثم يحجون الى جبل القديس ويؤدون فريضة الصـــلاة ليمنحهم القديس البركة والجمال ، يقدمون طير الحمام ضحية لتحقق القديس امنيات قلوبهم .

اختصر الشحاذ قصته ونام .فلم يكد يغرق في سباته حتى استيقظ فجأة على صوت ميجو يسأله .

ــ اخ ساكو .

ــ هيبيه .

ــ أخ ساكو ، ذاك القديس سركيس ، هل يحقق أمنياتي ايضاً .

ــ طبعاً يحقق . بالله يا ميجو نم ، نم .

كان الصائمون محظوظين ، والشحاذ أيضاً كان محظوظاً . ففي يوم عيد القديس ، وان كان الطقس يميــل الى البرودة القارسة ، ولكن الشمس كانت مشرقة ، وكان الثلج يتلألأ تحت اشعة الشمس كذرات الجواهر المنثورة .

كان الشبان والصبايا قد اجتمعوا من القرى القريبة ، واخذوا يصعدون جبل القديس فرحين مسرورين ، وقد ارتدوا اثوابهم الزاهية .

ــ من ذاك . كان القرويون يتساءلون عندما كانوا يرون شخصاً ما يتبعهم وحيداً .

ــ لعله شحاذ ما . كان يجيب أحدهم .

ــ لا ، لا ، انه ذئب . كان يجيبه آخر مازحاً .

ــ وحياة أمي لا هو ذئب ولا هو شحاذ . انه ميجو ابن ساريك . كانت فتاة قوية البصر تصحح كان القرويون يمزحون لاثارة الضحــك ، وهم يعطون ميجو صفة الحاج .

ــ اقول لك شيئاً يا هــذا . ان ذاك المدعو ميجــو آت ليسرق شموع القديس .

ــ لا لا ، انه لا يصعد الى الاعلى . كان متكلم آخر يؤكد . ــ انه ذاهب الى افخاخ غوكاز الاقرع ، ليسرق الثعالب .

كان ميجو يتبع الجموع عن بعد ، بوضعية مشيّع ، كما يحدث احياناً ، يسير خلف الجنازة دون أن يكون مدعوا اليها .

كان ميجو حاجاً غير رسمي ، فلم يكن لديه قنباز بألوان زاهية ، كان طربوشه قذراً متسخاً ، وكانت قدماه داخل الحذاء المغطى بالتبن والجليد ، قد احمرتا من البرد القارس .

لم يكن ميجو يجد الشجاعة في نفسه ليصعد الجبل مع القرويين . لذا تبعهم دوماً عن بعد . كان الجمعقد احتشد حول صخرة القديس مشكلا حلقة . رأى ميجو عدداً من الشحاذين هناك ممن يعرفهم ، كان هناك المدعو منجيك بائع الحمام ، كذلك كان هناك قندلفت الكنيسة يبيع الشموع .

لاحظ ميجو ان بعضاً من الحجاج كان يشتري الحمام وآخرين يشترون الشموع ، وكل حاج كان ينحر الحمام فوق صخرة القديس ، ثم يركع مصلباً على وجهه ويبدأ بتأدية الصلاة ، طالباً من القديس أن يحقق له امنياته .

كان ميجو يتأمل كل هذا . كم كان يرغب في ان يركع هو ايضاً ويضرب براسه صخرة القديس ويقدم له صلاة صغيرة . ما همه اذا ضحك الحجاج من صغر سنه ، من وجهه المعفر، ومن أثوابه المهلهلة . كان ميجو على استعداد ليفعل ذلك لو كان يمتلك حمامة ما . لم يكن الحصول على حمامة ما . امراً صعب المنال بالنسبة لميجو . سبق الحجاج في العودة الى القرية . فتسكع عدة مرات حول قن الحمام لمنجيك ، انتظر فاقد الصبر حتى يخيم الليل ، حتى ينسحب الناس من الأزقة ، ويدخل منجيل ، مع زوجته ، الى الدار .

— هيييه يا رجال اسمع وقع اقدام على السطح . قالت نجاة زوجة منجيك .

— ومن سيكون في مثل هذا الوقت يا امراة الا تسمعين صوت العاصفة في الخارج ، والبرد .

تكلم الزوج والزوجة من جديد بعد فترة قليلة .

ـــ سقط شيء من قن الدجاج ، انهض وانظر ما الأمر ، هيا حرك نفسك .

ـــ اهتمي بعملك يا امرأة . حتى الكلب لا ينبح في مثل هـــذا الوقت ، ومن سيكون في هذا البرد ، انها الريح اسقطت خشبة من قن الدجاج الى الأرض . كان منجيك يجيبها وهو أمام السراج يعد اثمان الحمامات التي باعها في النهار .

لم تكن هي الريح ، ولم تكن العاصفة ، وانما كان ميجو ، تقفز من السطح على الأرض بعد ان سرق واحدة من اندر الحمامات التي يمتلكها منجيل .

اتجه ميجو نحو صخرة القديس سركيس ، قابضاً على الحمامة بقوة داخل عبه العاري ، فاجتاز الجسر ، حيث كان يمر مع بقرته في الأيام السعيدة . شاهد ميجو جبل القديس وقد لفته العاصفة من يعلم ، ربما كان القديس سركيس نفسه يمر من بين العاصفة والبرد ليأتي مرة واحدة في السنة .

ما اكثر الشبه بين لون العاصفة ولون حصانه . لماذا كان القديس في عجلة من أمره .

لا يزال هناك حاج متأخر ، هو ميجو ، الذي كان قد قطع نصف الطريق ، وهو يبث القوة في قدميه المخدرتين من البرد ، ليصل مع الضحية الى الهيكل حتى يؤدي صلاته الصغيرة ، بهذه المعاني .

« ايها القديس العظيم سركيس ، انحر على صخرتك ضحيتي هذه ، وهي أندر حمامة من حمامات منجيك والتي سرقتها .

انا لا أريد منك القوافل ، أيها القديس العظيم ، ولا اريد تاجاً ولا قصراً . أعطني قوة جيوشك ، اعطني قوة صخور مزارك ، اعطني نبل حصانك لأكون فلاحاً عند عائلة العم سوكيك » .

في الصباح التالي ذهب غوكاز الاقرع باكرا الى جبل القديس ليستطلع وضع افخاخه ، صعد الجبل ، وقبل الوصول الى صخرة القديس وجد جثة ميجو ، وقد تقلصت ركبتاه والصق شعره في الجليد وانتصبت عيناه الى الاعلى كانهما في وضعية الترجي قد غرستا في صخرة القديس .

ــ يا ابن الكلب ، لو كنت تريد فخاً لأعطيتك اياه . قال غوكاز ، وقد تألم ، وشتم لأنه فقد حياته سدى من اجل فخ للثعالب .

وفكر . ــ لا شك ان ميجو جاء ليسرق فخه .

حمل غوكاز الاقرع جثة ميجو كما كان يحمل جثة ثعلب ما ، في اكثر الاحايين ، ونزل الى القرية مباشرة .

كانت الجثة ثقيلة . وقبل أن يصل الى بيت لوليك اوفان ، وضع حمله فوق عجله .

كان الوقت باكراً ، ولم يكن الدخان آخذاً في الصعود من المداخن بعد . كانت الأبواب المتجمدة في جحورها تكاد تزعق من جديد بالتتالي ، وكان القرويون يخرجون حديثاً من بيوتهم لتنظيف الثلوج المتراكمة على ابوابهم ، وللمرور على الكنيسة .

ــ ما هذا يا غوكاز . تقد أحد المصلين سائلا .

روى غوكاز الاقرع الحقيقة الاليمة . وتجمع آخرون ايضا شيئا فشيئا .

وكان لكل واحد ما يقوله ، لان ميجو كان قد تعامل مع الجميع . فكان قد سرق دجاجة أحدهم ، وضرب بالحجارة نافذة الآخر ، وقطع ذيل حمار الثالث .

ــ في هذا الصيف، يا ناس ، عانينا منه الامرين ، لقد اسقط جميع حجارة حيطان بستاننا ، كانت المتكلمة هي ام لوسيك .

واشاروا على غوكاز الاقرع بأن يحمل الجثة الى الكنيسة . لأنه كان يهيأ لهم ان امه لن تتعرف حتى على جثته . ولكن التي كانـــت تركض من بعيد هي امه وقد تناثرت جدائل شـــعرها في الهـــواء ، وجن جنونها كمن يهرب من هول حريق ما . فكانت تركض،ثم تلقي بنفسها فوق جثته تضمها على صدرها ساكبة أحر الدموع .

ـ آخ يا ميجو ، ميجو ، يا ولدي السبع ، كنـــت ابيع داري لأشتري لك فخاً ، ميجوو ،ميجوو ، فداك روحي ، فدى قامتك . استيقظ يا ميجو ، آه يا سبعي ياحبيبي.

لم يعرف أحد لماذا تجمد ميجو .

❋ ❋ ❋

التمثال الثلجي

قصة : ناتانيل هوثورن — ترجمة : عصام صبري

كان الوقت بعد الظهر في يوم شتوي شديد البرودة من تلك الأيام التي تتألق فيها الشمس مضيئة بعد عاصفة طويلة حين سأل طفلان أمهما أن يلعبا قليلا خارج المنزل في الثلج الذي تساقط منذ قليل ·

كان الطفل الاكبر بنتا دعاها أهلها « بنفسج » وكان أخوها الطفل الآخر يعرف باسم « فاوانيا »(١) لوجهه العريض المدور الصغير الذي يذكر من يراه بالشمس المشرقة أو بالورد الاحمر المتفتح القاني ·

كان والد الطفلين السيد « لندسي » ، وهذا جدير بالاشارة ، أمرأ ممتازاً · كان من نوع الرجال أصحاب الحوانيت الذين يعتمدون الحس السليم في كل الأمور له قلب طيب فيه من الحنان مافي القلوب الاخرى ولكن رأسه كان جامداً الى حد بعيد · وهو لذلك ربما كان فارغاً مثل وعاء معدني مغلقاً أمام سحر الخيال · وذلك كان جزءاً من حرفته وهي حرفة البائع ·

من جهة أخرى كانت الأم ذات مزاج فيه نصيب من الشاعرية ،

(١) فاوانيا أو عود الصليب نبات ذو أزهار كبيرة حمر وبيض

وكان عليها مسحة غامضة من الجمال · كانت زهرة رقيقة نمت في شباب كثير الاوهام ومازالت تحتفظ بنفسها غضة في غبار وقائع الزواج والأمومة ·

ذكرنا أن بنفسج وأخاها سألا أمهما أن تسمح لهما بالركض واللعب في الثلج الجديد · كان الطفلان يعيشان في مدينة وكان أوسع مكان للعب عندهما حديقة صغيرة هي مدخل المنزل تطل عليها نوافذ الردهـــة ·

قالت الأم الرقيقة : أجل بنفسج أجل يافاوانيا الصغير تستطيعان الذهاب واللعب في الثلج الجديد ·

ومن أجل ذلك ألبست الأم طفليها العزيزين ملابس صوفيةسميكة وقبلتهما ، وخرج الطفلان بقفزة حملتهما دفعة واحدة وسط كومـة ثلجية عظيمة ·

ما أسعد ذلك الوقت ! وما أحلاهما يلعبان في الحديقة الشتوية ! انك لتظن أن العاصفة لم تهب الا لتهيء لعبة جديدة لهذين الطفلين العذبين ·

وأخيراً بعد أن غطى كلاهما الآخر بحفنات الثلج وبعد أن ضحكت بنفسج بكل قلبها من وجه فاوانيا الصغير طرأت عليها فكرة جديدة ·

« إنك تبدو تماماً مثل لعبة ثلجية يافاوانيا · لو لم يكن وجهك أحمر الى هذا الحد · وهذا يذكرني بأمر · لم لانصنع لعبة من الثلج

بوجه بنت صغيرة • عندئذ تكون أختا لنا ندور حولها ونلعب بها طوال الشتاء • ألا يكون ذاك لطيفاً ؟ »

قال فاوانيا : « أجل ـ بقدر ما كان يستطيع الكلام لأنه كان صغيراً جداً ـ يكون ذلك لطيفاً وسوف تراها أمي إذ ذاك »

وللحال شرع الطفلان يعملان بهذه المهمة العظيمة ، على حين كانت أمهما جالسة الى النافذة تسترق السمع لشيء من أقوالهما وهي تبتسم للجد الذي يلعبان به • كانا يظنان حقاً أن بوسعهما خلق بنت صغيرة من الثلج • وكانت الأم مبتهجة وهي تراقب وجهيهماالصغيرين • البنت أطول من سنها ، خفيفة الحركة ، مشربة اللون ، أما فاوانيا فكان سميناً أكثر منه طويلا • وتابعت الأم عملها وكانت لاتملك الا أن تلتفت بين فترة وأخرى الى النافذة لتتابع كيف يصنع الصغيران لعبتهما • وتفكر :

« ما أروع طفليّ » وتبتسم بفخر : « أي أطفال آخرين يستطيعون أن يصنعوا وجه طفلة من الثلج ؟ حسناً ولكن علي أن أنهي بذلة فاوانيا الجديدة • إن جده قادم غداً ، وأريد أن يبدو الطفل مرتباً أنيقاً أمام جده » •

وتناولت البذلة وانهمكت في شغلها وكانت تعمل بسهولة وسعادة وهي تسمع أصوات بنفسج وفاوانيا • ومع مضي الوقت لم تعد تسمع بوضوح ماذا كانا يقولان • ولكنك ، أيها القارىء الكريم ، تعلم أن الأم بقلبها تسمع أكثر منها بأذنيها •

نادت بنفسج : « فاوانيا فاوانيا ! » وكان أخوها قد ذهب الى الطرف الآخر من الحديقة • « هات لي من ذلك الثلج الغريض الطازج في الزاوية القصوى تلك حيث لم تدس أقدامنا » •

ولما أن سمعت الأم ذلك فكرت : « كم يكون مناسباً ورائعاً اذا جاء أطفال من السماء ولعبوا مع طفليهما وساعدوهما في صنع اللعبة الثلجية » • قالت في نفسها : « طفلي وطفلتي يستحقان لعبة يصنعها أطفال السماء » ثم ابتسمت ثانية بفخر الأمومة • لكن الفكرةاستولت على خيالها • وبين فترة وأخرى كانت تلقي نظرة من النافذة • وشاهدت ، وهي نصف حالمة ، أطفال السماء بشعورهم الذهبية يلعبون مع طفلتها بنفسج الذهبية الشعر ومع فاوانيا ذي الوجه المتلألىء •

نادت بنفسج : « فاوانيا اجلب لي بعض الثلج من أغصان الشجرة المتدلية • أريد أن أصنع شعراً ناعماً لرأس أختنا الثلجية » •

ـ « ماهو ذا يابنفسج » أجاب الصغير « حذار أن تهشميه • أحسنت صنعاً لله ما أجملها ! وهتفت بنفسج « الآن نحتاج الى كسرات صغيرة لامعة من الجليد لنصنع بريق العينيين • انها لما تنته بعد ! سترى ماما كم هي جميلة ! أما بابا فسوف يقولُ هذا هذر لاطائلَ فيه ، ! تعالا الى المنزلَ من البرد » •

قالَ فاوانيا : «فلننـادِ ماماتنظر» ثم صار ينادي «ماما • ماما! انظري ، ماأجمل البنت الصغيرة التي صنعناها » وضعت الأم شغلها

لحظة ونظرت من النافذة . كانت أشعة الشمس تلمع في عيني السيدة فلم تر بوضوح ماذا كان في الحديقة . ومع ذلك فقد لمحت هناك وجهاً أبيض صغيراً له شبه بالبشر وهمهمت في نفسها « انهما يصنعان كل شيء أفضل من غيرهما من الأطفال فلا عجب أن يصنعا أحسن لعبة ثلجية ! »

وجلست ثانية لتنجز عملها وأخذت تسرع فيه بكل استطاعتها لان المساء يهبط عما قليل وهذه بذلة فاوانيا لما تنته . قالت بنفسج : « ما أظرف هذه اللعبة ستبقى لنا مدى هذا الشتاء الطويل آمل ألا يقلق أبي من أن تسبب لنا البرد . ألاتحبها يافاونيا ؟ »

هتف فاوانيا « أجل سأضع ذراعي حولها وستجلس الى جانبي وتشرب قليلا من لبني الدافىء » .

أجابت بنفسج بحكمة عظيمة : « لا يافاوانيا هذا لايجوز . لبن دافىء لاينفع أختنا الثلجية الصغيرة.ان الناس الثلجيين مثلها لايأكلون الا الجليد لا يافاوانيا لن تعطيها أي شيء دافىء تشربه ! » وساد الصمت دقيقة أو دقيقتين وفجأة هتفت بنفسج بفرح وبصوت عال :

« انظر يافاوانيا ! تعال بسرعة لقد لمع نور في وجهها مثل لون الغيمة الوردية وبقي النور فيه أوليس ذلك رائعا ؟! » أجاب فاوانيا : « هذا جـ ـ م ـ ي ـ ل » وهو يهمس ذاهلا بتؤدة . « يابنفسج انظري الى شعرها هو كالذهب » قالت بنفسج « نعم . حقاً هذا اللون تعرفه جاء من الغيوم الذهبية التي نراها فوق وهناك في السماء . لقد انتهت

الآن تقريباً ولكن شفتيها يلزم أن تكونا حمراوين وأشد حمرة من وجهها لعل ذلك يتم اذا قبلناها أنت وأنا » حينئذ هبت الريح الغربية في الحديقة • وكانت الأم على أهبة نداء طفليها ليدخلا عندما هتف الطفلان معاً بأعلى صوتيهما • لم تكن صرخة دهشة ، بل صرخة اثارة شديدة • « ماما ماما أنهينا صنع أختنا الثلجية وهاهي ذي تركض معنا في الحديقة » •

لم يعد بوسع الأم أن تؤجل النظر من النافذة • وماذا تظنون أنها رأت ؟ رأت بنفسج وفاوانيا طبعاً طفليها العزيزين ولكن من أو ماذا رأت الى جانبهما ؟ لاأعلم إن كنتم تصدقونني ! كان الى جانب طفليهما بنت صغيرة ترتدي ثياباً بيضاء ، ذات وجه مورد وشعر ذهبي ، تلعب في الحديقة معهما •

وذهبت السيدة اللطيفة الى الباب وهي تنوي أن تدعو الغريبة الصغيرة الى الردهة المريحة • ولكن لما فتحت باب المنزل توقفت هنيهة مترددة هل يمكن أن تتكلم معها ؟

لقد كانت ترتاب • هل هذه طفلة حقيقية أم غيمة ثلجية خفيفة تهب هنا وهناك في الحديقة مع الرياح الغربية •

وفي أثناء لعب الأولاد وقفت الطفلة الغريبة بين بنفسج وفاوانيا وأمسكت بيد كل منهما وأخذت ترقص وهما يتبعانها وبعد ذلك مباشرة سحب فاوانيا يده وبدأ يفركها كأن أصابعه قد تجمدت من البرد • وفي كل هذه المدة كانت الام واقفة بالباب ذاهلة كيف يمكن

أن تشبه طفلة صغيرة الثلج المتطاير الى هذا الحد ؟ أم كيف يمكن للثلج المتطاير أن يشبه طفلة صغيرة الى هذا الحد • ونادت الأم بنفسج وهمست لها : « عزيزتي بنفسج هلتسكن الصغيرة بالقرب منـــا ؟ »

أجابت بنفسج : « لماذا ياأعز أم ؟ » ـ وكانت تضحك لأن أمها لم تفهم القضية بسهولة ـ « إنها أختنـا الثلجية الصغيرة التـي صنعناها منذ قليل ! »

في تلـك اللحظـة جـاء سرب من عصافير الثلج يطير في الهواء وحطّ على كتفي البنت الثلجية • وأخذ الطفلان يضحكان لهذا المنظر الرائع وهما يستمتعان الى أبعد حدود المتعة •

قالت الأم حائرة : « بنفسج قولي الحقيقة دون مزاح من هذه البنــت ؟ »

أجابت بنفسج وهي تنظر جادة في وجه أمها وتعجب لان أمها تحتاج الى شرح أكبر : « ياأمي العزيزة لقد أخبرتك الحقيقة • هذه البنت ماهي الا أختنا الثلجية التي صنعناها أنا وأخي » وقال فاوانيا بوقار : « نعم يا أمي هذه طفلة ثلجية أليست لطيفة ولكن يدها ياأمي باردة جداً » •

وبينما كانت الأم حائرة ماذا تفكر وماذا تفعل انفتحت بوابة الطريق وظهر والدبنفسج وفاوانيا ملتفعاً معطفاً ثقيلا وقبعة من الفرو تنزل حتى أذنيه ولابساً أشد القفازات ثخانة •

كان السيد لندسي رجلا في منتصف العمر ينمّ وجهه على التعب والرضى كما لو كان عمل طوال اليوم ، وهو مسرور أن يعود الى بيته الهادىء • ولمعت عيناه لمرأى زوجته وطفليه ولكنه لم يملك الا أن يدمدم بكلمة أو كلمتين من المفاجأة وهي أن يجد أسرته كلها في الهواء الطلق في مثل هذا اليوم البارد • وبعد الغروب أيضاً • ولحظ بسرعة الصغيرة الغريبة البيضاء ترقص في الحديقة وسرب العصافير الثلجية يحلّق فوق رأسها • سأل الرجل المرهف الحس : « ياالهي من تكون تلك الفتاة الصغيرة ؟ لابد أن لها أماً مجنونة كي تدعها تخرج بهذه الملابس الرقيقة البيض وهذا الحذاء الخفيف في مثل هذا اليوم القارس ! »

قالت الزوجة : « زوجي العزيز لاأعرف عن هذا الشيء الصغير أكثر مما تعرف أنت • لعلها طفلة بعض الجيران على ما أظن • تلح بنفسج وفاوانيا أنها لعبة ثلجية صنعاها في الحديقة بعد الظهر » « هذا هذر لا معنى له يا أطفال » قال الأب الطيب الفاضل الذي كان فيه الكثير من الحس السليم حين يعالج الامور • « لاتقولا لي إنكما تصنعان وجوها حية من الثلج • تعالي يا زوجتي لايجوز أن تبقى هذه الغريبة في الهواء القارس لحظة أخرى • سندخلها الردهة وتقدمين لها عشاء من الخبز الساخن والحليب • اجعليها تشعر بالراحة بقدر ما تستطيعين وأنا ذاهب أستطلع خبرها بين الجيران »

قال الرجل الكبير القلب هذا وهو يتجه نحو الطفلة البيضاء • ولكن بنفسج وفاوانيا أمسكا بيد والدهما يتضرعان ويرجوانه الا يدخلها إلى المنزل •

صرخت بنفسج « أبي العزيز ما قلناه صحيح انها طفلة الثلج لاتستطيع أن تحيا الا اذا تنشقت الريح الغربية الباردة لاتدخلها الى الغرفة الحارة ! »

أجاب : « هذا هذر يا طفليّ لامعنى له ، لامعنى له » سارعا الى المنزل فوراً لقد فات وقت اللعب خارج المنزل ، والآن بوسعي أن أعتني بهذه البنت الصغيرة والا ماتت من البرد » • دخل السيد لندسي الحديقة مبعداً طفليه اللذين كانا يصرخان بحدة ويرجوانه بتفجع أن يترك الطفلة الثلجية تنعم وتلعب في الريح الغربية الباردة • وكذلك حركت الدمية البيضاء رأسها كأنها تقول : « رجاء لاتلمسني » وأخذت تبتعد وهي تراوغه الى أعمق مكان من الثلج وبعد فترة طويلة ومشقة كبيرة قبض على الغريبة الصغيرة في الزاوية فلم يسعها عندئذ أن تفلت منـه •

أخذ الذهول الزوجة وهي ترقب الطفلة الثلجية تلمع بالضـوء وفكرت أن من الغريب ألا يرى السيد لندسي في مظهر الطفلة الثلجية شيئا عجيبا •

وصرخ الرجل النبيل : « تعالي أيها الشيء الصغير الغريب لقد أمسكت بك أخيراً • وسأجعلك تنالين الراحة على الرغم منك » وقبض على يدها « تعالي الى الداخل » وبابتسامة ودود أمسك الرجل (الذي يجب أن يجد لكل شيء معنى) بيد الطفلة الثلجية ، وقادها الى داخل المنزل • وكانـت تتبعـه بتردد وقد غـاض الـرواء من وجـهها • ولما

صعدت درجات الباب نظرت بنفسج وفاوانيا الى أبيهما ضارعين ، جفونهما ملأى بالدموع ورجاه مرة أخيرة ألا يدخل لعبتهما الثلجية الى المنزل • وقال صاحب القلب الكبير : « عجباً ! لا أدخلها المنزل ، لماذا ؟ إنها ترتعش برداً وقد تجمدت يدي من يدها رغم ثقل قفازي هل تريدانها أن تتجمد من البرد ؟ »

وحملقت الزوجة بالطفلة الغريبة عندما اجتازا السلم وكانت تشعر أنها بين الحلم واليقظة • وقالت : « وَبَعدُ فيازوجي انها تبدو حقاً دمية ثلجية • أنا واثقة انها مصنوعة من الثلج ! »

أجاب الزوج : « الثلج ؟ لاغرو أن تبدو كالثلج انها نصف متجمدة ! يا لهذا الشيء الصغير المسكين ! ولكنّ النار الدافئة ستصلح كل شيء ! »

ودون مزيد من الكلام ساق السيد لندسي الدمية الصغيرة البيضاء من الهواء البارد الى الردهة المريحة •

كان الموقد مليئاً بالفحم يرسل لهباً مضيئاً • وانتشرت رائحة الدفء في أرجاء الغرفة • وكان البساط الأحمر والستائر الحمراء تضفي مزيداً من الدفء • كان الفرق بين جو الغرفة والجو خارج المنزل كالفرق بين النار والقطب الشمالي •

وضع الرجل ذو الحس السليم الطفلة الثلجية فوق البساط قبالة الموقد • وهتف : « الآن ترتاح ! » وطفق يفرك يديه وهو يبتسم ابتسامة الرضى • « يابنتي اعتبري هذا منزلك !

كانت اللعبة الصغيرة البيضاء تبدو حزينة • وامتد بصرها عبر النافذة لترمق الليل البارد • وكانت الريح تصفق النافذة كأنها تنادي الطفلة أن تعود الى خارج المنزل • ولكن الطفلة الثلجية كانت تذوب أمام الموقد • والرجل صاحب الحس السليم لم يجد في ذلك أي ضير أو خطأ •

وقال « تعالي يازوجتي اجلبي لها بعض الثياب الدافئة وسأطلب من الخادمة « دورا » أن تعجل فتعد لها عشاء ساخناً لاني أنا ذاهب الى الجيران أستفسر أمرها حتى أجد أهلها » •

وكانت الزوجة تطيع زوجها دائماً فذهبت لتأتي بالثياب ورحل السيد لندسي وأغلق الباب بهدوء وراءه ولم يكد يجتاز البوابة حتى سمع بكاء الطفلين •

ونادت الزوجة : « زوجي • زوجي » وكان وجهها يبدو من النافذة مكفهراً مرتعباً مرتعشاً « لا حاجة أن تذهب الى أهل الطفلة » وعندما دخل ابتدره الطفلان : « لقد حذرناك يا أبي ألا تدخلها الردهة هاهي ذي أختنا الثلجية العزيزة الجميلة قد ذابت • » كانت الدموع تغطي وجهيهما الصغيرين العذبين • وعندما استوعب الأب هذه الأمور الغريبة تحدث أحيانا كل يوم في العالم أحس بشيء من القلق وخاف أن يذوب طفلاه يوماً ما •

قالت الزوجة : « ألا ترى هذا كل ما بقي منها » وكانت تشير الى بركة ماء أمام الموقد •

وهكذا تلاحظون احدى الحالات التي نادراً ما تحدث ويجد الحس السليم نفسه فيها أنه مخطىء ٠

احدى العبر التي نأخذها من تلك القصة هي أن الرجال ذوي الارادة الطيبة يجب أن يمعنوا النظر فيما يقدمون عليه، كما يجب وقبل أن يتصرفوا وفق أهوائهم وأهدافهم أن يتحققوا طبائع الاشياء وعلائق القضايا التي بين أيديهم ٠ وان ماهو خير لكائن ما ربما كان شراً لكائن آخر ٠ ولكن لاشيء يمكن تعليمه الرجال الحكماء أمثال مستر لندسي ٠ انهم يعرفون كل شيء ٠ يعرفون كل ماحدث وكل مايحدث وكل ما يمكن أن يحدث في المستقبل ٠ واذا طرأت حوادث غير عادية فهم لايميزونها ولايفهمونها ولو كانت تحت سمعهم وبصرهم ٠

نادى السيد لندسي بعد صمت زوجته وقال لها : « انظري كم أدخل الأطفال من الثلج بأقدامهم ٠هنا بركة أمام الموقد ٠

هيا اسألي دورا أن تأتي بممسحة وتنشفها ٠

تعريب :

السيدة عصام صبري

* * *

مسرحيتان

. ماهـــو ثمن الحديد

برتولت بريشت

ترجمه : د. عادل قره شولي

.. الكـــلاب

نيقولاي حايتوف

ترجمة : ميخائيل عيد

ما هو ثمن الحديد

مسرحية قصيرة: برتولت بريشت ترجمة: د. عادل قره شولي

الاشخاص : سفيندزون • الزبون • بائع التبغ • بائعة الاحذية • السيد • السيدة •

تقديم

أيها الاصدقاء فيما يلي نقدم اليكم أمثولة صغيرة
حكاها ذات يوم رجل من بلاد الانكليز
فقد تورط مع طالبين من السويد في مقهى
بالقرب من « أولد فيك » بنقاش حول السياسة
ولم تستطع أقداح الـ « أوله » ولا « البراندي »
أن تحسم هذا النقاش
لذلك كتب لهم الرجل في اليوم التالي
رأيه حول الوضع السياسي
في أمثولة قصيرة :

وها نحن أولاء نعيد الآن هذه الامثولة أمامكم ٠
المكان : دكان لبيع الحديد ٠
لن أقول لكم من هو التاجر فسوف تحزرونه دون عناء
أما بائع التبغ وصاحبة الجزمة
فسوف يتعرف عليهما الانسان ببساطة حتى ولو كان نصف أعمى
ولن يأتي الفصل الاخير ، على أبعد تقدير ،
حتى تكونوا قد عرفتم بأنفسكم الزبون الذي يشتري الحديد
أما عن العبرة في هذه الامثولة فلابد أن يدركها
كل من لم يزل في رأسه ذره من عقل ٠
دعونا اذن نبدأ الآن

دكان لبيع الحديد يتكون من طاولة وباب خشبيين .

١

قضبان حديدية يقوم تاجر بتلميعها بقطعة من القماش . تقويم كبير معلق على سلم خشبي ذي مطلعين كالذي يستخدمه الدهانون ، وقد ظهر على التقويم رقم سنة ١٩٣٨ .

يدخل بائع التبغ حاملا تحت ذراعه علبة تحتوي على سيجار من نوع معين .

بائع التبغ : صباح الخير ياسيد سفيندزون ٠ معي اليوم تبغ ممتاز، السيجار بثلاثين « أوره » ، أوستريلو أصلي ٠

سفينزون : صباح الخيرات ،سيدنمساوي ٠أرني سيجارا ٠رائحة ممتازة بالفعل انت تعرف كم أحب تدخين تبغك ٠ لكن تجاره الحديد لا تمشي كما أريد ٠ هذا يضطرني للتخفيف من التدخين ٠ لا أستطيع للأسف أن أشتري اليوم منك شيئا ٠ أحوالي لاتسمح لي بذلك ٠ على كل لابأس يا سيد نمساوي ٠ خيرها بغيرها ٠

بائع التبغ : هذه خيبة أمل بالنسبة الي ٠ لكنني أفهم بالطبع هذا ٠ (يضب البضاعة ٠)

سفينزون : هل كانت الجولة جيدة ، ياسيد نمساوي ؟

بائع التبغ : لم تكن للاسف كما ينبغي لها أن تكون ياسيد سفيندزون لأن دكانك معزولة بعض الشيء ٠

سفينزون : ماذا ؟ دكاني معزولة ؟ هذه أول مرة أسمع بها ذلك ٠

بائع التبغ : حقا ، أنا أيضا لم أشعر بذلك من قبل أبدا ٠ كل منا يعيش في الواقع بعيدا بعض الشيء عن الآخر ٠ لكنني التقيت اليوم وأنا في طريقي اليك برجل ترك لدي انطباعا غريبا جدا ٠

سفينزون : وهل أزعجك ؟

بائع التبغ : بالعكس ٠ حدثني الرجل وكأنه يعرفني من زمن بعيد ٠ فقد ناداني مباشرة باسمي الاول وقال لي اننا أقرباء ٠

قلت له لكنني لم أعرف ان لي أقرباء • ماذا ؟ قال لي ، أنت لا تعرف ان لك أقرباء ، وتنظر الي وكأنني قرش مزيف أيضا • ثم أوضح لي مدى القرابة بيننا • وكلما كان يمعن في حديثه كلما كانت قرابتنا تزداد •

سفينتزون : وهل في هذا مايزعج ؟

بائع التبغ : كلا ، لكنه قال ، انه يريد أن يأتي في المرة القادمة لزيارتي •

سفينتزون : تقول ذلك وكأنه قال لك هذا بلهجة تهديد •

بائع التبغ : والله لاأدري • الكلمات كانت عادية جدا ، فقد قال انه ربما كانت له غلطة واحدة ، وهي ان لديه حسا عائليا رهيبا للغاية • وانه حين يكتشف ان أحدا ما يمت اليه بصلة قربي مهما يكن شأنها ، فهو لا يستطيع العيش بالمرة دون هذا القريب •

سفينتزون : وهل في ذلك مايزعج •

بائع التبغ : كلا ، لكنه حين قال ما قال ، كان يصرخ بشكل مريب

سفينتزون : وهذا هو الذي أرعبك ؟

بائع التبغ : بصراحة ، لقد أرعبني ذلك كثيرا جدا •

سفينتزون : مالك ترتجف هكذا يارجل •

بائع التبغ : لأنني أفكر به •

سفيندزون : يبدو أن أعصابك مرهقة · عليك أن تأتي الى هنا لتعيش في هذا الهواء النقي ·

بائع التبغ : قد تكون على حق · الأمر الوحيد الجيد هو أنه على ما يبدو غير مسلح · والا لكنت اصبت بقلق حقيقي · ولكن على كل انسان أن يحك جلده بظفره، فلن يستطيع أحد مساعدة الآخر ·

سفيندزون : معك حق ·

بائع التبغ : وقد شعرت أيضا باحساس غريب حين اقترح علي قبل أن يتركني أواصل السير ، أن نعقد بيننا حلفا ينص على ألا يتحدث هو عني أبدا بسوء ، وألا أتحدث أنا عنه بسوء أبدا ·

سفيندزون : لكن هذا الاقتراح يبدو في الواقع معقولا جدا · وهو يحقق معاملة مطلقة بالمثل ·

بائع التبغ : حقاً ، أتعتقد هذا ؟

(فاصل صمت قصير)

بائع التبغ : ربما كان علي أن أدبر لنفسي سلاحا ما ·

سفيندزون : حتما ، هذا لايشكل أي ضرر ·

بائع التبغ : لكن الاسلحة غالية للاسف ·

سفيندزون : معك حق ·

بائع التبغ : الى اللقاء ، اذن ، ياسيد سفيندزون ·

سفيندزون : الى اللقاء سيد نمساوي ·

(بائع التبغ يخرج من الدكان . سفيندزون يقف من مكانه ويقوم بمرافقة موسيقى مملة بتمارين سويدية مستخدما في ذلك قضبانه الحديدية . يدخل زبون وهو رجل يلبس طقما لايناسبه .)

الزبون : (بصوت مبحوح :) كم هو ثمن الحديد ؟

سفيندزون : القضيب بـ « كرونة واحدة » ·

الزبون : غالي ·

سفيندزون : لابد لي أيضا أن أعيش ·

الزبون : هكـذا ·

سفيندزون : وجهك يبدو لي مألوفا ·

الزبون : حتما كنت تعرف أخي · فقد كان يأتي كثيرا الى هنا ·

سفيندزون : وكيف أحواله ؟

الزبون : أعطاك عمره · وخلف لي تجارته ·

سفيندزون : يؤسفني جدا سماع هذا ·

الزبون : (مهددا :) حقـا ؟

سفيندزون : لست آسفا بالطبع لأنك تمتلك الآن تجارته ، بل أعني انني آسف لوفاة المرحوم ·

الزبون : يبدو لي أنك كنت صديقا حميما له ·

سفيندزون : ليس حميما جدا · لقد كان زبونا جيدا لاغير ·

الزبون : أما الآن فأنا هو زبونك ·

سفيندزون : أنا في الخدمة · هل تريد أيضا قضيبين مثل أخيك ؟

الزبون : أربعة قضبان ·

سفيندزون : بأربع كرونات ·

الزبون : (يخرج من جيبه بعض الاوراق النقدية · بتردد :) انها متسخة قليلا ، فقد اندلق عليها شيء من فنجان القهوة هل يزعجك ذلك ؟

سفيندزون : (وهو يتفحص الاوراق النقدية :) لكن هذه البقع ليست بقع قهوة ·

الزبون : ماهي اذن ؟

سفيندزون : لونها أحمر ·

الزبون : اذن هي بقع دم · (فاصل :) جرحت اصبعي · (فاصل :) هل تريد النقود أم لا ؟

سفيندزون : لا أعتقد انني سأجد صعوبة في صرفها من جديد ·

الزبون : كلا · لن تجد ·

سفيندزون : الامر ، اذن ، طبيعي ·

(يضع النقود في الصندوق ، بينما يأخذ الزبون القضبان ويحملها تحت ذراعه · بلهجة ودية :)

بالمناسبة تذكرت شيئا • قبل قليل مر من هنا بائع تبغ أعرفه منذ زمن بعيد • وقد شكا من غريب أوقفه وضايقه وهو في طريقه الى هنا • هل صادفت أحدا ضايقك ؟

الزبون : كلا ، لم يضايقني أحد • ولم يكلمني أيضا أحد ، وهو أمر في الواقع مستغرب • يبدو ان صاحبك كذاب من أحط النمر •

سفينذزون : (وقد جرحه هذا القول :) لاتتكلم أرجوك بهذا الشكل عنه •

الزبون : العالم مليء بالكذابين واللصوص والقتلة •

سفينذزون : رأيي في الواقع مختلف عن رأيك في هذا • فقد بدا صاحبي صادقا في قلقه ، حتى انني فكرت ان اتخلى له عن قضيب كي يتمكن من الدفاع عن نفسه عند الضرورة •

الزبون : لاأنصحك أن تفعل مثل هذه الفعلة • فاذا قمت عمليا بتسليح جميع الناس ، فسوف يثير ذلك دون شك الضغائن والمشاكل في المنطقة • قلت لك انهم ليسوا سوى لصوص ، وقتلة ، كذابين • صدقني الافضل لك ان تتجنب كل ما يمكن أن يشير الى انك تتدخل في النزاعات ، بدلا عن أن تبيع حديدك بسلام • أقول لك هذا طبعا كرجل يحب السلام • اياك ثم اياك أن تضع

سلاحا في يد هؤلاء الناس • فهم ليسوا سوى جـياع ، وان رأى جائع سلاحا في يده ـ

سفينسون : مفهـوم •

الزبون : بالمناسبة ، ألا توجد بيننا قرابة ؟

سفينسون : (مستغربا :) بيننا نحن ؟ كيف؟

الزبون : اعتقدت ذلك • ربما عن سابع جد أو ما شابهذلك•

سفينسون : أعتقد انك غلطان •

الزبون : هكذا • طيب ، أنا ذاهب الآن • جيد جدا ، هذا الحديد • أنا أحتاج اليه • وهو غالي الثمن • ماذا علي أن أفعل ان كنت أريد الحصول عليه ؟ الا تعتقد ان ثمنه سـوف ينخفض ؟

سفينسون : لا أعتقد ذلك •

(يتجه الزبون الى الباب • أثنـاء ذلك يسـمع صوت قرقرة معدة •)

سفينسون : هل قلت شيئا ؟

الزبون : أنا ؟ كلا • ان معدتي فقط هي التي تقرقر • كنت اكل لفترة طويلة أطعمة مدهنة • وأنا الآن صائم تقريبا •

سفينسون : (يضحك :) هكذا • اذن ، الى اللقاء •

(الزبون يخرج •)

سفينسون : (يتحدث في الهاتف :) دانزون ؟ اسمع ، كان الزبون

الجديد عندي · هكذا ، كان عنــدك أيضا · اشترى من عندي · هكذا ، من عندك أيضا · حسنا ، طالما ما زال يدفع ، فهو لا يضرني · طبعا هو لا يضرك أيضا طالما ما زال يدفع ·

(اظلام)

التقويم في دكان الحديد يشير الى عام ١٩٣٩ .

تدخل بائعة الاحذية ، وهي تحمل تحت ذراعها علبة احذيـة .

بائعة الاحذية : صباح الخير ، سيد سفيندزون · هل تريد حذاء ؟ (تخرج حذاء كبيرا ذا لون أصفر :) جزمة جميلة نادرة باحدى عشرة « كرونة » ، شغل تشيكي أصلي ·

سفيندزون : صباح الخيرات ، سيدة تشيك · انت تعرفين كم هي غالية علي زياراتك · تجارتي للأسف ليست رائجة كما يجب ، حتى أتمكن في الوقت الحاضر مـن شـراء حذاء جديد ، لكن كوني على ثقة انني لن أشتري ابدا الا منك · ولكن قولي ما بـك ؟ تبـدين مشـغولة البال يا سيدة تشيك ·

بائعة الاحذية : (وهي تتلفت بين الحـين والحـين حولها بفزع :) لا تستغرب ذلك · ألم تسمع بالقصـة المريعة التي حدثت لبائع التبغ ؟

سفيندزون : أية قصة ؟

بائعة الاحذية : لقد هوجم بائع تبغ ، اسمه نمساوي على ما أعتقد ، في الطريق العام · فقتل ونهب ما معه ·

سفيندزون : ماذا تقولين · هذا أمر رهيب ·

بائعة الاحذية : الناس في كل المنطقة لا يتحدثون الا بهذه القصة · وهم يريدون الآن تشكيل شرطة يجب أن ينضم اليها كل واحد منهم · انت أيضا يا سيد سفيندزون يجب أن تنضم اليها ·

سفيندزون : (يشعر بالضيق :) أنا ؟ لكن هذا غير ممكن · أنا لا أصلح للعمل في الشرطة ، ياسيدة تشيك ، لا أصلح مطلقا · أنا انسان مسالم ، مسالم جدا · كما ان دكان الحديد هذه لا تترك لي الوقت لأي عمل من هذا النوع · كل ما أريده هو أن أبيع حديدي بسلام ، لا أكثر ولا أقل ·

بائعة الاحذية : الرجل الذي هاجم بائع التبغ يبدو انه مسلح تسليحا جيدا · أنا أيضا أريد الحصول على سلاح ، فأنا خائفة فعلا · أرجوك أرسل لي قضيبا يا سيد سفيندزون ·

سفيندزون : على عيني ورأسي ، سيدة تشيك · القضيب بـ « كرونة » ·

بائعة الاحذية : (وهي تتفحص نقودها في المحفظة :) كان معي

« كرونة » •

سفيندزون : ما بك ترتجفين هكذا يا سيدة تشيك ؟

بائعة الاحذية : ما هي ذي • (تخرج قطعة نقود :) في الطريق الى هنا أوقفني رجل وعرض علي حمايتـه • وقد أرعبني ذلك بشكل لا يمكن تصوره •

سفيندزون : ولماذا ؟

بائعة الاحذية : لماذا ؟ ليس لي بين كل من أعرف أي عدو • وأنا لم أر هذا الرجل في حياتي • قال انه سوف يأتي الى بيتي كي يحميني • هذا أمر غريب ، أليس كذلك ؟ قل لي : وانت الا تشعر بأنك مهدد ؟

سفيندزون : أنا ؟ أبدا • فالجميع يريدون رضائي ، لأنهم جميعا يحتاجون الى حديدي في هذا الزمان المضطرب • وحتى لو تقاتل الجميع فيما بينهم ، فهم يجب أن يحسبوا حسابي ، لأنهم يحتاجون جميعا الى حديدي •

بائعة الاحذية : حقا ، فانت على الحياد • الىاللقاء ياسيد سفيندزون• (تخرج)

سفيندزون : (بصوت مرتفع :) الى اللقاء، يا سيدة تشيك • سوف أرسل اليك قضيب الحديد •

(يقف من مكانـه ، ويقوم بمرافقة موسيقى مملة ببعض التارين السويدية • ثم يدخل الزبون ، وهو

يحمل شيئاً خبأه تحت معطفه ٠)

الزبون : كم هو ثمن الحديـد ؟

سفيندزون : القضيب بـ « كرونة » ٠

الزبون : لم ينزل سعره بعد ٠ هات ٠

سفيندزون : أربع قضبان أيضا ؟

الزبون : كلا ، ثمانيـة ٠

سفيندزون : بثماني كرونات ٠

الزبون : (ببطء :) أريد أن أقدم لك اقتراحا ، نظراً لأنه توجد بيننا قرابة من نوع ما ٠

سفيندزون : ولكن ليس عندي علم بهـذا ٠ عن أية قرابـة تتحدث يا عزيزي السيد ٠٠٠

الزبون : حتى ولو كنت لا تعرف ذلك ، لا بأس ٠ أريد أن أقترح عليك الانتقال الى اسلوب جديد في التعامل ، أعني في التباد ل : بضاعـة ببضاعـة ٠ أنا واثق انـك تدخـن السيجار ٠ انظر عندي سيجار من نوع متاز ٠
(يخرج ن تحت معطفه علبة فيها سيجار من النـوع الضخم :) اسـتطيع أن ابيعـك هذه السجائر بسـعر رخيص ، لأنها لم تكلفني على كل حال أي شيء ٠ فقد ورثتها عن أحد أقربائي ٠ وأنا لأدخن ٠

سفيندزون : انت لا تدخن ٠ ولا تأكل ٠ وهــذا السيجار من نـوع

« أوستريلو » .

الزبون : القطعة بعشر « أورات » ، أي عشر « كرونات » ثمن العلبة كلها وفيها مئة سيجار . لكنني مستعد أن أبيعك اياها ، لأننا أولاد عم ، بثماني كرونات فقط ، أي بثمن قضبان الحديد . موافق ؟

سفينعزون : كنت أعرف بائع التبغ . كيف مات يا ترى ؟

الزبون : بسلام تام ، يا رجل ، بسلام ، وبهدوء . كان رحمه الله رجلا مسالما . دعاني فجأة اليه . ثم دعاه اليه ربه الأعلى . لقد تم كل شيء بسرعة متناهية . لم يقل سوى : يا أخي ، لا تدع التبغ ينشف . وطارت روحه . أما اكليل الزهور الذي علقه على باب بيته للترحيب بي ، فقد وضعته على قبره .

(يمسح من عينه دمعة . أثناء هذه الحركة يسقط من كمه مسدس يلتقطه بسرعة ويعيده الى مكانه .)

لقد رحل رحمه الله عن عالم شرير . عالم يشك فيه الاخ بأخيه . عالم الاعتداءات وفقدان الأمن والطمأنينة في الشوارع . أنا نفسي بدأت أحمل مسدسا في الآونة الاخيرة باستمرار . انه طبعا مسدس ارهاب بدون رصاص .

ما رأيك بموضوع السيجار ؟

سفينعزون : وضعي للأسف لا يسمح لي بشراء السيجار . لو كان لي

ان أشتري أي شيء ، فسوف اشتري أولا لنفسي حذاء ·

الزبون : ليست عندي أحذية · عندي سيجار · وأنا أحتاج الى الحـديد ·

سفيندزون : ولماذا تحتاج الى كل هذا الحديد ؟

الزبون : أوه ، الانسان يحتاج دائما الى الحديد ·

(يسمع مجددا صوت قرقرة معدته ·)

سفيندزون : ربما كان من الافضل لك أن تشتري بعض الطعام ·

الزبون : سوف يأتي دور الطعام ايضا · سوف يأتي دوره·

على الآن ان أذهب ، فأنا أرى ان الطقس أصبح غائما ، ألبس طقما منصوف اصطناعي لايحتمل المطر · ربما أستطيع ان أعطيك لفة من هذا القماش الممتاز بدلا عن جديدك ؟

سفيندزون : حسنا ، سوف آخذ السيجار ، فهو من نوع «اوستريلو» · وتجارتي على كل ليست رائجة كما يجب ·

يأخذ علبة السيجار ·)

الزبون : (يضحك بسخرية ويحمل القضبان الثمانية :)

الى اللقاء يا سيد سفيندزون ·

سفيندزون : (يتحدث في الهاتف وهو يدخن سيجارا يتلذذ :)

دانزون ؟ هل تسمعني ؟ ما رأيك بالاحـداث الأخيرة ؟ صحيح ، هذا هورأيي أيضا : يجب عدم ابداء أي رأي · أهه، انت ايضا تحاول الابتعاد عن المشاكل ؟ أنا أيضا

احاول الابتعاد عن المشاكل ٠ هكذا ، انت لم تزل تبيعه أيضا ؟ نعم ، أنا أيضا لم أزل أبيعه ٠ هكذا ، انت أيضا لا يساورك اقلق ؟ نعم ، أنا أيضا لا يساورني أي قلق ٠

(اظلام)

يشير التقويم في دكان الحديد الى تاريخ شباط/ فبراير ١٩٣٩ . سفيندزون جالس ، وهو يدخن سيجارا تدخل امراة يرافقها رجل .

السيد : يا عزيزي السيد سفيندزون ٠ السيدة جال وأنا أردنا أن نستشيرك في أمر ، اذا سمح لك وقتك بذلك ٠

سفيندزون : كن على ثقة يا سيد « بريت » انني دائما تحت أمر أكبر زبائني ٠

(الرجل والمرأة يجلسان ٠)

السيد : الامر يتعلق بالاعتداء المريع على السيدة تشيك ٠

سفيندزون : اعتداء على السيدة تشيك ؟

السيد : ليلة أمس اعتدى رجل مدجج بالسلاح ، الرجل اياه ، على جارتنا السيدة تشيك ، فقتلها ونهب ما عندها ٠

سفيندزون : ماذا ؟ السيدة تشيك قتلت ؟ كيف كان لهذا أن يحدث؟

السيد : نعم ، كيف ؟ نحن أيضا نستغرب الامر ولا نكاد نستطيع أن نصدقه ٠ خاصة السيدة « جال » فقد

كانت من أعز صديقات المرحومة · مساء أمس تعالت فجأة من بيت المرحومة صيحة استغاثة · وقد أسرعت السيدة « جال » في الحال الي ، وبحثنا الامر عدة ساعات ونحن نتساءل عما يمكن أن يكون قد حدث · بعد ذلك ذهبنا الى بيت المرحومة ورأيناها بالفعل تتشاجر بعنف مع الرجل اياه · كان يطالبها بشيء ادعى انه يخص أحد أقربائه ، وقد نصحناها أن تعطيه ما يطلب اذا قطع على نفسه وعدا بأن يدعها في المستقبل بسلام · فقبلت هي بذلك ، وقطع هو على نفسه وعدا بما قلنا · ولكن يبدو انه عاد مرة أخرى في الليل وقتل المسكينة دون رحمة ·

السيدة : ما كنا بالطبع نتركها وحدها لحظة واحدة لو كنا نشك بما وعد به ·

السيد : القضية وما فيها لابد لنا الآن من تأسيس جمعية تضم كل الجيران تستطيع أن تحول دون حدوث مثل هذا الامر مرة أخرى · وقد جئنا اليك لنسألك ما اذا كنت على استعداد للدخول في جمعية من هذا النوع للحفاظ على النظام ولتسجيل اسمك في قائمة حماة النظام ·

(يناوله قائمة ·)

سفينتزون : (يأخذ القائمة يتردد وقلق :)

طبعا ، ولكنني في الواقع لست سوى تاجر حديد صغير ·

وأنا لا أستطيع التدخل في النزاع بين الشركات الكبرى • فمن الممكن أن يؤدي دخولي في جمعية من هذا النوع الى ازعاج بعض زبائني •

السيدة : هكذا اذن ، انت تريد أن تبيع حديدك بأي شكل ، لأي كان ؟

سفيندزون : أبدا • كيف يمكنك أن تقول مثل هذا القول • أيضا عندي ضمير مثلك تماما ، كما أعتقد • لكنني بطبيعتي لا أحب الخصام • أنا لا أفكر بالطبع بدكاني لنتحدث بطول بال • (الى السيد :) هل تدخن ؟

السيد : (يتفحص السيجار :) أوستريلو ؟

السيدة : سأكون شاكرة أن امتنع السادة عن التدخين •

سفيندزون : (وهو يخفي السيجار والعلبة بارتباك :) أرجو المعذرة •

السيد : كنت تتحدث عن ضميرك يا سيد سفيندزون •

سفيندزون : حقا ؟ نعم ، طبعا • أقول لك بصراحة ان نفسي ترفض كل مايتعلق بالعنف • منذ الحوادث الاخيرة وأنا لا أنام لحظة في الليل • وبالفعل يا مدام أنا لا أدخن هذه الايام بهذا الشكل الا بسبب النرفزة لا غير •

السيدة : انت لا ترفض اذن فكرة تشكيل جمعية ضد استخدام العنف من الناحية المبدئية ؟

سفيندزون : أرفض أو لا أرفض : اندوافعي على كل حال هي دوافع

نبيلة غاية النبل ·

السيد : نحن بالطبع مقتنعون بموقفك المثالي النقي ، فأنت لا تبيع حديدك حتما للرجل اياه لأنك لاسمح الله تتعاطف مع تصرفاته ·

سفينتزون : أبدا · أنا استنكر بشدة هذه التصرفات ·

السيد : وأنت لا تشعر انك لا سمح الله احد أقربائه ، كما يدعي هو ؟

سفينتزون : أبدا ، لا قرابة لي معه بالمرة ·

السيد : وأنت لا تبيع الا لمن يدفع وطالما يدفع ·

سفينتزون : بالضبط ·

السيد : وأنت تعتقد ان الرجل اياه لن يحتاج بعد ذلك الى حديدك ان انضممت الى جمعية سلام تضمن لك وللجميع الأمن والطمأنينة ؟

سفينتزون : انه يحتاج بالطبع دائما الى حديدي · لكنني لا أعرف في الحقيقة ماذا يفعل بكل هذا الحديد ···

السيدة : (بلهجة مهذبة :) مدافع رشاشة ·

سفينتزون : (متجاهلا الامر : كما قلت ، أنا لا أعرف بالضبط ، ولكنه مضطر لشرائه حتى ولو فعلت ذلك · ولكن ، كما قلت ، قد ينزعج بعض الشيء ، وأنا ، كما قلت بطبيعتي انسان مسالم · وبصراحة أنا الآن في انتظاره ، وأعتقد انه من الافضل الا يراكم في دكاني ·

فهو مفرط الحساسية يزعل بسرعة عجيبة · أرجو أن تتفهموا هذا و ···

(يدخل الزبون وهو يحمل علبة تحت ذراعه ·)

والزبون : كم هو ثمن الحديد ؟

سفيندزون : القضيب بـ « كرونة » ·

الزبون : عفوا ، يبدو وكأنه عندك اجتماع · هل هؤلاء اصدقاؤك يا سفيندزون ؟

سفيندزون : ماذا ؟ نعم ، أقصد ، كلا · يعني ، انها زيارة تجارية فقط ·

السيد : تحدثنا عن السيدة تشيك وكيف قتلتها يا سيد ··

الزبون : قتلتها ؟

السيدة : نعم ·

الزبون : كذب · تضليل · افتراء ·

السيد : وتنكر أيضا مقتل السيد تشيك ؟

الزبون : لا أنكر ذلك فقط · بل وقد جئت الى هنا لكي أشتري ستة عشر قضيبا من الحديد ، ياسفيندزون ·

لكنني أرى انه يسيطر على المكان جو عدائي · ولا يمكننا بالطبع أن نكلفك عناء تحمل بيع حديدك لمن يقوم بتهديدك · لذلك أسألك وأنصحك أن تفكر بالجواب جيدا : هل تشعر انني أهددك ؟

سفيندزون : أنا ؟ لماذا تسأل ؟ كم قضيبا تريد ؟ قلت ستة عشر ؟

وتسأل ما اذا كنت أشعر انك تهددني ؟ لا أعتقد انه يمكن اتهامي بذلك • هل تريدون حقا أن أجيب ؟

السيد والسيدة : نعم •

الزبون :

سفيندزون : (وهو يحزم القضبان :) اذن أقول لكم : كلا ، انني لا أشعر انني مهدد •

(السيد والسيدة يغادران المكان غاضبين •)

الزبون : (بينما يمسح له سفيندزون القضبان بقائمة حماة النظام :) برافو • أنت على الاقل رجل شجاع • لا شك اننا أقرباء يا سفيندزون ، حتى ولو كنت تنكر ذلك • المرء ينكر أشياء كثيرة في حياته • بالمناسبة : الا يمكن أن نعقد ، أنا وأنت ، بيننا ، لأننا نحب السلام هكذا ، حلفا صغيرا ، يسمح لك أن تهاجم كل الناس ما عداي بقضبان الحديد وغيرها ، ويسمح لي ان أهاجم كل الناس ما عداك ؟

سفيندزون : (بصوت مخنوق :) في الواقع أنا لاأحبذ هذا • ان أكبر زبائني ـ ••

الزبون : لكنني أحتاج الى مزيد من الحديد يا سفيندزون • فهم يخططون وينوون لي الشر • انهم يريدون الاعتداء علي • كلهم يريدون الاعتداء علي • لأنهم يحسدونني ولا يحتملون رؤيةأحوالي الجيدة •

(يسمع صوت قرقرة معدته من جديد •)
يقولون انني قتلت تلك المرأة • كذب • كذب • كذب • وهل تعرف ماذا وجدت بعد ذلك عندها ؟ قضيب من الحديد • كانت تريد الاعتداء علي به • أنت ذكي تفعل خيرا بالابتعاد عن هذه المشاكل المقرفة كلها • فانت يا سفيندزون تاجر حديد ولست سياسيا • انت تبيع حديدك لمن يدفع • وأنا اشتريه منك ، لأنك تعجبني ، ولأنني أرى ، انك تعتاش من دكانك • ولانك لست ضدي ولا تصغي لما يقوله عني الاعداء فأنا أشتري منك الحديد • لهذا السبب فقط اشتري الحديد لا لسبب آخر • لذلك ليس عليك أن تعاديني • أتذكر لقد تمنيت منذ فترة أن تشتري لنفسك حذاء جديدا • أليس كذلك؟ أنظر ، ها قد أتيت لك بحذاء •
(يخرج من العلبة الحذاء الضخم ذا اللون الاصفر :)
هذا الحذاء هو طلبك تماما ياسفيندزون • ويمكنك أن تأخذه بأرخص ثمن • هل تعرف ماذا كلفني ؟

سفيندزون : (بضعف :) ماذا ؟

الزبون : لا شيء • أترى ؟ وهذا يعود عليك بالفائدة يا سفيندزون • سوف نصبح حتما ، أنا وأنت أعز الاصدقاء، خاصة بعد ان نتفق تماما على ثمن الحديد• وسوف نتفق حتما ، سوف نتفق • ساعدني يا

سفيندزون في حزم القضبان ، ساعدني ٠

(سفيندزون يساعده في حزم القضبان ٠ ثم يحمل الزبون ستة قضبان تحت كل ساعد ، ويضع الباقي على ظهره ، ويخرج من الدكان وهو يحبو ٠)

سفيندزون : الى اللقاء ٠

الزبون : (يلتفت بصعوبة عند الباب ، ويبتسم :)
قريبا جدا ، يا سفيندزون ، قريبا جدا ٠

(اظلام)

في دكان الحديد يبدو على التقويم رقم ؟؟ ١٩ .

سفيندزون يتجول في الدكان جيئة وذهابا ، وهو يدخن سيجارة «اوستريلو» ويلبس جزمة السيدة تشيك الصفراء . فجاة تسمع أصوات طلقات مدافع. يحاول سفيندزون وهو في غاية القلق أن يتصل بالهاتف دون جدوى . فالخط مقطوع . يفتح الراديو ، فيجد أن الراديو لا يشتغل . ينظر من النافذة فيشاهد السنة اللهب وهي تتصاعد .

سفيندزون : حرب ٠

(يذهب مسرعا الى لائحة الاسعار ، ويمحي باسفنجة رقم ٣ ويكتب عوضا عنه بعجلة رقم ٤ ٠

يدخل الزبون ، أبيض الوجه وكانه صيغ بالحوار ،

وهو يحمل تحت معطفه شيئا ما ٠)

سفيندزون : (وهو ينصت :) هل تعرف من أين يأتي صوت المدافع

الزبون : انه يأتي من معدتي المقرقرة ٠ وأنا ذاهب الآن لأجلب الطعام لكنني احتاج لذلك المزيد من الحديد ٠

(يفتح المعطف ويشير الى رشاشين تحته ٠)

سفيندزون : النجدة ٠ النجدة

الزبون : كم هو ثمن الحديـد ؟

سفيندزون : (منهارا :) لا شيء ٠

(اظـلام)

ـ ستار ـ

❋ ❋ ❋

الكلاب مسرحية من فصل واحد

للكاتب البلغاري : نيقولاي خايتوف ترجمة : ميخائيل عيد

اشخاص المسرحية

ناتشو بوزاتا المختص بتربية الحيوان

المسرح يمثل كوخ رعاة • العم ناتشو جالس قرب المدفأة وينتعل حذاءه • يعلو من الخارج نهيق حصار وصوت بوزاتا وهو يقول : « هل انت حي يا عم ناتشو ؟ « ينهض العم ناتشو ، يتجه نحو الباب الباب وقد ارتدى فردة حذاء وبقيت رجله الاخرى حافية • يتطلع من الباب •

ناتشو : « بحدة » لماذا تنهقان ؟

بوزاتا : « يدخل » لم أنهق ، الحمار هو الذي نهق •

ناتشو : لماذا ؟

بوزاتا : انتظر حتى أربطه ثم أعود وأشرح لك • « يخرج ويعود العم ناتشو ويستمر في انتعال حذائه ، يعود بوزاتا •

بوزاتا : (يجلس قرب المدفأة ويدفيء يديه الباردتين) أتسأل لماذا نهق ؟ لقد حزن فنهق • وهل أستطيع ربط

فمه ‥ هو ليس كالانسان تخيفه فيسكت ٠ والحمار لايخشى التسريح ولا العقوبة ‥‥ وها أنت تثب علي صائحا : « لماذا تنهقان ؟ »

ناتشو : ماذا حدث بشأن الطحين ؟ هل جلبته ؟

بوزاتا : (مؤكدا) انهم لايعطون طحين الذرة ٠ ولك المزيد من تحيات الادارة ٠

ناتشو : (يتوقف عن متابعة انتعال حذائه) وماذا سنطعم الكلبين ؟ خلطت لهما البارحة آخر ماتبقى من الطحين٠

بوزاتا : لاشيء ‥ قرر المجلس أن يختصر الكلبين

(يبدو العم ناتشو دهشا وغير مصدق أذنيه)

ناتشو : ان ‥‥ ان ماذا يفعل بهما ؟

بوزاتا : (مؤكدا) يخ ـ ت ـ صرهما ‥‥

ناتشو : (محتارا) يعني ‥‥

بوزاتا : أجل ، أجل ‥‥

ناتشو : (مدركا) يعني ‥‥ يجب

بوزاتا : تماما ‥‥ وقد أعطوني السلاح ‥ (يخرج مسدسا) وحكما بالاعدام أيضا (يخرج لائحة) اقرأ ، ان كنت تريد ٠ خذ ‥ الاسود على الابيض ٠

(يتعالى من الخارج نهيق الحمار)

ناتشو : انهق ، أيها الحمار ، انهق ياأخي ‥ لك واحدة ‥

(فترة صمت) سننهق نحن الاثنان ·· (فترة صمت) لقد حاولت·قلت لهم : « ليس هكذا » ليس بهـذه الرجل ·· هل كثير وجود كلبين لثلاثمئة رأس من الغنم ؟ وهناك مسألة ··· فما دام لدينا غنم يتحتم أن يكون لدينا كلاب ··· أين سمعتم أو رأيتم غنمـا دون كلاب ؟ وحيثتوجد كلاب ينبغي أن توجد قصعة (فترة صمت) ولكن المحاسب انتفض : « ان القضية بأكملها ، أيها الرفاق ، متعلقة بهذه القصعة · لو انها قصعة واحد لسمحنا بها ، ولكن ثمة قصعتان تسعة قطعان من الغنم ومع كل قطيع كلبان وهذا يساوي ثمانية عشر كلبا · جراية الواحد منها ٣٠٠ غرام · ولقد حسب الكتاب في الدائرة فوجدوا انها تزيد عن خمسة كيلو غرامات ، ثم حسبوا المصروف فيما لو اختصرنا نصف الكلاب فوجدوا ان المزرعة التعاونية ستوفر ٢ كيلو غرام وسبعمئة غرام من طحين الذرة التي يبلغ ثمنها على مدار ٣٦٦ يوما في السنة ١٩٠ ليفا واربعين قرشا ربحا صافيا، باعتبار ان الكيلوغرام من الطحين بعشرين قرشا ·· هل تسمع ؟

بوزاتا : (فترة صمت) هل أحضرت لي العرق ؟

ناتشو : نصف زجاجة ·· بشق النفس ·· لقد قبض الناس ثمن التبغ فجعلوا أمهات العرق يبكين · الخنانيص تصرخ،

تفوح رائحة اللحم المشوي حتى لكأن كل القرية تشوي
(يتنهد وهو ينتزع السدادة) تفضل ...
(يشرب ناتشو)
وحتى انه لم يقل « بصحتك » (فترة صمت) وفي النهاية سنختصر الكلاب ، ترى ألن نختصر الناس !..

ناتشو : هل كلمت الاداريين هكذا ؟

بوزاتا : قلت لهم مايجب قوله . وسألتهم : ألم تتلف عشرون كدسة من البرسيم ؟ ـ لقد تلفت . كل كدسة لاتغطي نفقات عشرة كلاب فحسب بل مئة وعشرة كلاب .. هات الزجاجة .. (يرتشف) أوجعهم هذا فانقضوا عليّ وكبسوني بأرجلهم كما يكبس البرسيم الذي يحفظ ليكون علفا . صرخ المحاسب : « دخل البند في الخطة الاقتصادية وقد أقرت ولايمكن حذفه » ، هتف آخرون قائلين ان الذئاب قد سمنت .. وهتف ثالث : لا أعرف بماذا .. وثم كان قرار المجلس الاداري : «يجب أن تتم تصفية الكلاب الزائدة عن الخطة سريعا » .

ناتشو : (متجهما) أنت سوف تصفيها .. أما أنا فلا ..

بوزاتا : ولماذا أنا ؟

ناتشو : يدي ترتجف . لاتصيب .

بوزاتا : ويدي ترتجف .. انظر .. (يريه يده) أشرب المزيد من العرق وسوف تشتد يدك .

ناتشو : لو أغرقتني في العرق فلن أستفيد ٠ (فترة صمت) لا يقوى رأسي على القبول بهذا ٠ أن يختصروا كلبا ٠٠ (بصوت عال ، متألما) الكلب ٠٠ الذي تسمعه من سنين والذي يأكل الخبز من يدك ٠٠ تدقه ٠٠

بوزاتا : تستطيع الا تدقــه ٠

ناتشو : (بأمل) كيف ؟

بوزاتا : يمر سياح ٠ سنطلب من أحدهم أن يأخذه ٠ المواطنون يحبون الكلاب ٠

ناتشو : لايحبون كلاب الرعاة لو كان ذئبا لاختطفوه ٠٠ أو لو انه صغير ٠٠

بوزاتا : ولم لانرسله الى القرية ؟

ناتشو : الى أين ؟

بوزاتا : الى بيتك ٠

ناتشو : لم يطلقوا عليك اسم « البوز طيشا ٠٠ ـ أنت لاتفكـر بعقلك ٠ يلزم أن تكون عندك كنة عصبية في البيـت لتنجلي لك الامور ؟ ينبح الكلب فتجفل ٠ الكلب سينبح ويعوي ٠٠ كلب مربوط ٠٠ وهي التي تفرش السجاد ، كما يقال ، على أرض الحــوش ، لاتسمح للناس بالاقتراب ، فكيف الكلب ٠٠٠ كانت الكلاب تنبح في بيتك وتنقلب الحمير ٠٠ كان ذلــك ٠٠ أمــا الآن ـ فالنظافــة ة ة ٠٠

بوزاتا : (مؤيدا) أجل ، ل ـ ل ۰۰۰۰

ناتشو : والكنات اللواتي ۰۰۰ ياالله ! دخن لها ۰۰

بوزاتا : (بعد تفكير) فلنطلقه في مزرعة الصيد ، أ ؟
أنطرده الى الغابة ؟

ناتشو : لو أبعدته الى نهاية العالم فسوف يعود في النهاية ۰۰

بوزاتا : أردت أن أقول لك شيئا آخر : اذا أطلقناه هناك فلسوف
يحرق الصيادون شحمه ۰۰۰ ولن نحس بذلك ۰۰۰

ناتشو : الن نحس ؟ أهذه هي المسألة ؟

بوزاتا : المسألة ۰۰ لقد أقر آخرون المسألة ۰۰۰ الحكم موجود
(ثغاء خروف ونباح كلب) سأرى الغنمات ۰

ناتشو : الق نظرة عليها : أكلتها الذئاب ۰۰
(يخرج بوزاتا يسمع صوته هو بريا ، يا ، يا ، يا ،
يـا ، بريا ، بريا ، بريا ، يا ، يا ، ياياياه ۰ ثم
يعود)

ناتشو : يجب أن تتعلم النباح بدلا من الصياح ۰ فاذا اختصروا
الكلب الثاني فسوف يتحتم علينا أن ننبح ۰۰۰

بوزاتا : (يعبىء ساعته) سيصل ذاك في العاشرة ۰۰

ناتشو : مـن ؟

بوزاتا : المختص بتربية الحيوانات ۰۰ سيراقب تنفيذ القرار ۰

ناتشو : لماذا لم تقل ذلك ؟

بوزاتا : لا أستطيع أن أقول كل شيء دفعة واحدة • فليكن ذلك على دفعات • كي لاترتكب شططا •

ناتشو : سممني بهذه « الدفعات » •••

بوزاتا : بعد قليل •• ستحين الكبرى و ••

ناتشو : (بحـدة) ستسويان الامـر : أنت وايـاه •• أنتما متناسبان

بوزاتا : تمامـا • رقبتي عاريـة وفي يديـه قطعتان مـن خشب لتدوين ناتج العمل •• يستطيع أن يكبسك باحداهما أو بالاثنين معا •

ناتشو : أعطه المسدس اذن ولينه الامر بنفسه •••

بوزاتا : سينهي الامر • لن يبالي •• ستهدر دراجته النارية الآن •• (يتنهد تنهدة ضيق ثقيلة بعد فترة صمت) ما رأيك ؟ هل يوجد بعض طحين الذرة ؟ ولو القليـل منـه ؟

ناتشو : (حائرا) أي ، ثم ماذا ؟

بوزاتا : فلنصنع بعض الكعك للكلبين ••• (فترة صمت) ، عسى أن يسامحانا • سأدعوهما الآن •• (ظهره في الباب ووجهه الى الخارج) شارو •• هيا ياكوترا ••• هيا الى هنا •• لاتخجلا •• الى هنا ••• لماذا عويت الليلة البارحة ، آ ؟ (يجلس في الباب أو ظهره للمسرح ويكلم الكلبين) •

ناتشو : ليس شارو بل هي كوترا ·

بوزاتا : لماذا عويت ؟ هل كنت بردانة ؟ أنظر ياعم ناتشو أنظر الى عينيها ما أصفاهما ·· أقل لهما بعض الشحم ·· ضع ماء على المدفأة ·

ناتشو : الماء يغلي · أين الشحم ؟

بوزاتا : هناك في الدولاب · (يضع ناتشو طحينا في الماء · يقطع الشحم · مبغوتا) لقد حدث ، ماذا حدث ، أي ، ى ، فليحدث ·· سيقرقع ذاك بدراجته النارية الآن ···

ناتشو : (متوتر الاعصاب) دعك من هذه الدراجة النارية ··· انك تلغو وتلغو ··· (يحرك الحريرة)

بوزاتا : يكون اللغو علاجا في المسائل التي لم تسو ·· (فترة صمت) أتظن ان هذا لايعذبني ؟ أى ، ى هنا الاقراص ·· هنا ···
(تسمع همهمة الكلبين ونباحهما القصير المتقطع)

بوزاتا : أحسا بالوليمة ورقص ذيلاهما ··· متى اجتازت كوترا الحفرة ياعم ناتشو ؟

ناتشو : سنة ٣٨

بوزاتا : مرحى ·· وتتذكر السنة ····

ناتشو : أتذكر أمورا كهذه · (وهو يحرك الخليط ـ الحريرة) كان ذلك بعد يومين أو ثلاثة من عيد ديمتري ··· كان الضباب في الوادي · والسماء صافية · صارت

صالحة ·· (انتباهه مركز على الحريرة)

بوزانا : وبعـد ذلك ؟

ناتشو : نبح كلب ـ كنت في الكوخ ، انتعلت حذائي · خرجت ولكني لم أر شيئا في الضباب · الحملان تندفع فـي الحظيرة من مشبك الى آخر ··· أي هكذا ·· خائفة تناولت عصاي وانطلقت اثر الكلب · وصلت الـى لحقل بثلاث قفزات واندفعت على « فرلي يار » رأيت حينئذ الذئب مقعيا في الاسفل · كان مكشرا · ينظـر الي وينتظر · كان ذئبا كالعجل ·· أما أنا فكنت قد حميت فلم أستطع الوقوف · خفاي جديدان والثلج طري ، فطرت ولم أتوقف · مباشرة الى فم الذئب · وقفزت حينئذ كوترا منقضة على الضاري فاسـتدار · وهذا ما أنقذني · ضربتـــه بالهــراوة وبدأنا الأخـذ والعطاء : يثب علي فتعضـه كوترا ، ويستدير نحوها فأضربه بالعصا · كانت قرعة الذئب صلبة فلم أتمكن من خلعها حتى تبللت تمامـا بالعرق والـدم ··· ولقد تألمت هي المسكينة أيضا ··· خسرت ذيلها ·· يجوز أن يكون الذكر بلا ذيل ، ولكن الانثى تعاني من فقدانه طوال الحياة ·

بوزانا : صحيح · ان فحول الذكور لاتحب التي بلا ذليل ·

ناتشو : لاتحب ٠٠٠ هكذا كانت الحال مع كوترا ٠ ومنذ ذلك الحين هي معي ٠٠ فاذا كان الكوخ باردا تنام على رجلي وتدفئهما ٠٠٠ وان برد وجهي نفخت عليه وأدفأته ٠٠ وان لم أجد من أحاديثه راحت تحاكيني بطريقتها الخاصة ٠

(يسمع عويل)

بوزاتا : وشارو لايتهالك ٠ لايحول عينيه عني ٠٠ لقد أنقذت كوترا حياتك ولكنها لاتنظر الا الى يدك ٠ مادمت تمسك القصعة ٠ اعطني الآن القصعة وانظر الى أين ينظر شارو ٠ (يأخذ القصعة) انظر ٠٠ ينظر الى عيني مباشرة ٠٠

ناتشو : ليس ضروريا أن ينظر الكلب الى عينيك ٠ على الكلب أن يخنق ، يجب أن يكون قويا ٠ وان يعض

بوزاتا : الكلب يداعب ٠٠ هكذا أعرف الكلب ٠ ألا ينظر الى القصعة ٠٠ فذاك هو الكلب ٠٠ هات « الحريرة »٠٠

ناتشو : (يعطيه الطبق) صب ٠٠٠

بوزاتا : شارو ٠٠ كوترا ٠٠ تفضلا ، نرجوكما ٠٠٠ لقد تأخينا ، ماذا في الأمر ؟ خذ شيئا من العرق (يعطيه الزجاجة)٠

ناتشو : (يتنهد) الشقاء ، الشقاء ٠٠٠ هكذا الامر دائما (يشرب)

بوزاتا : لتكن الصحة ·· والحياة ··

ناتشو : هذا متعلق بنوع الحياة ·· اسأل أحيانا ··

بوزاتا : (يقاطعه) آ ، آ ، لا · لايجوز · أتمضيها بعلامة استفهام ··· النهاية ··

ناتشو : (يقاطعه) ولكن كيف ؟

بوزاتا : (بابهة) هكذا · تطلق طرفيها ولا تسأل · لاتسأل عن شيء · اذا سألت · فلتسألني ·· لا تسأل نفسك فاذا سألت نفسك فكأنما تصرخ في برميل فارغ · انت تصرخ وهو يرد ··تسأل مرة - يرد عشر مرات ·

ناتشو : وهل صخت في البرميل ؟

بوزاتا : صرخت ·· في برميلي ، حين ··

ناتشو : ماذا ؟؟

بوزاتا : (يلوح بيده) اقطعها · (بعد فترة صمت) وأنت مم تشكو ؟

ناتشو : من أولادي وكناتي ·

بوزاتا : الست في حال حسنة معهم ؟

ناتشو : أردت أن أكون ·· لو أن لي ··

بوزاتا : (مستفزا) ماذا ؟

ناتشو : لنقل ضرع ·· بل عشرة ضروع ·· للكنة ·· وآخر

لابنك ··· ولحفيدك واحد ·· ولصـهرك ولهـذا وذاك وتلك من أقربائك ··· ليمسك كل منهم بضرع وليشرع كل منهم بالحلب ·· لم يبق في هذا العالم من يداعبني دون مقابل بعد ذهاب جدتك سـوى تلك الكـلاب ··

(يرمي قطعة شحم الى الخارج) كلي يا كوترا

(يسمع نباح مداعبة)

بوزاتا : (على الباب) تعال ياشارو ··· (متباهيا) أنظـر اليه يا عم ناتشـو ·· انظر الى هـذا الارعن ··· لقد ترك طعامه من أجلي أنا ذي الوجنة الورباء ···

ناتشو : ليست الكلاب كالنساء لتبتز ·

بوزاتا : المجـد لله ···

(هدير محرك دراجة نارية)

بوزاتا : (باضطراب) أتـى ···

ناتشو : سأسوي الامر معه ·

(تتوقف الدراجة النارية وتسمع ضجة من الخارج)

المختص بتربية الحيوان : اي ، هيه ، هل أنتما هنا ···

(يفتح الباب ويدخل الخبير في تربية الحيوان)

ناتشو : نحن هنا ··· **تفضل ··**

المختص بتربية الحيوان : هل أتوا من مركز بيع اللحوم ؟

ناتشو : لقد أتوا · أخذوا وذهبوا · مئة وعشرون وزن حي

المختص بتربية الحيوان : حسنا .. اسمع الآن ، يجب أن يزول أحد الكلاب .. (لبوزاتا) هل نقلت له قرار المجلس ؟

بوزاتا : أجــل ..

ناتشو : اليك أيها الرفيق المختص ما فكرت به وماقررته ..

المختص بتربية الحيوان : (بنفاد صبر) ولماذا سوف تقرر أنت ؟ لماذا سوف تقرر ما دام الامر قد انتهى ؟

ناتشو : انتظــر ...

المختص بتربية الحيوان : سواء انتظرت أم لم أنتظر فان القرار لن يتغير ... المسألة تتعلق بالاقتصـــاد . ولقد حســـمت ولا مجال للتراخي ...

ناتشو : سأكلمك في الاقتصاد . لقد قررتم ..

المختص بتربية الحيوان : (يقاطعه مجددا) أنا لم أقرر وانما المجلس .

ناتشو : حسنا ـ لقد قرر المجلس أن نقتصد بأحد الكلاب ..

المختص بتربية الحيوان : ليس بواحد ، بل بكل واحد من اثنين منها .

ناتشو : لست مسؤولا عن بقية الكلاب ، أنا ...

المختص بتربية الحيوان : (يقاطعه) أنت مسؤول عن الاغنام .

ناتشو : تماما .. أنا أقول ذلك : ليبق الكلب . ليبق الكلب وسأطعمه وبوزاتا شخصيا ..

المختص بتربية الحيوان : (ساخرا) أنت ماكر جدا . أستبقي الكلب لتقتطعا له النخالة من حصة كلب الخطة ؟ اليس كذلك ؟

ناتشو : سندفع غدا ونقدا ثمن نخالة الكلب الذي ليس في الخطة !·· مئة وتسعون و ·· كم ليفا هو المبلغ ؟

بوزانا : (يتدخل خائفا) أيها الرفيق المختص ، وأنا أرى ان ··

المختص بتربية الحيوان : (مغتاظا) وأنت أيضا ؟ وأنت ترى ؟ لماذا تضيعان وقتي ؟ ألا تفهمان ان المسألة ليست مسألة تسعين ولا حتى مسألة ألف ليفا وانما هي مسألة مبد ـ أ ·· وليست مسألة كلب بعينه ·· انها قضية مبدأ اقتصادي· مسألة أن تنفذا ، بأي ثمن ، قرارا قد اتخذ ··

ناتشو : للمبـدأ ···

المختص بتربية الحيوان : (باصرار) وما حاجتك الى كلبين في حين تستطيع ان تكتفي بكلب بل وتستطيع الاستغناء عنه ؟

ناتشو : (بتأكيد) لينبحا ·· أيها الرفيق ·· أنت لاتعـرف لماذا توجد كلاب الرعاة ؟

المختص بتربية الحيوان : ولماذا تنبح ؟

ناتشو : لان ، لان ، لان ····

المختص بتربية الحيوان : هكذا ، لماذا ؟ ان كنت بحاجة لنباح الكلاب فسوف نجلب لك اسطوانة كبيرة سجل عليها النباح ، وحين تحتاج الى النباح اطلق الحاكي ثم تابع سيرك ···

ناتشو : أنظر أيها الرفيق المختص

المختص بتربية الحيوان : ليس ثمة ما أنظر اليه

ناتشو : (بتأكيد) لقد اعتادت الاغنام منذ زمن بعيد على الكلاب ٠ الأغنام بحاجة الى الكلاب لتأنس بها ٠ فحين ينبح الكلب ترعى الاغنام باطمئنان وتدر الحليب ٠ وحين تشعر بوجود ما يحرسها ٠٠٠

المختص بتربية الحيوان : لقد سممت الذئاب ٠ لم يعد ثمة ذئاب في بلدنا ٠

ناتشو : أنت تعرف ذلك ، أما الاغنام فلاتعرفه ٠٠٠ واذا لم يكن كلب فانها تخاف ولا تستقر في المرعى ٠٠

المختص بتربية الحيوان : لاتقلق بشأن الاغنام ٠٠ أنا المسؤول عنها ٠

ناتشو : (ذاهلا) وأنا أيضا بحاجة الى مرافق ٠٠٠ في الجبال ٠ انت لم يتبعك كلب ولا تعرف ما هو الكلب في الجبال ٠ أنا رجل طاعن في السن وحيد في هذا القفر ٠٠

المختص بتربية الحيوان : تقاعد ٠٠ مادمت صرت طاعنا في السن ٠

ناتشو : مرحى لك أيها الفتى ٠٠ لاشيء يوقفك ٠ يبدو انكم قررتم اختصاري أيضا ٠٠

المختص بتربية الحيوان : لاغرابة ٠ لا الكلاب وحدها بل والرعاة أيضا سوف يصبحون زائدين مع تقدم التكنيك ٠

بوزانا : (منفعلا) كيف ، على سبيل المثال ؟

المختص بتربية الحيوان : كيف مثلا ؟ اذهب الى سهل كاترانتشوكار وانظر الى المرعى الحديث : قطع من الارض محاطة باسلاك كهربائية ٠٠ تقترب الحيوانات من الاسلاك فتسوطها

الاسلاك فتعود أدراجها • لاكلاب ولارعاة •• ولاغايدات ولا شبابات •••

(بمهابـــة) لا شيء •• الحـاكي ينبـح والاســلاك تسوط و •••

ناتشو : مرحى ، مرحى للاسلاك •• تعبت الاسلاك •• سوطوا الاغنام وسوطوا الناس بهـذه السياط السلكية التي تجوب العـالم •• استمروا مع الاسلاك ••

المختص بتربية الحيوان : لست أنا •• العالم **يفرضها** •••

ناتشو : ليكن •• وأنت أحد الاسلاك ، آ ، •• سلك عار •• موصل •• تهتز حيث ينقرونك •

المختص بتربية الحيوان : عفوا ، عفوا ••• أعد ما قلته أيها الرفيق أتاناس

ناتشو : (خارجا عن طوره) لست صديقا للسلك ولست رفيقا له •

المختص بتربية الحيوان : أنت لاتعرف ماالذي يضايقك : من أجل الكلب •• من أجل الوحشة والتوافه !•

ناتشو : وعن التوافه سأحدثك • فمن أجل عجوزي ـ وهي الان في المملكة السماوية ـ تطاعنا بالخناجر وكنا ثلاثة رجال وبعجنا بعضنا البعض أيام كنا عازبين • لماذا ؟ كانت ركبتاها ملتويتين • رأســها كبـير • أما صـوتها •• فاسمع صوتي تسمع ما يشبهه • ولكن كان لهذه الامرأة

نجمتان على وجنتيها في كل منهما نمش في مثل رأس مشبك الشعر وقد سلبت عقولنا بمثل هذه التوافـه ٠ لقد جعلتني أنحني لها حين رأيتها ، وقـد فعـلت من أجلها كل شيء ٠٠ دبوس الشـعر ذاك ٠٠ ملأ حياتين بكاملهما ٠٠٠ يا لتلك التوافه ٠٠

بوزاتا : (محاولا مساندته) أي ، صحيح ٠٠

ناتشو : (متابعا) ولكنكم تسوون كل شيء بالمسحج ذاتـه بحيث لا يبقي ثقب ولا ثقيب ٠٠ لا كلاب ، ولا عالم !٠ (فترة صمت)

المختص بتربية الحيوان : خطيب حقيقي ٠٠ سأقترح تكليفك بأعمال عـلى مستوى المنطقـة ، ولكن فيما بعـد ٠ أما الآن فهـات المسدس لننهي الأمر ٠ (فترة صمت) ألا تسمعان ما أقول ؟ أأنا المسؤول أم لا ؟

بوزاتا : هوذا المسدس ٠٠ على أيهما ستطلق النار ؟

المختص بتربية الحيوان : سواء ٠ (يهيء المسدس)

ناتشو : (مجفلا) لا ٠٠٠ الافضل أن تطلق النار عليّ ٠٠٠ (يخرج بوزاتا وناتشو معا)

المختص بتربية الحيوان : صدر القرار بقتل الكلب لا بقتلك ٠٠ أسحب الكلب يا بوزاتا ٠٠ الى اليسار ٠٠٠

صوت ناتشو : خذ له الآخر ٠٠

صوت بوزاتا : لماذا ، ياناتشو ·· لنترك الكلب الفتي ·· ما حاجتنا الى الهرم ؟

ناتشو : ألم يقل انه لم يعد ثمة وجود للذئاب ·· أليس الهرم والشاب سواء ؟

بوزاتا : لقد أمسكت الآن الكلب الهرم ··· والهرم سيموت من دون ذلك ··

ناتشو : أقول لك : دع الكلب ·· لقد أنقذ حياتي ·· دعه ··

بوزاتا : (ذاهلا) وذاك أيضا ·· (يحتار فما يدري ماذا يقول) وسينقذ حياتك شارو من الآن فصاعدا ·

ناتشو : الى الجحيم حياتي ·

بوزاتا : سينقذ حياتي ·

المختص بتربية الحيوان : (محتدما) تنحيا جانبا ·· أقول لكما ، اذهبا ، سأطلق النار دون تحديد مسبق ·· ابتعدا ·· سأطلق النار ··

[يدخل ناتشو وبوزاتا]

ناتشو : قف ·· (طلق ناري)

(فترة صمت)

المختص بتربية الحيوان : (بصوت خفيض حاقد) أأنت تدفعني ؟

بوزاتا : أنـا ؟·

المختص بتربية الحيوان : (متعجبا) أنت اذن !·

بوزاتا : (ذاهلا وخائفا ثم محتدا) أنا ·! أنا ·!

المختص بتربية الحيوان : هاهو سلاحك ·· خذه ·· سأعود وأخبر الرئيس انك منعتني من تنفيذ قرار المجلس ···

بوزاتا : أنــا ؟··

المختص بتربية الحيوان : أنت ، أنت ·· لقد أعلنت الآن انك دفعتني ··

ناتشو : أنا الذي أزاح يــدك ·

المختص بتربية الحيوان : أهذا يعني أنك أنت الذي أزحت يدي وهو الذي دفعني؟ ·· أتعرقلان تنفيــذ قرار المجلس ؟ (يشــغل محــرك الدراجة الناريــة) ســنرى ما سينال كل واحد جــزاء فعله · ! سنرى أيها الرفيقان ! · (بسخرية) الــى اللقاء !· (يصرخ من بعيــد) أما أنــت أيها الرفيق مارين فلا تنسما قلته حول الاسلاك ·· هذا هو موقفك من المكننــة ··· عضــو في الحــزب ·! يا للاسف !·· (يضيع صوته في هدير المحرك · فترة صمت)

بوزاتا : (ذاهلا) لقد دبرنا الامر ، يعني ···
(ينهق الحمار)

بوزاتا : انهق ، أيها الحمار ، انهق ياأخي ، فلننهق أنــا وأنت ·· يجب أن نتحمــل تبعــة ما نقوله · (تثغو الخراف في الحظــيرة)اثغي أيتها الخــراف اثــغي · البعض يثغون والآخرون ··· الآخرون يعيشون من خبال الآخرين (فترة صمت) هيا تكلم ·· قل كلمات كهذه ··

كلمات جميلة كهذه ، والآن ؟ ....

ناتشو : وأنت أيضا مقتدر بالكلام .

بوزاتا : يعني لاأستطيع أليس كذلك ؟ ما الذي لاأستطيعه .. أهو سر ؟

ناتشو : تستطيع .. لا ، لاتستطيع ولكن ..

بوزاتا : ألواح العقوبات ، آ ؟ ألواح العقوبات ياأخي !. (يقلد أحدهم) يشرف ميلو بوزاتا على الاقبية في كاترانتشوكارا وتفرض غرامة على زوجتك .. « لانك لم تعد بروتوكول العنزة النافقة » ... « قدح وذم أمام المنظمة ضد الموقف الشامل من المكننة » ...

ناتشو : كفاك لغوا .. نحن منظمة ...

بوزاتا : نحن ، آ ؟ ها ، ها ، ها .. (يضحك) فلننتخب اذن رئيسا .. (يقف بانتظام) جلسة محاسبة !! (يصرخ) انتظموا حسب الرقم المتسلسل !! ميلو بوزاتا سيقود العرض ... انتظموا ـ و ـ و ..

ناتشو : أنت تزعق ..

بوزاتا : عفوا ، عفوا ... كل مابي هو هنا ، في الرأس . الضمير والمخاوف و ... أعرف ان احد الكلبين يجب أن يموت .. اليوم !. قبل أن تدور الشمس على الكعب الآخر .. وما ان تدور يا أخي حتى يكون ذلك الحيوان

القارض بدراجته النارية قد سوى أمرنا أمام المجلس كما يحلو له ··· اليس كذلك ؟ (فترة صمت) هكذا ·· وسوف تفتتح الجلسة هكــذا : أي الكلبين ـ شارو أم كوترة ؟

(فترة صمت)

تصمت·· كأنك في الاجتماع · هيا أيها الرفاق تكلموا·· (فترة صمت) هيا ، لكن لا جدوى فما أن يعلو رأسك من الخندق حـتى تسـمع ··· بام !! تطلقها مدفعيـة الاركان ·

ناتشو : لن أخاف · (يشير الى جرحه) هذا من قنبلة ·

بوزاتا : أنا لاأستطيع المباهاة بشيء كهذا · لقد أمضيت حياتي بكاملها قابعـا في الخنـدق (منفجـرا) كيف سأتباهى بهذه الوجنـــة الملتوية ؟ قل ··· وبمـاذا اتباهى ؟ أأقـول : (يا لهـا وجنـة ·· «؛» انظر الى وجنتي » ، « انها وجنة وأي جنة ·· » « هيا انظر الى هذه الوجنـــة ·· » (فترة صمــت) تتآكلني هـذه الوجنة ·· (بلهجة مغايرة) وفي البيت · لقد تحدثت قبل قليل عن نمشة جميلة صغيرة سببت لك الجنون ، أما أنا فهلا سألت عن حالي ؟ عن التي لي ؟ شامة وأي شامة · الشـامة قرب الشـامة · كل وجهها نمـش ·

وعيناها أيضا مرقشتان بالنمـش ٠ ملايين الشامات تلتمع ٠ أعرف لماذا تلتمع ، انهـا لا تلمع من أجـلي ، على كل حال : هل تنفعل يا عم أتناس ؟

ناتشو : أفهـم ٠

بوزاتا : (يتابع كلامه) هي في المقدمة وأنا خلفها ، والحبـل دائما ، يتوتر بيننا مثل ٠٠٠ وهـذه الوجنة هي المذنبة في كل أمر ٠٠النساء لا يحببن المضحك ٠ أظهـر لهن ما يخيفهن ٠٠ ليس لدى ما يخيـــف ٠ كل ما عنـدي مضحك ٠

أشرب من الجدول فاغمـــض عيني كي لا أرى هامتي العوجاء ٠٠ يخطر لي أن أتناول الساطور وأستأصلها ٠٠

ناتشو : الاطباء يستطيعون استئصالها ٠٠ مادامت تضايقك كل هذه المضايقة ٠

بوزاتا : لاتضايقني وحسب بل تتلفني ٠٠ (فترة صمت) لو تعرف : لقد خطرت لي الفكرة ذاتها ٠ ولكنني خجلت من ذكرها لك ٠ سأذهب الى صوفيا وسوف أنام الى أن يستأصلوا هذه الوجنة ٠٠ وما داموا يستأصلون السمنة من البطون فلماذا لا يستأصلون ما لا لزوم له من وجنتي ويسوونها ؟

ناتشو : (غير واثق) أجل ، أجل ٠

بوزاتا : لدي نقود ولست محتاجا ٠ هاهي (يخرج نقودا)

كنت أتحين الوقت الذي أراه مناسباً لأن أسألك أن تنوب عني عدة أيام لأذهب واستأصل هذه اللعينة ·· ولكن ·· (ذاهلا) خربت ·· خربـــت المســألة ·· لقد هددني أمس : « كاترانتشوكار لك ، كاترانتشوكار ·· كي لا تروح وتجيء الى القرية ·· » لقد اتفقنا على مســألة « الرواح والمجيء هذه » فلماذا يتدخل ؟ انني لاتساءل: لماذا يريد ارغامي على الذهاب الى كاترانتشوكار ؟

ناتشو : (مفكرا) مم ـ أجل ، ل ··

بوزاتا : وهاهو ذا « الآس » في يديه الآن فليلعب به · عــدم اطاعة المجلس وما يتبعها وما فوقها وما تحتها وعلى يسارها وعلى يمينها · (الاغنــام تثغــو ينوح بوزاتا شاكيا) أوه ، أيها القدر ، أيها القــدر ، أأنــت الذي قضيت بهذا ·· احتم علي ان أراك في أيدي الآخرين ·· (يحاول ان يخفي حزنه بالمزاح) ·

(فترة صمت طويلة · الكلاب تنبح والاغنام تثغو)

ناتشو : (متنهدا) انتهى ·· سينبح الحاكي من الآن فصاعدا والاسلاك سترقص · لن يكون ثمة قضيب ولا عصا ·· (الاغنام تثغو) فلتثغي الآن ما دام أوان للثغاء فقد تطرح فيما بعد مسألة الثغاء ·· « لماذا الثغاء في القفر دون جدوى ؟ يجب أن يحـــدث الثغاء حين تكون ثمة ضرورة لذلك ·· » قد تطرح مسـألة كهــذه ، ولماذا لا

تطرح ، ما دامت قد طرحت مسألة : « وما حاجتك لنباح الكلاب ؟ « قد يطـــرح كل شيء ! كل شيء ممكن ·· ولماذا يكون غير ممكن ؟ (فترة صـمت) ما بك ؟ هل غفوت ؟ قل شيئا ·

بوزاتا : قلت كل شيء ·

(صت)

ناتشو : (يتنهد) هل يوجد طلقـات ·

بوزاتا : (بعد صمت) يوجـد

ناتشو : أطلق النار على كلبي ·

(بعد فترة صمت طويلة)

بوزاتا : (ذاهلا) أحقا ما تقول ؟

ناتشو : (بحدة) مادمت قلته فهـو صحيح !! (يصيح) اذهـب ·· (يهيء بوزاتا المسدس) ولكن ، تمهـل لحظة ··

بوزاتا : آه ، أنت ؟ ماذا ستفعل ؟

ناتشو : سآخذ الغايدة وسأعزف عليها كي لاأسمع · أنت تطلق النار ·· وأنا سوف أعزف ·· أمش ··

(يخرج بوزاتا · يعزف ناتشو على الغايدة · يجوز انه عزف معزوفة أوقطعامن معزوفة أو بامكانـه أن يعزف لحنا واحدا ثم يترك الغايدة « تشـكو » من حين لآخر يجب أن يمتد العزف قليلا لفترة يمكن معها امتصاص

« التوتر » ثم يسمع بعد ذلك صوت اطلاق نار : طلقة واحدة أولا ثم الثانيـة والثالثـة فالرابعـة ·· تطـلق بسرعة · يتوقف العزف على الغايدة فترة صمت · يدخل بوزاتا) ·

ناتشو : (بصوت خافت) هل انتهى الامر ؟

(فترة صمت)

بوزاتا : انتهيـت ·

ناتشو : من أيهمـا ؟

بوزاتا : مـن الطلقات ·

ناتشو : ألم يمـت ؟

بوزاتا : لم أتجاسر ·

ناتشو : هكذا ·! وبعد ذلك ؟

بوزاتا : سترعد ثم تطير ·· ثم ستمطر ومن ثم سوف يتحسن الطقس ·

(فترة صمت)

(يهدر على مقربة محرك المختص بتربية الحيوان)

ناتشو : هاهي ترعد ·

بوزاتا : (متجهما) فلتفعل ·

ناتشو : (قلقا) لماذا عاد ؟

بوزاتا : (موزع البال) قد يكون قدره تخلى عنه ·

(هدير الدراجة يتعاظم حتى يسود على كل ما عداه ·

يسد العم ناتشو اذنيه • تقف الدراجة • يدخل المختص بتربية الحيوان وقد أمال قبعته • يركز نظراته على بوزاتا) •

المختص بتربية الحيوان : لماذا حدث اطلاق النار ؟ (يصمت الراعيان) هل أنهيتما الامر ؟

ناتشو : كلا •••

المختص بتربية الحيوان : لماذا ؟ (ينفجر) ترفضان تنفيذ قرار المجلس • أهذا ما يجب أن أفهمه ؟ أسألكما لآخر مرة •

ناتشو : لقد فعلت حسنا اذ ذهبت •• لماذا عدت ؟

بوزاتا : ليكون لديه ما يرفع به تقريرا الى الرئيس •

المختص بتربية الحيوان : (لبوزاتا) أستطيع أن أذهب حين أشاء وأن أعود حين أشاء • واستطيع أن أقترح ما أشاء وأن أفعل ما أشاء• ولا يحق لك أن تحاسبني (بسخرية قاتلة) خاصة انت ••

بوزاتا : (يتماسك ولكن هياجه يظهر بجلاء) ولماذا « خاصة » لماذا ؟

المختص بتربية الحيوان : (بوحشية) اسمع ، ليس لدي ما أبحثه معك (يؤكد بابهة وتفاخر) استنادا الى قرار المجلس وأمر الرئيس آمرك أن تقضي على الكلب •••

بوزاتا : أي الكلبين ؟

المختص بتربية الحيوان : الكلب المخطط •• كلبك •• (بشدة)

بوزاتا : الآن ··· أم فورا ؟

المختص بتربية الحيوان : (يبدو من ملامح وجهه انه اهتاج) اللحظة ··· أمام عيني !! في هذه اللحظة ·· وبيديك أنت ··· ثم أسلخه وسآخذ جلده الى القرية كدليل على تنفيذ قرار المجلس ·

ناتشو : (يحاول تجنب العاصفة الوشيكة) اسمع ···

المختص بتربية الحيوان : (خارجا عن طوره) سمعت ما فيه الكفاية وأصغيت طويلا الى حماقاتكما (يمسك يد بوزاتا ويحاول ارسالة الى الخارج) تحــرك ·· اطلــق النار على الفور ·· (يتنهد قهرا) اطلق النار ··

بوزاتا : تمهل ·· الا يكون من الافضل لو قطعنا رأس الكلب وحملناه في علبة ؟ (بقوة) أمر سلطاني ·· ؟ وهل أملحه بالسكر ؟

المختص بتربية الحيوان : (وقد أذهلته جسارة بوزاتا ، يمسكه من تنية سترته ويهزه) لا أسمح لك أن تكلمني بهــذه الطريقة ··· أنا الذي سوف أملحك لا بالسكر ولكن بـ ····

بوزاتا : (يتملص منه بنترة قوية ويصوب نحوه المسدس)قف أو اسحق قرعتك ··

المختص بتربية الحيوان : (ذاهلا) ياعم ناتشو ·· أنت شاهد

بوزاتا : (يتمالك ظاهرا ويظل يغلي داخليا · كلماته حادة مقتضبة لا تشبه في شيء كلمات بوزاتا وهو خائف) ،

سيكون شاهدنا ٠٠ وليس شاهدا فحسب بل وقاضيا ٠٠ (يشير الى نفسه) سأكون المدعي العام ضدك ، أما أنت ففي قفص الاتهام ٠٠ (بقوة) تهيأ !!٠

المختص بتربية الحيوان : (يقف باستعداد لا اراديا) اس ، اسمع ياانيسان ٠٠

بوزاتا : الآن سنرى من هو الانسان ومن هو الانيسان (يلوى المختص بتربية الحيوان رأسه نحو العم ناتشو طلبا للمساعدة ٠ يرى بوزاتا ان العم ناتشو يريد التدخل) كن على الحياد ياعم ناتشو ٠ المحاسبة ليست عامة وتتعلق بالقرية فحسب بل هي شخصية ايضا ٠

المختص بتربية الحيوان : (متراجعا الى الخلف) ماذا تريد الان مني ؟ ماذا ؟

بوزاتا : أريد قبل كل شيء أن تبتعد عن الباب (يغير المختص بتربية الحيوان مكانه) أيضا !! « ينتحي المختص بتربية الحيوان أيضا » هكذا ٠ (دون أن يحيد بصره عن « المتهم ») ودون أن ينزل المسدس يجلس فوق كومة من الاكياس ٠ يومىء برأسه « للشاهد ») اجلس يا عم ناتشو ٠ الشهود والمدعي العام يستطيعون الجلوس ٠

المختص بتربية الحيوان : أنت ٠٠ هل حسبت حسابا لما تفعله ؟

بوزاتا : تماما ٠٠ التسريح ثم الملاحقة فالمحاكمة ثم المشنقة ٠ وهل هناك شيء فوق المشنقة ؟ لايوجد ٠ أما الآن فأجب

عن اسئلتي • لماذا أرغمتنا هذا الصيف على أن نسوق الاغنام الى السهل ؟

المختص بتربية الحيوان : للـرعي •••

بوزاتا : (يقاطعه) أنت تعرف ان المراعي هنـاك ملفوفـة بالحر ••

المختص بتربية الحيوان : تسهيلا للامداد بالحليب •

بوزاتا : نقص الحليب حتى النصف بسبب المرعى الملفوح •• اليس كذلك يا عم ناتشو ؟

(ناتشو يومىء برأسه موافقا)

بوزاتا : وهل تعرف مقدار النقص عن معدل الخطة ؟

المختص بتربية الحيوان : لا أتذكر الارقام •••

بوزاتا : وهل تتذكر انـك كتبت في تقريرك الـى المجلس : « بسبب رعونة تصرفات مسؤولي تناسل الحيوانات ، وهكذا دواليك ••• وبسبب كذا وكذا •• وعدة نقط !!

المختص بتربية الحيوان : (باقتضاب) وماذا سأكتب ؟

بوزاتا : (يقف منتصبا) الحقيقة ••

المختص بتربية الحيوان : أ ـ أ •• اية حقيقة ؟

بوزاتا : تعرفها ! لننه حساب القرية ، كم من الكلاب كـان بالامكان اطعامها بالحليب المضيع ؟ احسب ؟

المختص بتربية الحيوان : ألف وأربعمئة ليتر ، بسعر ••

بوزاتا : (مؤكـدا) ألف وأربعمائة وستون • بهذا المقدار ،

نقص معدل الخطة ...

المختص بتربية الحيوان : ألف وأربعمائة وستون مضروبة بخمس عشرة ستوتنكا ..

ناتشو : وهل تبيع حليب القرية بخمس عشرة ؟

المختص بتربية الحيوان : لم أبع شخصيا الا لكاير ياكوف . ولقد طلب الرئيس الباقي .

بوزاتا : والجبن ؟

المختص بتربية الحيوان : الجبن كان للمصطافين ...

بوزاتا : (مشددا) لمن ؟

المختص بتربية الحيوان : لمدير « فين بروم » (انتاج الخمور) ولكن البيرة لعيد الرعاة كانت منه .. دون مقابل ...

(يتبادل ناتشو وبوزاتا النظرات)

بوزاتا : وماذا بقي لك ؟

(يصمت المختص بتربية الحيوان)

بوزاتا : أيجب أن أسحب كل كلمة منك بكلاب .. (يرفع المسدس) سأدقك ..

المختص بتربية الحيوان : (بسرعة) ثلاثون دجاجة « تراكيا » هو الذي أرسلها . لم أطلب هذه الزجاجات . جلبها مدير المصيف . حملها فلم أرجعها .. من منهم لم يشرب ؟ الرئيس والمحاسب و ....

بوزاتا : (بشكل غير منتظر) وزوجتي .. أليس كذلك ؟

(يصمت المختص بتربية الحيوان وينزعج)

بوزاتا : الزجاجات الفارغة التي في بيتي هـل هي منها ؟
(المختص بتربية الحيوان لا يجيب · ينهـض بوزاتا متمهلا ويقترب من « المتهم » الذي يخطو ويستند الى الجدار · يخاطبه بوزاتا من بين اسنانه وهو ينظر الى عينيه) تكلم ··

المختص بتربية الحيوان : وماذا سأقول ؟

بوزاتا : الحقيقة !!·
(يرفع ذقنه بسبطانة المسدس ثم يضعـه على عنقه ويضغط)

المختص بتربية الحيوان : (مجفلا) م - مهلا ···

بوزاتا : (يبعد سبطانة المسدس عن عنقه) ألهذا أرسلتني مع الاغنام الى السهل ؟

المختص بتربية الحيوان : لهـذا ··

بوزاتا : كم مرة ··· اعتليت ؟

المختص بتربية الحيوان : لم أعتل ·· هي التي فاتحتني (تحت نظرات بوزاتا المركزة عليه) حتى انها هي التي اعتلتني ·· انا ··
(ناتشو الذاهل ينظر الى هـذا تارة والى ذلك أخـرى وكأنه لا يصدق ما يسمع)

بوزاتا : (بصوت خافت من خلال أسنانه) وغد ، وغد ···
(يلوح بالمسدس ليضربه به ولكن ناتشو يقفز برشاقة

ويمسك يده)

بوزاتا : (يثوب الى رشده) هل قلت شيئا ·· ما ؟

المختص بتربية الحيوان : كلا ····

(يغض من نظره ، بوزاتا يفكر ، يقلب المسدس في يده · يقيس المختص بتربية الحيوان المسافة بينهما بنظره ثم يطيح بالمسدس من يده بضربة قوية خاطفة ثم ينحني ويلتقطه سريعا ويصوبه الى قاضيه) ·

المختص بتربية الحيوان : الى الوراء ····

(يتراجع بوزاتا خطوة وهو ذاهل دون أن يرفع يديه يهم ناتشو بالنهوض ولكن كلمات المختص بتربية الحيوان توقفه)

المختص بتربية الحيوان : لا تتحرك ·· (ينتقل ليأخذ موقعا مناسبا في مواجهة الراعيين ، يضغط على الباب بظهره ويقول من خلال اسنانه) تيس قذر ·· سترى كيف تهدد بالقتل شخصية رسمية ··· (يتحول خوفه الى حقد مستطير لايستطيع كبحه) فطيم حقير نتن !!· لاتستطيع اصلاح زوجتك فتريد اصلاحي !! هيا أصلح زوجتك ولاتنتفش علي ·· لماذا لا تصلحها ؟ وجنتك عوجاء ملتوية ·· مجرم ·· تريد أن تتمرد وتطلق النار علي ؟ ساحشرك في السجن ·· لا تتحرك ·

بوزاتا : هل هي التي قالت : « هذا الفطيم النتن » ؟

المختص بتربية الحيوان : (مؤكدا باستمتاع قاس) هي ·· (بسادية) تريد أن تعرف شيئا آخر ، آ ؟ (تخطر له فكرة) اخرج يا عم ناتشو (لبوزاتا) أرى من الالطف ان نكون وحيدين ·

بوزاتا : (لناتشو) أخرج ·· (يتردد ناتشو) أخرج ، أخرج ·· وانتظر ·· لا أريد شهودا ···

(يفهم العم ناتشو قصده فيومي ، برأسه ويخرج · يبقى بوزاتا والمختص بتربية الحيوان وحيدين)

بوزاتا : (بهـدوء) تكلم الآن ···

(خلف هدوء بوزاتا تكمن عاصفة فهو لا يكاد يخفي انفعاله)

المختص بتربية الحيوان : استلق على الاكياس !! هكذا !! أنذرك ·· اذا تحركت فسأطلق النار وارديك ·· ولن أحكم بأكثر من سنتين عن جيفة مثلك ··· واضح ؟

بوزاتا : واضح ·· وماذا قالت لك زوجتي ؟

المختص بتربية الحيوان (من مسنده) تقول انك توسخ جلدها ·· ألا تستحم ؟ وتخدشها · الا تحلق لحيتـك ؟ امرأة كهـذه ، لطيفة غضة ، جميلة !! (فترة صمت) يفكر بطريقة يذله بها ويقضي عليـه) وتلوثهـا انـت بلعـاب هـذين المشفرين ·· هذه المـرأة تريـد رجلا ·· رجلا حقيقيا (يلحظ حركـة بوزاتا الخفيفـة) لاتهتـز ··· كيف

حصلت على هذه المرأة ؟

بوزاتا : باليانصيب ·

المختص بتربية الحيوان : لا تتحرك ···

بوزاتا : أحس بالحاجة الى التحرك · يجب أن أقول لك ·· (ينتصب يحرك يديه ويتقدم نحوه)

المختص بتربية الحيوان : (يرفع المسدس ويسدد) سأطلق النار ··

بوزاتا : (حين يصل الى أمامه ينقض فجأة ويمسك بخناقه ليخيفه) هاو ـ و ···

(يضغط المتخصص بتربية الحيوان على الزناد فلا يسمع سوى طلقة · يعود بوزاتا بهـدوء الى مكانه القديم · يضطرب المتخصص بتربية الحيوان غاية الاضطراب ويشحب)

بوزاتا : (بهدوء) مسدسك فارغ (يخرج طلقات من جيبه) ها هي الطلقات · (يستل مدية كبيرة) الآن استطيع أن أشج قرعتك بالمديـة · (يلاحـظ ان المتخـصص بتربية الحيوان ينظر الى البـاب) ان أدرت ظهـرك فسـوف أثقبـك قبـل ان تلمس مسكة البـاب !! (يستمتع بمأزق المتخصص بتربية الحيوان) هيا ·· تابع غزلك ·· ماذا قلت ؟·· لطيفة ··· غضة ·· ؟ امرأة لرجل ·· رجل حقيقي ؟ هيا يارجيل · ان قذفتك بالمدية فماذا تفعل ؟ (يلوح بالمدية ليرميه بها

فليتصق المتخصص بتربية الحيوان بالجدار) آخ ، لو ان لديك طلقات ، آ ؟ (فترة صمت) هاك الطلقات ·· مني الي ··

(يرمي الطلقات بقدمـــه ثم يعيد المدية الى حزامـه ويصالب يديه ويقول آمرا)

بوزاتا : املأ المســدس ··

(يركع المتخصص بتربية الحيوان بعد أن يتردد فترة ويعبىء المسدس دون أن يحيد بنظـره عن بوزاتا ثم ينهض وقد تشجع وتبدل) ·

بوزاتا : أعاد قلبك الى مكانه ؟ أنت الآن تستطع أن تطلق النار ان لم تكن قد غيرت مزاجك ·

(ينهض ويتجه صوبه · يرفع المتخصص بتربية الحيوان المسدس · يقف بوزاتا على بعد خطوتين ثم يرفع يده على مهل ويسوي سبطانة المسدس) ·

بوزاتا : لا أحبها في السره ·· الى الاعلى ·· (يخلع قميصه) اطلق النار ، أيها الغراب المتعلم ··· متفلسف وغد · جبان ·· (يتوتر وجه المتخصـص بتربيـة الحيوان)

(ويتصبب عرقا • يتابـــع بوزاتا تحقـيره) ظربان معطر •• وغد حقير !!

(يضربه فجأة على يده فيقع المسدس أرضا • يقفان أحدهما تجاه الآخر • الاول مهيب الطلعة معمم الرأس بمنديل والآخر صغير رشيق قبيح الشكل تلتمع عيناه وقد صالب يديـــه على صـــدره • يرفع بوزاتا يـده ويصفعه صفعة ثم تتلوها أخرى • يمسك به من طرف عمامته ويشده الى الارض فيقع على ركبتيه • تذهل شجاعة بوزاتا المختص بتربية الحيوان) •

بوزاتا : أستطيع أن أسحقك كالقملة •• ولكنك تلزم لي ••• ستنقذ الكلبين • وستحمل الى زوجتي في البيت قماطي ساقي القذرين • أريدهما غدا مغسولين •• أريدهما في علبة مكويين •• (يمسكه من لحيته ويدير وجهه نحوه) مفهوم ؟ (يتركه وينادي) يا عم ناتشو ، تعال •••

ناتشو : (يدخل ويرى المختص بتربية الحيوان راكعا فيندفع بقوة ويبصق عليه) تفو ـ وو •••

(ينهض المختص بتربية الحيوان آليا ويحاول الخروج فيوقفه صوت بوزاتا) •

بوزاتا : انتظر •• (يجلس • يخلع قماطيه ويطويهما ويضعهما في يديه) خذهما !! أخفض رأسك •• (يفتح له الباب)

(يخرج المختص بتربية الحيوان متمهلا • يسمع هدير

محرك الدراجة النارية ثم يخف تدريجياً يظــل الاثنان أحدهما أمام الآخر · ينظر اليه ناتشو مندهشاً فكأنــه يراه لأول مرة)

ناتشو : ياه ، ياه ، ياه ·· ماذا يجــري !! وانت ؟ خرجت من خندقك · آ ؟

بوزاتا : أرغمتني هذه الجيفة على ان أتقيأ كل ما ابتلعته منذ زمن لقمة وراء لقمة ·· مالحة ومرة ·· ولمــاذا ؟ كي لا يقلب لي صحنا من الحليب !! انحــناءات ذات اليمين وذات اليسار ·· وضرب الجبيــن بالارض !! ومن أجل صحن لعين ·· والمســألة ·· واضحة : ترفس الصحن فتعود كل امورك الى مكانها · لا مبــرر للاختبــاء في الخندق ···

(فترة صمت)

ناتشو : (متعاطفا معه) وماذا ستفعل مع زوجتك ؟

بوزاتا : (بعد صمت قصير) لن أجري عملية جراحية لوجنتي !! لا !! أنا أنال اعجاب الكلبين بها !!

ناتشو : المهم ان ننقذ الكلبين !!·

بوزاتا : (بعد تفكير قصير) قلت قبل فترة : (نحن منظمة) المنظمة يمكن أن تنقذهما ، اذا أرادت ·

ناتشو : (يتصور شيئا) متى الاجتماع ؟

بوزاتا : هذا المساء ·

ناتشو : (منفجرا) : يجب أن أذهب حتما (ينهض)

بوزاتا : وأنا ؟ هل سأبقى هنا وألحس جراحي المتقيحة ؟..
كل ـ لا .. ما دامت قد دخنت فلتستمر !! (بتجهم وتصميم وكأنه يسترجع شيئا مضى لنفسه أكثر مما لناتشو) جاء دور بوزاتا ليقول كلمته !! (بقسوة وأسى) انتظم في الصف حسب الرقم المتسلسل ! ململ انت أيها المحاسب كرشك .. تحرك انت أيها الرئيس الى اليسار ... أماأنتم ياأعضاء المجلس (موبخابألم) فتساووا مع الشعب أخذتكم الشياطين ..
(فترة صمت) أما أنت يا عم أتناس فأريد منك شيئا واحدا :أريدكأن تحكي لهم على النمشة الصغيرة . قل لهم ان الاسلاك هيالاسلاك أيها الرفاق، وان الانسان هو ... الانسان هو انسان .... لاتسحجوا الانسان بالمسحج .. اشرح لهم . قد يتحمسوا . خضت الحرب الاوروبية ... لقد أطعمت الأنصار ... لا يستطيعون أن يقولوا لك ما يسيء لك !

ناتشو : لن يقولوا بلسيصرخون بالويل !! سيضربون سيطلقون النار !! لن يلبثوا هكذا .. انهم ...

بوزاتا : (منفجرا) فليفعلوا !! اطلقوا النار علي ، أكلتكم الكلاب .. هنا .. (يشير الى صدره) في الداخل ..

فصدري من دون هذا يتوقد ٠ (يتلوى خلال لحظة ضعف ثم يتناول عباءته) فلنذهب يا عم أتناس ٠٠٠

(يتأبط الراعيان عصاتيهما وينطلقان وعباءتاهما مفتوحتان ، ولكنهما يتوقفان عند الباب)

بوزانا : والأغنـــام ؟

ناتشو : سنلقي لها البرسيم وسنرصد باب الحظيرة وكفى ٠٠ سيحرسها الكلبان ٠٠ لو عرف الكلبان سـببب ذهابنا الى القرية للعقا الوحل عن نعالنا ، ؟ ؟

بوزانا : سوف يلحساننا مرورا بأقدامنا ٠٠٠

(يخرجان سريعا وكأن عاصفة دفعتهما ٠ يسمع رنين أجراس يتنامى ليصير موسيقا) ٠

(ستار)

* * *

دراســات

مدخل لدراسة أدب دول أمريكا اللاتينية الناطقة بالاسبانية
(مجموعة من المؤلفين السوفييت)

ترجمة : ابراهيم الجرادي

ابراهيم كاسوحة

مدخل لدراسة أدب دول أمريكا اللاتينية الناطقة بالاسبانية

مجموعة من المؤلفين السوفييت - ترجمة : ابراهيم الجرادي و ابراهيم كاسوحة

ان لادب أميركا اللاتينية جذوراً خاصة ومراحل محددة تعكس عملية تطور هذه القارة ثقافياً وتاريخياً .

وتشتمل نظرية الادب على عدد كبير من الآراء التي قد تصل أحياناً الى حد التناقض ، وخاصة ما يدور حول تحديد هذه المراحل فبعضهم يستند في بناء آرائه الى التبدلات الزمنية التي طرأت على المدارس والتيارات الادبية المتوارثة (لويس ألبيرتو ساجيس) ، وبعضهم الآخر يفضل بناء نظريته على ما يسمى بـ « مبدأ الاجيال » (هنريك أندرسون امبرت) ، وهناك فئة ثالثة تبني آراءها على أساس التوفيق بين العوامل الادبية والاجتماعية والتاريخية (هنريك أورينيا) ، أما الفئة الرابعة والاخيرة فتبتعد عن العادات والتقاليد المتبعة وتنظر الى مجمل تاريخ الادب والثقافة في دول أمريكا اللاتينية على أنه كل متكامل ويتمرحل بثلاث مراحل : « المرحلة الاستعمارية » و « المرحلة الكسموبوليتية » و « المرحلة القومية » (خ.ك. مارياتيغي) .

ان المبدأ الاكثر واقعية وعلمية هنا هو الذي يقوم على أساس

توضيح المراحل التاريخية العظيمة المرتبطة بالتغييرات الراديكالية الكبيرة التي طرأت على حياة مجتمعات أمريكا اللاتينية • لكن هذا لايعني ، طبعاً ، رفض جميع الآراء والتقسيمات الاخرى رفضاً قاطعاً ، لانه من الضروري أن نضعها نصب أعيننا وخاصة عندما نقوم بدراسة أدب أمريكا اللاتينية أو بعض مناطقها في اطار المراحل التاريخية •

مرحلة ما قبل الكولومبية :

ان بدايات هذه المرحلة ضائعة في أعماق التاريخ • أما نهايتها فمحددة بقدوم الاسبان والبرتغاليين في نهاية القرن الخامس عشر ومطلع القرن السادس عشر • وتسمى هذه المرحلة أحياناً بمرحلة « ما قبل تشكل أدب أميركا اللاتينية » • ومن هذه المرحلة بالذات وصلتنا أساطير قبائل الهنود الحمر وقصصهم وحكاياتهم التي كتبت في وقت متأخر قليلا • كما وصلنا منها بعض الآثار الادبية التي يعود تاريخها الى الحضارات التي كانت سائدة قبل قدوم الاسبان • ومن هذه الآثار : الاساطير الاتستيكية وبعض القصائد والمؤلفات المجهولة المؤلف وخاصة لدى شعوب مايا ـ كيتشيه والتي اشتهر منها ملحمة « بوبول ـ فوخ » ، والكتب الدينية « تشيلام بالام » ، والاساطير الانكية والخرافات والاناشيد ، وأخيرا الدراما الكشوانية الشهيرة « أوليانتاي » •

ان أهم ما يميز فولكلور الهنود الحمر المعاصر هو طغيان الغيبية عليه والطوطمية والتصورات الاسطورية الخرافية والرمزية المعقدة التي

---

* فصل من كتاب يعمل المترجمان على انجازه .

تعود الى مرحلة ما قبل الكولومبية والتي ما تزال آثارها واضحة على الادب حتى يومنا هذا وخاصة في فنزويلا والبيرو وبوليفيا والاكوادور وغواتيمالا والمكسيك وغيرها ٠

المرحلة الاستعمارية :

تتميز هذه المرحلة بالقضاء شبه التام على قبائل الهنود الحمر ـ سكان البلاد الاصليين وعلى حضاراتها البدائية في الجزر والسهول والمناطق الاستوائية ، وادخال المدنية الهندوا ـ أوروبية (الاسبانية) الى أراضي المكسيك الحالية وغواتيمالا وكولومبيا والاكوادور والبيرو وبوليفيا ٠ وتمتد هذه المرحلة من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر ٠ والى هذه المرحلة الاستعمارية ترجع مؤلفات الزنوج الفولكلورية الاولى ، (هؤلاء الزنوج نقلوا الى الاراضي الاميركية بالقوة وقسراً) لكن الكتاب (الاسباني) ظل حتى نهاية المرحلة الاستعمارية، بعيداً عن الفولكلور (خاصة الهندي والزنجي) ، ومنفصلا عنه ٠ ولذلك كان تأثير كل منهما على الآخر أي الكتاب والفولكلور ، ضعيفاً جداً ٠ وقد سيطرت الروح الاسبانية والنزعة الكاثوليكية على كل النتاج النثري والشعري ٠ ومما تجدر الاشارة اليه أن أدب المستعمرات كان معزولا عن العالم الخارجي وخاضعاً في الوقت نفسه لمختلف أشكال الرقابة والحظر ولقوانين الفاتيكان ولوائحه السوداء(index'om) (1) . وكان ينظر اليه كجزء لايتجزأ من الادب الاسباني الذي يمر بمرحلة

(1) (index'om)تعني لائحة الكتب السوداء المحظورة بامر من المراقبة البابوية في الفاتيكان .

ازدهار عظيمة ٠

ان الفن الذي لاقى انتشاراً واسعاً في ذلك الوقت كان يتمثل في الاسفار والمخطوطات القديمة ، (Crònicas) ، والمدونات التاريخية والمواد النثرية التي لم تحمل في معظم الاحيان أياً من الصفات الفنية والتي كان كتابها مأخوذين ومسحورين « بالحداثة » وبغنى الارض المكتشفة حديثاً ٠ وهذا هو السبب في أن جميع كتاباتهم كانت عبارة عن وصف مجرد للطبيعة ولعادات الهنود الحمر وتقاليدهم ولأحداث تلك الفترة المرتبطة باكتشاف « العالم الجديد » ٠ ويلاحظ الباحثون في مؤلفات أشهر كتاب تلك المرحلة أمثال بيرنالا دياسادي كاستيلو (١٤٦٥ ـ ١٥٨٠) وبارتولومي دولاس كاساسا (١٤٧٥ ـ ١٥٦٦) وغونالو فرنانديسادي آفيدو (١٤٧٨ ـ ١٥٥٧) وفي نتاج شعراء الملاحم أمثال أولونسو ارسيلا (١٥٣٤ـ ١٥٩٤) وانكاغارسيلاسو دي لافيغا (١٥٣٩ ـ ١٦١٦) ، يلاحظون ابتعاداً عن أشكال الادب الاسباني التقليدية وموضوعاته الاساسية ٠ ولذلك ليس صدفة أن يكون برنال دياس وأولونسو ارسيلا وانكاغارسيلاسو على التوالي مؤسسين لآداب المكسيك والتشيلي والبيرو ٠

بعدذلك وفي القرن السابع عشر أي في مرحلة ازدهار الامبراطورية الاسبانية الاستعمارية في أميريكا ، فان هذه البدايات ، التي شكلت في الوقت نفسه اشارات واضحة لعملية الانعتاق الروحي ، أخذت تضعف حتى طمست معالمها نهائياً نتيجة انتشار ما عرف بتيار

« الغونغوريزم »(١) أو «الفونغورية» في الادب والذي ساعد على تثبيت ظاهرة « الشكل » وسيادتها ، والتي أطلق عليها فيما بعد (عبادة الشكل) ، والتمسك بتعقيدات اللغة القصوى . وقد جاء كل ذلك كتعبير مباشر عن النظريات القومية والارستقراطية التي كانت سائدة في الادب الاسباني . وهكذا تحول « الفونغوريزم » الاسبانو ـ أميركي فيما بعد الى عائق وقف في طريق محاولة رسم الحد الثقافي الذي يفصل بالتدريج بين الادب الاسباني والادب الناطق بالاسبانية فيما وراء البحار .

ان أمريكا الاسبانية(٢) لم تقدم في الواقع خلال القرن السابع عشر سوى ثلاث شخصيات أدبية حقيقية كتبوا مؤلفاتهم وابداعاتهم خارج اطار الفونغوريزم وبعيداً عن تأثيراته وربطوا أنفسهم بتراث المكسيك القومي وثقافته وهم : المسرحي خ. رويس دي الاركون ايميندوسا (١٥٨٠ ـ ١٦٣٩) والشاعرة المكسيكية خوانا انيس دولاكروس (١٦٤٨ ـ ١٦٩٥) والشاعر المكسيكي برناردو دي بالبونيا) ١٥٦١ ـ ١٦٢٧) .

مرحلة النضال من أجل الاستقلال (الربع الاول من القرن التاسع عشر) :

لقد أتت هذه المرحلة نتيجة التطورات الاقتصادية والاجتماعية

---

(١) الغونغوريزم : نسبة الى مؤسس هذا الاتجاه في الادب الاسباني الشاعرلويس دي غونغور ـ آـ غوتا (١٥٦١ ـ ١٦٢٧) .

(٢) وتشمل الدول الامريكية اللاتينية الناطقة بالاسبانية فقط نتيجة استعمار اسبانيا لها « المترجمان » .

الكبيرة التي طرأت على الدول المستعمرة والتابعة لاسبانيا ٠ أما في مجال الفكر فقد كانت هذه المرحلة نتيجة منطقية لتأثير أفكار الثورة الفرنسية وأخبار النضال التحرري الذي كانت تخوضه أميريكا الشمالية٠ وأصبح واضحا في هذه المرحلة أن السد المنيع الذي ضربته اسبانيا حول مستعمراتها اقتصادياً وفكرياً وروحياً قد بدأ بالانهيار كما أخذ تأثير الكنيسة يضعف تدريجيا الى أن زالت زعامة اسبانيا الثقافية وسيطرتها الروحية والفكرية ٠ وقد أعطت حركة النضال الوطني التحرري دفعة قوية لتطور الاسس الاولية (غير الاسبانية) لآداب المستعمرات و « صالونات » مؤيدي حركة الاستقلال وأنصارها ٠ ولعبت الاغاني الفولكلورية وابداعات الجماهير الشعبية دوراً هاماً في هذا المجال ٠ وتحول الأدب ليصبح « أدب الافكار والنظريات والنضال » ٠ وظهر عدد من قادة حركة الانفصال عن اسبانيا لاكسياسيين ناجحين وموهوبين فحسب بل وكفنانين من الدرجة الاولى ٠ وبدأت أعمالهم الابداعية ترى النور وتنتشر في الاوساط الشعبية بشكل واسع ٠ وقد اشتهر منهم فرانسيسكو ميراندا (١٧٥٠ ـ ١٨١٦) وسيمون بوليغار (١٧٨٣ ـ ١٨٣٠) وماريانو مورينو (١٧٧٨ ـ ١٨١١) وغيرهم ٠

ومما يلفت النظر هنا هو أن الاعمال الابداعية والفنون التي استطاعت أن تشق طريقها وتنتشر أكثر من غيرها ، في مرحلة حرب الاستقلال هي تلك التي ارتبطت مباشرة بالضرورات السياسية وأحداث الساعة كفن الخطابة والصحافة والشعر السياسي والغناء الشعبي المبدع ٠ وهذا ، بالذات ، ما يفسر لنا سبب طبع رواية الكاتب المكسيكي

فرناندس دي ليساردا (١٧٧٤ - ١٨٢٧) « بيريكيلو سارنينتو » (١٨١٦) عدة مرات خلال فترة وجيزة من فجر الاستقلال • وفضلا عن تأثيرات فلسفة التنوير الفرنسية الواضحة في مجال الايديولوجية و « تسييس » الادب فان هناك بعض الخطوط الاخرى التي تميز هذه المرحلة كاقتراب الكتابة بتقاليدها من المصادر الفولكلورية • وقد فرزت مرحلة النضال من أجل الاستقلال ، اضافة الى الشعراء ورثة « الكلاسيكية الحديثة » كأنرسو بيللو (١٧٨١ - ١٨٦٥) وخوسيه خواكينو أولميدو (١٧٨٠ - ١٨٤٧) وخوسيه ماردي أريديا (١٨٠٣ - ١٨٣٩) الذين ظهرت في مؤلفاتهم بوادر عصر الرومنتيكية ، فرزت عددا من الشعراء الشعبيين العباقرة كبارتولومي ادالغو (١٧٨٨ - ١٨٢٢) مؤسس اتجاه «غاوشو»(١) في أدب دول « لابلاتا » (الارجنتين والاوروغواي والباراغواي) والشاعر ماريانو ملفار (١٧٩١ - ١٨١٥) أول ممثل لآداب الهنود الحمر •والى هذه المرحلة تعود أيضاً بدايات تأسيس أدب أميريكا اللاتينية المتعدد القوميات •

ان مكسب الاستقلال الذي حققته دول أميريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر هو أهم حدث تاريخي في تلك الفترة • ولكنه لم يحقق لها الهدوء والاستقرار اللذين كانت تنشدهما ، ولم ينقذها من خطر الصراعات الداخلية وبرك الدم التي غرقت فيها لفترة طويلة من الزمن• لقد ظهرت في القرن التاسع عشر البدايات الاولى لتشكل النظام

---

(١) غاوشو من الاسبانية (gaucho) اي زراعي ، رعوي ، وهنا يتعلق ذلك بشعب الارجنتين والاورغواي الرعوي ، وحول اتجاه غاوشو في الادب راجع فصل ادب دول لابلاتا .

الرأسمالي في دول أميريكا اللاتينية على أسس الاقطاعية الموروثة عن المستعمرين الاسبان والتي لم تتفكك بصورة تامة • وقد تحول واقع العصر السياسي في تلك المرحلة الى مجال واسع للصراع الدائم في كل مكان بين الليبراليين الذين يمثلون القوى البرجوازية الشابة والمحافظين الذين يعبرون عن مصالح الاقطاعية ويدافعون عن الانظمة الاستعمارية القديمة • وقدساعدت الدكتاتورية والزعامة(١) وتسلط الكنيسة والفوضى العامة على ولادة أدب المعارضة الذي اتصف بالرومنتيكية وتناول كل أنواع الفنون الادبية • ويعتبر الشاعر الارجنتيني والقائد السياسي البارز ستيبان اتشيفيري (١٨٠٥ – ١٨٥١) مؤسس المدرسة الرومنتيكية في أدب أميريكا اللاتينية ، ومن بين أشهر الكتاب الرومنتيكيين في هذه المرحلة يمكن أن نذكر العالم والمربي الارجنتيني المعروف دومنغو فاوستنو سارمنتو (١٨١١ – ١٨٨٨) والروائي خوسيه مارمولا (١٨١٧ – ١٨٧١) • وهكذا استطاعت الرومنتيكية بعد مدة من الزمن أن تنتشر في كل أميريكا اللاتينية وان تجد من يعبر عنها بصورة ابداعية ان كان في مجال الشعر أو النثر أو المقالة • وأخذت تلمع أسماء بعض الكتاب الذين يأتي في طليعتهم الكاتب الاكوادوري خوان مونتالغو (١٨٣٢ – ١٨٨٩) والكولومبي خورخيه اساكس (١٨٣٧ – ١٨٩٥) وخوان سوريلادي سان مارتين (١٨٥٥ – ١٩٣١) من الاوروغواي وغيرهم •

لقد ولدت الرومنتيكية الاميريكية اللاتينية في تربة اجتماعية

---

(١) اخذت الزعامة في دول أمريكا اللاتينية اسم « الكواديلية » من الاسبانية (caudillo) وتعني زعيم او قائد .

وسياسية خصبة ، وتطورت ضمن ظروف اجتماعية متميزة ، وكانت على صلة وثيقة بالحركة الليبرالية ، ولعبت دورا بارزا في تكوين الوعي الوطني والقومي والجماهيري لدى شعوب أميريكا اللاتينية ·

وبالمقارنة مع الادب الاوروبي فقد انفرد أدب أميريكا اللاتينية الرومنتيكي ببعض الخصائص الذاتية ، حيث غابت منه النظرة المحافظة وكل النظريات والافكار والاتجاهات الرجعية التي طبعت العالم القديم بطابعها · كما تميزت الرومنتيكية في أدب أميريكا اللاتينية بمضمونها الاجتماعي ومعالجتها لقضايا الظلم والاستبداد وتبيانها لاسباب الدوافع الوطنية والشعبية · وعلى النقيض من الرومنتيكية الاوروبية فقد انتفت من رومنتيكية أميريكا اللاتينية التأملات والمراثي وسيطرة الذات و « الآنا » الشخصية والشعور الديني والتصوف · ومن الجدير بالذكر هنا أن نوضح أن أساتذة الرومنتيكية الاوائل والذين تتلمذ على يدهم كتاب أميريكا اللاتينية الرومنتيكيين كانوا من الاوروبيين ونذكر منهم على وجه الخصوص فيكتور هيغو وبايرون والى درجة ما شاتوبريان(١) ·

وفي هذه الفترة أيضا ظهر تيار أدبي جديد في أميريكا اللاتينية هو « الكوستومبرية »(٢) الذي أخذ في الانتشار الفعلي منذ بداية

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب كاريلا « الرومنتيكية في أميركا اللاتينية » ،موسكو ، ١٩٦٥ .

(٢) الكوستومبرية من الاسبانية (Costumbre) عادة او تقليد . وهو تيار أدبي يعود بوطنه الاصلي الى اسبانيا . (المترجم) .

أربعينات القرن التاسع عشر ٠

لقد ساعدت الظروف الاجتماعية والاستقرار التدريجي للجوامع البرجوازية (الامم) في أجزاء متفرقة من أيريكا ونمو الوعي القومي وسعي كل شعب من الشعوب المتشكلة الى اظهار نفسه عبر أدب « منزلي » خاص به ، ساعد كل ذلك على ظهور تيار « الكوستومبرية » الذي أخذ على نفسه مهمة تطوير الحياة الوطنية والقومية بكل مظاهرها وفوارقها ٠ واذا كانت الرومنتيكية قد اهتمت بالتضامن القاري فيما بين دول أميريكا اللاتينية فان « الكوستومبرية » ركزت اهتمامها على تصوير خصائص الحياة المحلية وملامحها المحددة معتمدة على الفولكلور والتراث المحلي ، وبذلك فانها تكون قد شكلت الخطوة الجوهرية الاولى والهامة على طريق الواقعية ، هذا وقد انتشر تيار « الكوستومبرية » بشكل خاص في آداب كل من التشيلي وكولومبيا والمكسيك حيث نجد في هذه الدول أشهر ممثلي هذا التيار الادبي في أميريكا اللاتينية في مقدمتهم خ٠ فاليخو (١٨٠٩ – ١٨٥٨) الذي ذاعت شهرته تحت اسم مستعار هو خوتابيتشيه ، و ت٠ كاراسكيلا (١٨٥٨ – ١٩٤٠) ومانويل باينو (١٨١٠ – ١٨٩٤) ٠

ترتبط ولادة النثر الواقعي في أمريكا اللاتينية بقصة « المذبحة » (١٨٣٦) للكاتب الارجنتيني المعروف ومؤسس المدرسة الرومنتيكية اتشيفيريا ٠ لكن الواقعية لم تترسخ في الادب والفن كاتجاه واضح الا في النصف الاخير من القرن التاسع عشر ٠ وكانت رواية « مارتين ريفاس » (١٨٦٢) للكاتب التشيلي ٠أ بليست غاني (١٨٣٠ – ١٩٢٠)

أول مؤلف ضخم تطغى فيه الواقعية على الرومنتيكية وتقاليد « الكوستومبرية » ٠ أما قمة الواقعية في الشعر ، (وربما كان هذا بالنسبة الى كل أدب أميريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر) ، فنجدها في قصيدة ـ ملحمة الشاعر الارجنتيني خوسيه ارناندس (١٨٣٤ ـ ١٨٨٦) « مارتين فيرو » (١٨٧٢) التي تحولت الى ملحمة قومية ، لكن الواقعية ـ كطريقة ابداعية ـ لم تظهر بشكلها الاكثر وضوحا الا في أدب دول « لابلاتا » أي (الارجنتين والاوروغواي والباراغواي) وهي المنطقة التي اتسمت بعدم سيطرة العادات والتقاليد الاستعمارية عليها ، والتي كانت مفتوحة أكثر من غيرها على العالم وواقعه تحت التأثيرات الاوروبية والعالمية ٠

هذا وقد تأثر الادب الاميريكي اللاتيني خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر بالمدرسة الطبيعية التي أصبحت فيما بعد احدى خصائص هذا الادب ٠ لكنها أي الطبيعية حملت ميزات ذاتية فرقت أدب هذه القارة عن غيره من آداب العالم ٠

ويأتي في مقدمة من ناصر المدرسة الطبيعية في النثر وكان من أتباعها الكاتب الارجنتيني كامباسيريس (١٨٤٣ ـ ١٨٨٨) والاوروغواني خاويرو دي فيانا (١٨٦٨ ـ ١٩٢٦) والمكسيكي فيديريكو غامبوا (١٨٦٤ ـ ١٩٣٩) والكوبي كارلوس لوفيرا (١٨٨٢ ـ ١٩٢٨) وغيرهم ٠

ومما يميز الادب الاميريكي اللاتيني في نهاية القرن التاسع عشر

أيضا هو انتشار تيار « الموديرنيزم »(١) الادبي الجديد (نزعة الحداثة) الذي قاده شاعر نيكاراغوا المعروف روبن دايرو (١٨٦٧ - ١٩١٦) • وقد اتصف هذا التيار بتناقضه وعدم تجانسه وظهوره ، في كثير من جوانبه، كنقيض للرومانتيكية المحتضرة بحماسها الوطني و « تبعيتها » و « حريتها » وعدم وضوح شكلها • لكن الحداثيون عادوا الى منابع الابداع الشعبي الحية وعملوا على اعادة بناء التركيب الشعري والنثري بعيدا عن تعقيدات اللغة ولبلاغة والبيان التي اتصفت بها الرومانتيكية •

لقد تشكلت « الحداثة » عبر مرحلتين مختلفتي الاهمية : الاولى ويمكن تسميتها مجازا حداثة « برج عظم الفيل » ، وتميزت باحتوائها على بعض الخطوط الغريبة عن علم الجمال الواقعي مثل الشكلانية واللامبالاة بالسياسة والتشاؤم المرضي • والثانية وقد جاءت بعد الاولى وارتبطت بمصالح اميريكااللاتينية وقضاياها ومشاكلها الاساسية وهذا ما نجده في مؤلفات كل من ليوبولدو لوغونيس وسانتوس تشوكانو • كما نجد في مؤلفات بعض الكتاب الاخرين وبشكل خاص مؤلفات روبن داريو وخوسيه هنريك رودو نزعة معاداة الامبريالية •

لم يجلب تيار « الحداثة » معه أي ثمار تذكر • واتشح بشحه

---

(١) لايجوز لنا هنا بحال من الاحوال ان نخلط او ان نقارن بين نزعة الحداثة في ادب اميركا اللاتينية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وبين مفهوم « الحداثة » المعاصر كمصطلح ادبي ونقدي يشمل كل التيارات الادبية والفنية في الادب العالمي والذي انتشر بعد الحرب العالمية الاولى .

الاجتماعي وخصوصيته وتقليديته • لكن هذا لايلغي دوره الايجابي في تطوير الفنون وخاصة فن الشعر • وان استخدام الفنان العظيم خوسيه مارتي (١٨٥٣ ـ ١٨٩٥) «لتقنية» الحداثة في مؤلفاته رغم ابتعادها الفكري الكبير عن اطار « الحداثة » لهو خير دليل على هذا الدور •

لقد فتن عدد كبير من شعراء القرن العشرين وكتابه مثل غابريلا مسترال (١٨٨٩ ـ ١٩٥٧) ونقولاس هيلين (مواليد ١٩٠٢) وبابلو نيرودا (١٩٠٤ ـ ١٩٧) أوراسيو كيروما (١٨٧٨ ـ ١٩٣٧)وريكاردو غويرالدوس (١٨٨٦ ـ ١٩٢٧) وغيرهم ، فتنوا بالحداثة في بداية نشاطاتهم الادبية • لذلك فان مديح بابلو نيرودا لداربو ـ زعيم تيار الحداثة في شعر أميريكا اللاتينية ـ لم يكن صدفة وقد كتب يقول : « الواقع أنه لولا وجود روبن داريو لما كان باستطاعتنا التعبير والافصاح عن أفكارنا بلغتنا الخاصة بنا ، ولاضطررنا الى مواصلة التكلم بلغة جافة ، خشنة ، قاسية وتافهة »(١) •

لقد شكلت مرحلة ازدهار « الحداثة » (١٨٨٨ ـ ١٩١٠) صلة الوصل بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، وحددت ، في كثير من جوانبها ، التطورات الادبية اللاحقة على الرغم من اعتقاد بعضهم أن الاداب الاميريكي اللاتيني المعاصر (أدب القرن العشرين) قد بدأ في وقت متأخر عن هذا التاريخ أي كما هو بالنسبة الى أدب القرن التاسع عشر الذي لم يبدأ الا بعد سنة ١٨٢٥ وهو تاريخ انتهاء النضال القومي التحرري •

(١) Neruda P. Viajes. Stgo., 1955, P. 13.

لقد طبعت أحداث القرن العشرين وعوامله الذاتية والموضوعية بطابعها عملية تطور الثقافة والادب ليس في أمريكا اللاتينية وحدها بل وفي كل أنحاء العالم · ولذلك فان السمة المميزة لعصرنا شكلا ومضمونا هي انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية · ذلك أن هذا العصر ـ كما هو واضح تاريخياً ـ هو عصر الصراع بين نظامين اجتماعيين متناقضين ، عصر الثورات التحررية والاشتراكية ، عصر انهيار الامبريالية وانحسار الانظمة الاستعمارية وانتقال شعوب جديدة الى طريق الاشتراكية ·

يعطي النقد السوفييتي ، في مجرى تقييمه لظواهر القرن العشرين المؤثر بشكل فعال في عملية تطور الادب العالمي ، يعطي أهمية خاصة للمرحلة ما بين ١٩١٧ و ١٩٤٥ أي منذ انتصار ثورة أوكتوبر الاشتراكية في روسيا وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية · فهذه المرحلة كانت ، من وجهة نظر النقد السوفييتي ، مقررة وحاسمة في تاريخ الادب العالمي بما في ذلك الادب الاميريكي اللاتيني ·

ولكن اذا أخذنا بعين الاعتبار أن عملنا هذا يدوو حول آداب تلك الدول ذات الخصائص التاريخية الحديثة المتميزة والتقسيمات الزمنية الخارجة عن اطار المرحلة المذكورة ، فانه يصبح من الضروري ادخال بعض التعديلات على التقسيمات المرحلية التقليدية وتوسيع أطر النظرة القديمة · وبناء على ذلك يمكن أن نلاحظ أن أدب امريكا اللاتينية في مطلع القرن العشرين يعكس ، ان كان بمضمونه الاجتماعي والنقدي المعادي للامبريالية او بشكله الخارجي ·

ومما تجدر الاشارة اليه أن عددا كبيرا من أدباء مرحلة ما قبل الحرب العالمية الاولى المشهورين قد انتموا بمؤلفاتهم الى المدرستين : الواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية في الادب · وأشهر هؤلاء : بايرو وليلو ورودو وبالما وفوناليس وبارادا وروبن وداريو وريليس بمؤلفاته الاولى ودي فياني ولاريتي وبلاكو فومبوني وآسويلي وغوناليساما مارتينيا وغيرهم ، ومن جهة أخرى فان مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي شهدت قيام المنظومة الاشتراكية وانطلاق حركة التحرر الوطني في الدول المستعمرة والتابعة وانتصار الثورة الكوبية قد أثرت تأثيرا عميقا على تطور الحركة الادبية في دول اميريكا اللاتينية - ولا يمكن لنا في سياق هذا الحديث أن نتخطى ذكر الكتاب التقدميين : بابلو نيرودا ونيقولا هيلين وميشيل آنجل استوراس الذين عكسوا في مؤلفاتهم روح العصر الجديد من خلال تأثرهم بمنهج الواقعية الاشتراكية الابداعي ·

يمتلك تاريخ أميريكا الجنوبية وأدبها المعاصر ، بدءا من منتصف هذا القرن ، أطرا تاريخية واضحة ترتبط بأهم هذه التبعية عن العالم ·

لقد كانت كوبا آخر بلد ينحسر عن أراضيه الاستعمار الاسباني في الجنوبية · فقد نالت استقلالها سنة ١٨٩٨ ، ولكنها لم تهيأ بهذا « الاستقلال » فسرعان ما وقعت في تبعية الولايات المتحدة الاميركية ، لذلك فقد كان عام ١٨٩٨ عام انتهاء الحروب القومية التحررية في القرن التاسع عشر ، وبداية عصر جديد من التوسع الامبريالي الاميركي الشمالي (الولالايات المتحدة) واستخدام القوة ضد شعوب أميركا

الجنوبية • ومنذ ذلك التاريخ وحتى أواسط الخمسينات من هذا القرن وامبريالية الولايات المتحدة تنهب خيرات أميركا اللاتينية وتستغل شعوبها تحت مظلة « وحدة الارض الاميركية » • واستمر هذا النهب الامبريالي اللامحدود حتى سنة ١٩٥٦ حين بدأت الحرب الفدائية الثورية في كوبا وأدت الى انتصار الشعب الكوبي ووضعه على طريق بناء أسس مجتمع جديد تنتفي فيه ظواهر الاستغلال ويحرص على حماية أراضيه• وكانت ثورة كوبا أول انتصار يحققه شعب من شعوب أميركا اللاتينية ضد الامبريالية الامريكية وفاتحة ناجحة لعصر جديد في هذا الجزء من العالم •

ان تاريخ أميركا اللاتينية الواقع بين ١٨٩٨ و ١٩٥٦ والمنعكس بوضوح في أدب هذه القارة ، يمثل في الواقع أيضا تاريخ حركات التحرر الوطني المعادية للامبريالية ، وتاريخ الثورات الشعبية فيها بدءاً من الثورة الكوبية • واذا كانت ثورة أوكتوبر الاشتراكية في روسيا ومن ثم قيام المنظومة الاشتراكية قد شكل عاملا هاما ومؤثرا على مجمل التطورات الاجتماعية والسياسية ، وأعطى حركة التحرر الوطني الأميركية اللاتينية مضامينا ثورية اشتراكية فان الفضل الاكبر في تحريك أوضاع هذه القارة منذ بداية هذا القرن وفي انتأثير على تطورها العام يعود الىثورةالمكسيكالبرجوازية الديمقراطية لتي رافقتها حرب أهلية دموية مأساوية مدمرة استمرت أكثر من سبع سنوات (١٩١٠ ـ ١٩١٧) • وقد انعكست هذه الحرب على الادب فظهرت « رواية الحرب المكسيكية » (La novela de la Revolucio'n MeXieana)التي شكلت بمضامينها أهم ظاهرة من ظواهر أدب الواقعية في أمريكا اللاتينية خلال القرن العشرين •

لقد تعرضت معظم دول أميريكا اللاتينية خلال أعوام (١٩١٨ — ١٩٢٣) لموجة من الاضطرابات والانتفاضات الفلاحية . كما ظهرت في مطلع القرن العشرين حركة الطلاب الثورية في كل من الارجنتين والمكسيك والتشيلي وفنزويلا ورفعت شعار « الاصلاح الجامعي » ودعت الى نشر الديمقراطية في الجامعات وتنظيفها من الاساتذة الرجعيين . وقد أعاد الفيلسوف والعالم الارجنتيني هانيبال بونسيه سبب هذه التحركات الى ما يجري في الشرق وربطها مع أحداث روسيا ، حيث كتب يقول : « يبو ان العلم الاحمر الذي أخذ يرفرف فوق الشرق قد استطاع أيضا أن يحرق جامعتنا القديمة » .

لقد وجد الصراع الحاد القائم بين العمل ورأس المال في المدن الكبيرة والمناطق الصناعية الرئيسية ، المرتبطة باستخراج الثروات الطبيعية ، في التشيلي والارجنتين والمكسيك ومجموعة الدول الاندية وفنزويلا والبرازيل والذي وصل الى أبعد مدى له في مطلع العقد الثالث من هذا القرن حين تفجرت الازمة الاقتصادية العالمية ، وجد هذا الصراع انعكاسا واضحا له في الادب شعرا ونثرا . وقد ساعد نمو المراكز الصناعية وتعمق التناقضات الطبقية فيها على « تسييس » الادب وتوجيهه نحو قضايا الحياة القومية المعقدة ومشاكلها اليومية . كما ظهرت أنواع أدبية جديدة لم يكن يعرفها تاريخ أدب أمريكا اللاتينية في القرن التاسع عشر ، مثل (القصة العمالية) و (الرواية العمالية) و (الرواية البروليتارية) و (الرواية الاجتماعية و (الرواية المدينية) ـ التي تدور حول حياة أهل المدن ـ والشعر البروليتاري وغيرها .

وفي هذه المرحلة بالذات أي ما بين ١٩١٨ و ١٩٣٠ تأسست الاحزاب التقدمية وبشكل خاص الاحزاب الشيوعية في معظم دول أميريكا

اللاتينية ، مما ساعد على نشر الفكر الماركسي في أوساط المثقفين وأدى الى تكوين الادب التقدمي في هذه القارة ٠ وقد أغنى الكتاب والشعراء التقدميون بشكل خلاق الحياة الثقافية لشعوب أمريكا اللاتينية ٠ ويمكن أن نورد هنا مئات الاسماء الا اننا سنقتصر على ذكر أولئك الذين امتدت شهرتهم الى خارج حدود أوطانهم ودخلوا الادب العالمي من بابه العريض وأصبحوا من ألمع أدباء القرن العشرين كبابلو نيرودا (التشيلي) وفاليخو (البيرو) وهيلين (كوبا) وريفيرا وسيكيروس (المكسيك) وكذلك المهندس المعماري البرازيلي فيماير والمفكر الماركسي البيروني مارياتيغي وغيرهم ، وأهم ما تتصف به أعمال هؤلاء الابداعية هو تصويرهم الواقعي الحي للمحيط الذي يعيشون فيه وربطهم الادب بالحياة واستخدامهم الواسع لمختلف أشكال التعبير الفعالة والمساعدة على استيعاب قضايا العصر الاساسية الكبرى وأفكاره ٠

ولم تكن القرية في أميريكا اللاتينية بمعزل عن الاضطرابات السياسية والاجتماعية وحركة النهوض الوطني والثوري في مطلع هذا القرن بل أسهمت فيها ووقفت ضد رواسب الاقطاعية وأدركت خطر الاحتكارات الاجنبية الكبيرة ٠

ان معظم دول أمريكا اللاتينية هي دول زراعية ، ويستثنى منها الارجنتين والبرازيل والمكسيك والتشيلي التي تحولت الى دول زراعية ـ صناعية ٠ لكن ذلك لم يلغ قضية الصراع على الارض والنضال في سبيل تحقيق الاصلاح الزراعي التي ظلت احدى أهم السمات البارزة في تاريخ القارة الامريكية الجنوبية ٠ وقد أثر هذا الصراع على مجمل التطور الاقتصادي والسياسي الذي طرأ على دول

أمريكا اللاتينية خلال النصف الاول من القرن العشرين وانعكس ذلك بوضوح على الادب على اختلاف أنواعه وأجناسه ٠

ان انعكاس قضية الارض ، أو كما يسميها بعضهم « المسألة الزراعية » ، بكل حدتها السياسية وبما يتناسب مع فهم كل كاتب وادراكه لها ، على الادب ، جعلها تصبح أهم موضوع بالنسبة الى النثر الواقعي كالقصة الغاوشسية ـ (La novela gauchesca) في الارجنتين والاورغواي والى درجة ما الباراغواي ، والقصة الهندسية ـ (La novela de indianista) في البيرو وبوليفيا والاكوادور والمكسيك وأمريكا الوسطى ، والقصة الزراعية ـ (La novela del campo) في كولومبيا وفنزويلا وكوبا ٠

وهناك اطار وحاد يجمع كل هذه الانواع من القصص والروايات هو الفهم العميق والواسع لموضوع الكتابة النثرية حول الأرض (Paosa de tierra) الذي ظل سائدا في أدب أمريكا اللاتينية حتى منتصف القرن العشرين ، ومما تجدر الاشارة اليه هنا هو أن التناقضات الالاجتماعية الجذرية وخصائص القارة الجنوبية بما في ذلك الغنية منها قد انعكست بصورة أساسية على « الكتابة حول الارض » ولقد ارتبط ازدهار النثر الواقعي خلال العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين مع استيقاظ الوعي القومي عند شعوب أمريكا اللاتينية والذي تجلى في كل جوانب الحياة الاجتماعية والعقلية والفنية ٠

ان السيكولوجية المرضية المعقدة والابتعاد عن الواقع الاجتماعي والقومي هي من أهم الخطوط التي تميز مرحلة انحطاط الادب البرجوازي الذي نكاد لا نجد له أثرا في أدب أمريكا اللاتينية على امتداد النصف الاول من القرن العشرين ٠ هذا اذا استثنينا ، طبعا ، مرحلة انتشار تيار

« الحداثة » في نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي • بينما نجد ان الاتجاه الواقعي هو الذي ساد خلال هذه الفترة وخاصة في موضوعات « الكتابة النثرية حول الارض » •

لقد ارتبط الادب الامريكي اللاتيني منذ بداية العقد الثاني من القرن العشرين ارتباطا وثيقا بالظروف الاجتماعية والجغرافية والسلالية وعلى الرغم من تأثره بالمدارس الشعرية الاوروبية كالمدرسة البرنسية والرمزية وبتيارات « الطليعية » المختلفة والسريالية ، فانه ظل مرتبطا بالظروف الاجتماعية والجغرافية والسلالية والثقافية والتاريخية التي كانت قائمة أنذاك • وهذا ما يفسر انعكاس واقع أمريكا اللاتينية بكل دقائقه في مؤلفات أنصار هذه المدارس والتيارات وبشكل خاص في مؤلفات شعراء البيرو «الطليعيين» وشعراء «الحداثة» الارجنتينيين والشعراء الزنوج في مجموعة الدول الانتيلية •

وتجدر الاشارة الى انه يجب فهم تيار •••••••••••• ، (الذي اهتم بالشعر أكثر من النثر) ، والنظر اليه كمرحلة اكتمال الحداثة التي تتميز بالعاطفة الجياشة والبساطة وعفوية اللغة • ولذلك فان ••••••• مهما اتصف بالغرابة فانه يعود الى المنابع الشعبية والقومية •

لقد كان العقد الاول من القرن العشرين بمثابة العصر الذهبي لتيار •••••• في كل أميريكا اللاتينية • ويمكن الاشارة هنا الى مؤلفات كل من : ايفاريستو كاريغو (١٨٨٣ ـ ١٩١٢) وفرناديل مورينو (١٨٨٦ ـ ١٩٥٠) ـ (لابلاتا) • وابراهام والديلوما (١٨٨٨ ـ ١٩١٥) و « شعراء ١٩١٨ » ـ (في مجموعة الدول الاندية وفنزويلا) • ولونيس ولوبيس فيلاردي (١٨٨١ ـ ١٩٢١) ـ (المكسيك) •

وقد اتخذت الطليعية (١) لنفسها أسماء كثيرة اختلفت من دولة الى أخرى كما استطاعت أن تطبع الشعر الامريكي اللاتيني بطابعها لفترة من الزمن • ويأتي في طليعة أنصارنا الكاتب التشيلي فيسينتي ويروبرو (١٨٨٣ - ١٩٤٨) مؤسس هذا الاتجاه في أدب أمريكا اللاتينية • وفي الارجنتين فان الطليعة اتخذت لنفسها اسم Yempauzu بعد ان نقلها خ • ل • بورخيس (مواليد ١٨٩٩) من اسبانيا عام ١٩٢١ • أما في المكسيك فقد ظهرت تحت اسم Derpugermuzu •

ومما يلفت الانتباه ان عددا كبيرا من الطليعيين اليساريين قد وقفوا على غرار الطليعيين المكسيكيين ضد الواقع الرأسمالي • وأخذوا يبحثون عن مثل عليا يستمدونها من النجاحات الكبيرة التي حققتها الاشتراكية على أعدائها في الداخل والخارج •

ان توسع الولايات المتحدة الاميركية الاقتصادي والعسكري والسياسي والروحي ضد شعوب أميريكا اللاتينية هو من الامور التاريخية المؤثرة في حياة هذه القارة • فبتنشيطها للحرب الاسبانية - الاميريكية سنة ١٨٩٨ استطاعت الولايات المتحدة أن تحتل بورتوريكو والفلبين ، وأعادت كوبا الى شبه مستعمرة بعد ان كانت قد حصلت على استقلال شكلي عام ١٩٠١ • وبعد انتهاء الحرب الاسبانية - الاميريكية أخذت الولايات المتحدة تزيد من ضغطها على دول أميريكا الوسطى ، ففي سنة ١٩٠٣ قامت « ثورة » في باناما أعلنت انفصالها عن

(١) ان مصطلح « الطليعية » مثله مثل مصطلح « الحداثة » ، حيث يحمل من وجهة نظر النقد في دول اميريكا اللاتينية معنى أضيق مما هو في النقد السوفييتي الذي أعطى « الطليعية » مفهوما عاما وواسعا ، يشمل مجمل التيارات الادبية والفنية « كالمستقبلية » (« الفوتوريزم ») و « التكعيبية » و « الكوبيزم » و « والراديزم » و « الايماجينزم » والتعبيرية والسريالية وغيرها.

كولومبيا وتأسيس جمهورية « مستقلة » كان للامبريالية الاميريكية مصلحة كبيرة فيها هي الحصول على امتياز بناء قناة بناما · وبالفعل فقد تم بناؤها سنة ١٩١٤ · وتحولت الى سلاح قوي في يد الولايات المتحدة لتهديد أراضي دول أميريكا اللاتينية الاخرى وشعوبها ·

في سنة ١٩٠٤ أعلن الرئيس الاميريكي تيودور روزفلت بشكل مفضوح عن « حق » دولته في التدخل في شؤون أمريكا اللاتينية الداخلية بحجة « المحافظة على أسس المدنية والحضارة » · وقد واجهت شعوب القارة الجنوبية هذا الاعلان بأكبر حملة احتجاج ومقاومة واعتبرتها اعتداء على أبسط حقوقها الوطنية ·

لقد نوه عدد من رجال الثقافة والمفكرين في مطلع هذا القرن الى خطر « المساعدة » الاميريكية المزعومة لشعوب أميريكا اللاتينية وتنبؤوا بما ستحمله معها من مصائب وويلات · ويأتي في طليعة هؤلاء المفكرين خوسيه مارتي (كوبا) وخوسيه هنريك رودو (الاوروغواي) وشاعر نيكاراغوا العظيم روبن داريو الذي عبر في قصيدته الشهيرة « رسالة الى روزفلت » (١٩٠٤) عن رفض شعوب أميريكا اللاتينية الدائم لسياسة أميريكا الشمالية ومقاومتها لكل أشكال العدوان والقرصنة الامبريالية ، لكن الاوساط الحاكمة في الولايات المتحدة تجاهلت هذا الواقع وواصلت تنفيذ « سياسة الهراوة الغليظة » · ومن هنا يمكن أن ندرك سبب استمرارية موضوع معاداة الامبريالية وتعمقه طوال سنوات القرن العشرين في مختلف أنواع الادب وأجناسه في أميريكا اللاتينية · لكن هذا الموضوع ـ معاداة الامبريالية ـ يأخذ طابعا خاصا ويتجلى بصورة أوضح في آداب تلك الدول القريبة من حدود الولايات المتحدة والتي تعاني أكثر من غيرها من جور زعيمة الامبريالية وقرصنتها المتطورة · وقد أدى انعكاس هذا الواقع المؤلم على الادب الى

ظهور مصطلح جديد عرف بـ « القصة المعادية للامبريالية » ـ (« La novela antiimperialista ») • وتأتي مؤلفات الكاتب الغواتيمالي المعروف ميشيل آنكيل آستورياس كمثل ساطع على هذه القصص والروايات • لكن الشيء الذي تتميز به حياة أميريكا اللاتينية والذي لعب دورا مؤثرا في تطورها ولم يكن له أهمية تذكر بالنسبة لأوروبا هو طبيعة هذه القارة والمناطق الاستوائية الشاسعة التي لم يستوعبها الانسان ولم يخضعها حتى الآن • ومن هنا كان لموضوع « الانسان والطبيعة » مكان الصدارة في أدبأميريكا اللاتينية • وشغل حيزا لا بأس به وخاصة في آداب كولومبيا وفنزويلا والبيرو والاكوادور والباراغواي •

ان وحشية الطبيعة وقسوتها وعدم خضوعها للانسان يعني انها تحمل في طياتها الشر والقوة المطلقة المعادية للانسان • وقد أدى هذا الاعتقاد الذي كان سائدا الى ظهور أدب فريد من نوعه عرف بأدب « الجحيم الاخضر » ثم « الادب الاستوائي » الذي وصل الى قمة مجده على يد بعض كتاب القرن العشرين ذوي الشهرة الكبيرة في أوروبا مثل: خوسيه وستاسيو ريفيرا (كولومبيا) وأوراسيو كيروروغا (الاوروغواي) وروملو غاليغوس (فنزويلا) وغيرهم •

لقد تعمقت ظواهر الابداع الاجتماعية والنقدية وكشف الواقع على حقيقته وتعريته في الادب الاميريكي اللاتيني وحدث ذلك في ظروف معقدة جدا فسنوات الثلاثينات هي فترة الازمة الاقتصادية العالمية وبداية انتشار الفاشية في أوروبا وترسيخ جذورها في عدد من الدول ، وقيام الانظمة الديكتاتورية الدموية في معظم دول أميريكا اللاتينية • وقد فرض كل هذا على الادب أن ينتشر سرا وفي جو من الملاحقات البوليسية أو خارج البلاد نتيجة هجرة الكتاب من أوطانهم ولجوئهم

السياسي الى دول أخرى ، ولكن على الرغم من هذا الواقع المعقد فان العقدين الثالث والرابع من هذا القرن يشكلان عمليا مرحلة الابداع العظيم لعدد من الكتاب والشعراء الواقعيين أمثال : نيرودا وغيلين ومسترال واليفيريا وواليخو وغيرهم من الذين حددوا وجه أدب أميركا اللاتينية الحديث • وبالاضافة الى ذلك فان هذه المرحلة أيضا هي مرحلة ازدهار النثر البروليتاري في تشيلي والارجنتين والمكسيك ، ونجاح الرواية والقصة المتعلقة بالهنود الحمر وتطورها في الدول الاندية ، وانتشار الادب المعادي للامبريالية في الدول الانتيلية ودول أميركا الوسطى • والى هذه المرحلة يرجع ظهور السرياليون في الارجنتين (بورخيس والمحيطين به) والتشيلي (« جماعة ماندراغورا ») وفنزويلا (جماعة « فيرنيس ») والدول الاندية (خافيرا آبريل وغيره) وبصورة أقل في المكسيك (جماعة كونتيمبو رانيوس) •

ان العلاقة القائمة بين النظرية الواقعية الآخذه بالترسخ وبين السريالية السائرة في طريق الزوال هي علاقة معقدة ومتشابكة حيث لا يمكن الفصل بينهما بفاصل واضح • وهذا ينطبق أحيانا على عملين ابداعيين أو أكثر لكاتب واحد • والسبب في ذلك هو ان هناك عدد من عمالقة الكتاب الواقعيين في هذه القارة كانوا قد بدؤا نشاطاتهم الأدبية باعجاب كبير بالسريالية •

لقد ارتبطت السريالية الاوربية ـ كما هو معروف ـ وراثيا ومصلحيا بفنون شعوب أفريقيا وأميريكا اللاتينية القديمة وبـ « البوائية » التي أدهشت الاوروبيين بسحرها الغريب غير المألوف • الا ان الشيء الذي كان يشكل بالنسبة للسرياليين الاوروبيين مادة جمالية نادرة و « موضة » مدهشة كان بالنسبة للادب في أمريكا اللاتينية وللظروف

التي نشأ فيها يشكل مادة شعبية وقومية محلية أساسية وصادقة . وباختصار فان هذا الواقع الاجتماعي والسلالي والتصورات القديمة هي التي يقوم عليها ما عرف بمصطلح « الواقعية السحرية » الذي ساد لفترة من الزمن في أميريكا اللاتينية .

وتشير مؤلفات آستوريس وكاربينتر ورولفو وآرغيداس وغيرهم من المتأثرين شكليا بالسريالية ، الى طموحهم ومحاولاتهم الجدية لاكتساب بعض الخصائص التي يمكن لها أن تميزهم عن غيرهم وخاصة في مجالي الشعور والادراك الصحيح لقضية الزنوج الاميريكيين والهنود الحمر الذين ينظرون الى العالم المحيط بهم على انه عالم مليء بالعجائب والمعجزات والخيال ، ولم تصل اليه بعد يد الانسان ، وما يزال محافظا على شكله البدائي المتكامل .

لقد أدى أدب « الواقعية السحرية » دورا هاما في اذكاء الوعي القومي عند شعوب أميريكا اللاتينية . ويعتبر الكاتب الهاييتي ج . س الكسيس أفضل من عبر عن ذلك عندما كتب من وراء قضبان سجنه في أقبية الدكتاتور ديوفاليه : « قد يتعجب بعض من الدور الذي أعطيه للأساطير والعجائب في الواقعية الهاييتية . ولكن يجب التذكر ان الخيال هو العبادة التي تحتوي في داخلها على حكمة الشعوب ومعارفها الدياتية ، فظاهرة الطبيعة بالنسبة لهذه الشعوب هي أشياء حية وملموسة تدفع الانسان نحو الحياة . واذا ما قمنا بعملية صقلها وابعاد الخرافة والمضمون الميتافيزيقي عنها فسنحصل على مادة تخدمنا كثيرا في عملية اعادة تشكيل تفكير الناس ووعيهم . كما يمكن لنا ، عبر هذه الاساطير والخيالات والطبيعة ، أن ننقل الى الشعوب ، بصورة

أفضل ، التطور والامل »(١) .

شغلت الحرب الأهلية الأسبانية حيزاً هاماً ليس فقط في أدب دول أميريكا اللاتينية وانما أيضاً في مجمل حياة هذه الدول الاجتماعية والسياسية وقد تجلى ذلك بوضوح في كل من المكسيك والتشيلي والارجنتين وكوبا وغيرها . ولم يكن أمام مثقفي دول أميريكا اللاتينية من خيار سوى مشاركة الشعب الأسباني مأساته والاسهام معه في دحر الفاشية ، التي كانت الديمقراطية الاسبانية أولى ضحاياها ، خاصة وأن هناك روابط وثيقة تربط شعوب أمريكا اللاتينية ومثقفيها باسبانيا تاريخياً وثقافياً ولغوياً . ولذلك فقد توسعت في تلك السنوات حركة مناهضة الفاشية في أوساط المثقفين وتشكلت منظمات كثيرة معادية للفاشية . وتطوع عدد من الادباء والمفكرين للدفاع عن الجمهورية واتجهوا الى اسبانيا لتحقيق هذا الغرض . ثم كرسوا أفضل مؤلفاتهم وأعمالهم الابداعية لتصوير نضال الشعب الاسباني ودفاعه عن حقوقه وحرياته .

لقد كانت أحداث أسبانيا بمثابة مدرسة سياسية تدرب فيها كل من بابلونيرودا وغيلين وواليخو وغيرهم من الذين كرسوا فترة كاملة من حياتهم الابداعية ومؤلفاتهم لاسبانيا . وبعد هزيمة الجمهورية واغتيال الديمقراطية وعودة الديكتاتورية الى اسبانيا ، كان لا بد لعدد كبير من المثقفين الاسبان من أن يهاجروا الى خارج وطنهم

---

(١) راجع كتاب « الادب الاجنبي المعاصر » موسكو ١٩٦٢ ـ صفحة ٢٠٤

هرباً من مقصلة الديكتاتورية والارهاب · وقد اختار معظمهم دول أميريكا اللاتينية لتكون موطنا ثانياً لهم وليواصلوا منهانضالهم ودفاعهم عن الديمقراطية والتقدم ·

كان لانتصار الشعب السوفييتي في الحرب العالمية الثانية وتحطيم الرجعية والفاشية والنازية أثر ملموس في عملية نهوض حركة التحرر الوطني الجديدة في دول أميريكا اللاتينية · وتحول الأدب الى سلاح فعال في يد الحركة الثورية ضد الامبريالية · وأخذ الادباء الطليعيون في هذه الدول على عاتقهم مهمة تحرير الفن وتحويله ليصبح عاملا مؤثرا في الحياة اليومية والنضال ضد التيارات الرجعية ، فتخلوا عن اتجاه الفن الواقعي وبدؤوا يوسعون تجربتهم ضمن دائرة الواقعية الاشتراكية (مانسيدور ، غرافينا ، فاريلا ، لارا ، مونوس ، ديلانو وغيرهم) وبعد الحرب العالمية الثانية أخذت معالم تأثير أفكار التقدم والتحرر والواقعية الاشتراكية تظهر بوضوح عبر الشخصيات الروائية والابطال الايجابيين في النتاجات الابداعية وأخذنا نلح نماذج جديدة كالعامل المسلح بنظرية طليعية والانسان الكادح النشيط والمعترض على الظلم الاجتماعي القائم والمستعد للنضال في سبيل حياة أفضل · كما تعززت قضية تحرير أشكال الادب ، واتضح تأثير فولكلور الهنود الحمر والزنوج على الادب بكل أجناسه ، واقتربت لغة الكتاب وأسلوبه من الحديث الشعبي ·

ان أهم مايميز نهاية الاربعينات ومطلع الخمسينات من هذا القرن على الساحة الادبية فيأميريكا اللاتينية هو اشتداد الصراع بين

الاتجاه الواقعي من جهة ودعوات تقوقع الفن والانحدارية(١) من جهة أخرى • وهنا لابد من الاعتراف ـ لكي نكون منصفين ـ بأن الادب الاجتماعي التقدمي المعادي للامبريالية قد طور تقاليد الواقعية الاشتراكية وأغناها في أدب أميريكا اللاتينية (ب • نيرودا ، ن• غيلين ، ل•ك• فالياس ، آ• كاربينتير وغيرهم)

ويلاحظ في الوقت نفسه عند بعض الكتاب ، بدءا من نهاية الأربعينات وبتأثير تيار « الحداثة »(٢) الاوروبية ، بوادر الابتعاد عن الفن الواقعي والتخلي عن مبادئه وأسسه والجري وراء بعض التجارب الفارغة شكلا ومضمونا •

لقد جاء انتشار الوجودية ونظرياتها الجمالية في أوساط المثقفين واعتناق بعض الكتاب البرجوازيين لها ، كردة فعل مباشرة على دعاية « الحرب الباردة » ونظريات « توازن الخوف » وما شابه ذلك • ولم تكن الوجودية ، في الواقع ، بكل مسلماتها المعروفة من لامعقولية الوجود ووحدانية الشخصية وفرديتها وتنافر مصالحها مع المجتمع وتبرير حرية الفرد المطلقة وسلوكه ، لم تكن سوى انعكاس لأزمة الثقافة البرجوازية بعيد الحرب العالمية الثانية •

واذا كان لابد من الحديث عن بعض الخصائص العامة لتطور الأدب في أميريكا اللاتينية بالمقارنة مع تطوره في أوروبا الغربية فاننا

---

(١) المقصود هنا بالانحدارية المصطلح الفرنسي الاصل – Decadence – والذي يترجمه بعضهم ــ انحطاط ــ . (المترجم) .

(٢) « الحداثة » أو « الموديرنيزم » مصطلح من أصل فرنسي Moderne (المترجم) .

سنصل حتماً الى النتيجة التالية : لقد ظهرت الاتجاهات الادبية الاساسية في أوروبا (الكلاسيكية والرومنسية والواقعية والطبيعية والرمزية وغيرها) دون تأثيرات خارجية • وكانت التطورات والنقلات الاجتماعية النوعية الارضية التي نشأت عليها هذه الاتجاهات • أما في أميريكا اللاتينية فعلى العكس من ذلك لانها اعتمدت في ظهورها ونشأتها على الكشوفات العبقرية لاشهر كتاب أوروبا وفنانيها • ولهذا السبب بالذات ظل أدب أميريكا اللاتينية حتى مطلع القرن العشرين ، والى درجة ما ، مقلدا « للموضة » السائدة في أوروبا • وفي الواقع فانه ما كان باستطاعة اسبانيا السابقة • والبرتغال (البرازيل) وفرنسة (هاييتي ، غواديلوبا ، غويانا) والمرتبطة تاريخيا بدول المتروبول الاستعمارية ، ما كان باستطاعتها تجنب الوقوع تحت تأثير التجارب الاوروبية وخاصة تلك التجارب القريبة من ثقافتها وآداب شعوبها •

وعلى خلاف أوروبا التي أعطت أدباً قومياً عظيماً اعتمد أساسا على قاعدة غنية من الفلكلور الشعبي ، فان الهوة كانت تكبر في أميريكا اللاتينية بين ماعرف بأدب « الكتاب » الاسباني والفرنسي من جهة وبين الابداع الشعبي المتمثل بنتاج الكريولين (أحفاد الاوروبيين الوافدين) والهنود الحمر والزنوج من جهة أخرى • واستمر هذا حتى مطلع القرن التاسع عشر • ولم يبدأ أدب أميريكا اللاتينية بتكوين ملامحه الاساسية الا في فترة متأخرة نسبياً وبعد أن اعتمد على الفلكلور الشعبي كأساس له على يد ب• ادياالغو و م • ملغار والكتاب

والشعراء الزنوج .

لقد استغرق تبدل الاتجاهات الادبية في أوروبا فترة طويلة من الزمن . فكان كل اتجاه أو تيار يسود بصورته الكلاسيكية « النظيفة » حتى يظهر اتجاه جديد ويتغلب عليه . أما في دول أميريكا اللاتينية فيلاحظ أن تبدل هذه الاتجاهات وحلول بعضها محل الآخر كان أسرع بكثير وبما لايقاس مع ما كان يجري في أوروبا . وقد أدى ذلك الى تشابك الاتجاهات والمذاهب والتيارات الادبية . وأصبحنا نجد في أعمال كاتب واحد خليطاً عجيباً من الاتجاهات والمذاهب الأدبية . وان السنوات العشر الاخيرة من القرن التاسع عشر هي خير دليل على ذلك ، حيث وضعت الرومنسية والواقعية والطبيعية والحداثة « الموديرنيزم » في قدر واحد وطهيت .

ولكن من جهة أخرى فان مقارنة الاتجاهات والتيارات الادبية المختلفة في دول أميريكا اللاتينية مع نظيراتها في أوروبا لايلغي خصوصية هذه الاتجاهات والتحدث عنها في ضوء ظروف العالم الجديد المكتشف حديثاً . فالرومنسية ليست مطابقة للرومنسية الأوروبية . كما لايمكن مقارنة تيار الحداثة في أميريكا اللاتينية مع الانحدارية في الشعر الأوروبي في نهاية القرن التاسع عشر . أما الفوارق الاساسية فتظهر في الموضوعات (المضمون) والمقام الموسيقي العام والخصائص اللغوية ودورها أو ماعرف بالاتجاه الادبي الجديد في مجرى العملية الاجتماعية العامة . واذا كان تطور الادب في دول غرب أوروبا قد جرى في ظروف تعدد اللغات ووحدة النظام الاقتصادي القائم ووحدة

سلالات شعوبه وثقافاتها ، فان الوضع يخلتف كليا بالنسبة الى دول أميريكا اللاتينية • فوحدة اللغة (الاسبانية) في عـدد كبير مـن الجمهوريات قد عقد وعمق الفوارق الذاتية القائمة بين الاجناس الثلاثة المشاركة في تكوين الامم الاميريكية اللاتينية وهذه الاجناس هي الكريولين والزنوج والهنود الحمر • فكل جماعة منهم (تشكل أغلبية في هذه الدولة وأقلية في تلك) قد طبعت تطور الثقافة والادب والفن المرتبط بها بطابعها الخاص • وبالتالي فقد أصبح أدب أميريكا اللاتينية أكثر « برقشة » من الأدب الأوروبي بمضمونه وأسلوبه وشكله • ولايقتصر السبب في ذلك على النظام الاجتماعي القائم (والذي مايزال يتصف حتى يومنا هذا بعلاقاته الاجتماعية نصف العبودية ونصف الاقطاعية أوالرأسمالية) بـل يتعدى ذلك الـى التركيبة السلالية المختلفة والظروف الطبيعية المتميزة •

لقد تلازم ظهور الادب القومي في أوروبا مع نشوء الامم الاوروبية وتكوينها أما أدب المستعمرات الاسبانية في أميريكا اللاتينية فقد كان ينظر اليه كجزء من الأدب الاسباني ، وانه مازال يدرس حتى اليوم ضمن اطار تاريخ الادب الاسابني وتمتد هذه الحقيقة التي نتكلم عنها الان من القرن السادس عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر • بيد أن هناك عدداً من الباحثين والنقاد في أميريكا اللاتينية يبحثون بكل جدية وينقبون في أعماق التاريخ الادبي بهدف الوصول الى المنابع الحقيقية والاساسية لآدابهم القومية ، معتمدين في ذلك على وثائق القرن السادس عشر • ويأتي في طليعة هؤلاء النقاد : بيرنال دياس

وانكاغارسيلاسو ·

وعندما نالت المستعمرات استقلالها السياسي في القرن التاسع عشر لجأ الكريوليون الى نبذ كل ماهو أسباني وتزعموا حركة استقلال العالم الجديد روحياً وأدبياً · ولكن على الرغم من ذلك فان أوروبا ظلت تنظر الى أدب هذه الجمهوريات الناشئة بمنظار الأدب الأسباني غير المدروس وكجزء صغير منه · وعلى النقيض من ذلك فهناك عدد من النقاد حتى في أوروبا يرون أن النظرة الى أدب هذه القارة أو دراسته يجب أن تكون شاملة كالأدب نفسه ، خاصة وأن الادب الاميركي اللاتيني ـ كما يقولون ـ يشكل وحدة متكاملة لم يؤثر فيها تعدد القوميات والأمم · ويستندون في نظرتهم هذه الى واقع القارة الجنوبية · فالصراع قد استمر وتغيرت حدود الدول عدة مرات خلال قرن واحد وخطت الامم الاميريكية اللاتينية خطوات هامة الى الامام · ومن هنا فان دراسة تاريخ الأدب الاميريكي اللاتيني في القرن التاسع عشر تصبح أكثر واقعية وفهماً بالنسبة الى القارىء الاجنبي عامة والأوروبي خاصة اذا نظر اليها في اطار تاريخي واحد ، مع الاشارة الى أبرز الكتاب والشعراء والتوقف عند كل واحد منهم · ومن جهة أخرى فان بعض الدول الاميريكية اللاتينية الكبيرة والمتطورة نسبياً كالارجنتين والمكسيك والبرازيل قد حددت منذ القرن التاسع عشر وجهها المتميز ، وحققت ـ قبل غيرها ـ نجاحات ملموسة على طريق وضع الاسس العلمية الاولية لتاريخ آدابها القومية ·

ولذلك فمن الفائدة بمكان والافضل لدى دراسة الثقافة الاميريكية

اللاتينية ومرحلتها الاكثر أهمية ـ القرن العشرين ، أن يَنظر اليها إقليمياً • وذلك لأن مثل هذه الدراسة تعتمد أساساً على نظام الحياة العام وعلى الظواهر الثقافية كالأدب والمخطوطات التاريخية وفن العمارة والفلكلور والموسيقى وغيرها في كل بلد من بلدان أميريكا اللاتينية على حدة • وكان الكاتب والناقد الاميريكي اللاتيني المعروف هنريك أورينيا أول من دعا في سنة (١٩٢٥) الى مبدأ الاقليمية في دراسة أدب هذه القارة •

وبناء على هذه الطريقة الاقليمية يمكن تقسيم الدول التسع عشرة في أميريكا الجنوبية الى ثمانية أقاليم ثقافة « اسبانو ـ أميريكية » هي :

١ ـ دول لابلاتا (الأرجنتين ـ الأوروغواي ـ الباراغواي)

٢ ـ التشيلي •

٣ ـ الدول الأندية (البيرو ـ بوليفيا ـ الاكوادور) •

٤ ـ فنزويلا •

٥ ـ كولومبيا •

٦ ـ دول أميريكا الوسطى (غواتيمالا ، هندوراس ، نيكاراغوا ، كوستاريكا ، بناما ، السلفادور) •

٧ ـ الدول الانتيلية (كوبا ـ الدمينيكان ـ بورتوريكو) •

٨ ـ المكسيك •

ان قبول هذا التقسيم الاقليمي والاخذ به لايمكن أن يتم دون

تحفظ أو حتى وضع بعض الشروط ، لانه يصعب علينا وضع خريطة سياسية دقيقة لاميريكا اللاتينية . فالحدود المرسومة بين الاقاليم أو في داخلها غير مستقرة كما هو معروف . اضافة الى أن هذه الطريقة في تحليل الادب ودراسة مسائله ضمن ظروفه الخاصة تسمح بمعالجة هذه المسائل عن قرب وتساعد على فرز الاساسي وتجميع العام .

ان لخصوصية الآداب القومية (الاقليمية) أسبابها التاريخية والاقتصادية والسلالية وطبيعتها التي تحددها في كثير من الاحيان الظروف الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها . وان العامل التاريخي والاقتصادي في ظروف أميريكا اللاتينية الخاصة مرتبط في مراحله البدائية بالاستعمار . فقد استقبلت مناطق هذه القارة جماعات أوروبية مختلفة وصلت اليها في أوقات زمنية متباينة . وقد لجأت أول جماعة (موجة) من المستعمرين الاوروبيين في القرن السادس عشر الى احتلال أراضي الدول الانتيلية والمكسيك وأميريكا الوسطى وكولومبيا والدول الأندية . أما الموجة الاستعمارية الثانية التي بدأت في القرن السابع عشر فقد احتلت جنوب أميريكا الجنوبية أي الاوروغواي والارجنتين والباراغواي (دول لابلاتا) وجنوب تشيلي .

ونتيجة لذلك فقد تطورت على أرض المكسيك والبيرو (بداية القرن السابع عشر) الحضارة الاقطاعية الاستعمارية المتأثرة بنمط حياة النبلاء الأسبان والكنيسة الكاثوليكية . بينما لم يلاحظ في دول لابلاتا (الارجنتين والاوروغواي والباراغواي) سوى تشييد بعض المستوطنات العسكرية الصغيرة . ويكاد يقترب الفرق الزمني في تشكل

الثقافة الاستعمارية بين المكسيك والارجنتين من مائة سنة · كما أن كوبا قد تحررت من السيطرة الاستعمارية بعد مائة سنة أيضا من تحرر معظم دول أميريكا اللاتينية ·

تفترض دراسة الخصائص الاقليمية (القومية) الاخذ بعين الاعتبار الاسس السلالية والثقافية والتراث المتوارث عن القبائل التي قطنت هذه الاقاليم قبل قدوم الاستعمار ، وكل ما يتعلق بالثقافة الاسابنو ـ أميريكية · واذا كانت الثقافة الاسابنية قد « تراكمت » في دول شمال أميريكا اللاتينية أي في المكسيك وأميريكا الوسطى والدول الأندية وجزء من كولومبيا وتشيلي ، واستطاعت في مرحلة الاستعمار وما بعده أن تستند الى تراث « الاتستيك والمايا » الغني ، او أن تتفاعل معه أحياناً ، فانها قد اختلفت عن ذلك في جنوب القارة أي في دول لابلاتا وجنوب تشيلي حيث تكونت الثقافة الاستعمارية واقعياً على أرضية قاحلة وأساس فارغ ، ورافقت عملية ابادة قبائل الهنود الحمر جسدياً أو طردهم الى المناطق الجبلية التي تصعب الحياة فيها · أما في عصر « الهجرات الكبيرة » في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين فقد ظهرت في كل من الأرجنتين والأوروغواي دعوات أوروبية وايطالية بشكل خاص للعودة الى ثقافة السلالات وتراثها · وكانت هذه الظاهرة فريدة واقتصرت على الجنوب ولم تظهر في الشمال · ولكن على الرغم من ذلك فقد استطاعت أن تطبع عملية التطور الثقافي في الجنوب بطابعها الخاص · ومن الظواهر المشابهة أيضاً بروز الثقافة الزنجية وتأثيرها على آداب بعض الدول

وخاصة الادب الكوبي .

واذا أردنا التحدث بشكل عام عن دور الجنس والسلالة في تكوين الامم وثقافاتها في قارة أميريكا الجنوبية ، فيمكننا تقسيم هذه الامم الى ثلاث فئات :

١ ـ الامم التي يغلب على حضارتها وثقافتها الطابع أوالعامل المحلي السلالي (الهنود الحمر) وتشمل : المكسيك ،أميريكاالوسطى، باستثناء كوستاريكا، الدول الاندية وخاصة بوليفيا، البيرو والاكوادور ويطلق أحيانا على هذه الدول اسم أميريكا الهندية .

٢ ـ الامم التي يغلب على ثقافتها وآدابها الطابع الافريقي والتي تشكل مايعرف أحياناً بالثقافة والادب الافرو ـ أميريكي . وتشمل : هاييتي ، كوبا ، بورتوريكو ، البرازيل وجزء من فنزويلا ، كولومبيا والاكوادور (تقل أهمية هذا العامل في الدول الثلاث الاخيرة) .

٣ ـ الامم التي تضم كل الذين ينحدرون من أصل أوروبي ـ الكريوليون . وتشمل الارجنتين ، الاوروغواي ، كوستاريكا ، تشيلي . ويمكن أن نطلق هذه الدول مجازا اسم (أميريكا الاوروبية)

وترتبط اللغة الاسبانية في أجزاء أميريكا اللاتينية المختلفة ارتباطا وثيقا بالنواحي السلالية . والدليل على ذلك هو ذلك الاختلاف وتلك الفوارق التي أخذنا نراها في شكل البناء اللغوي(١) بين هذه

للتوسع في هذا الموضوع راجع كتاب غ ف ستيپانوف «اللغة الاسبانية في دول أمريكا اللاتينية» موسكو ١٩٦٣

المنطقة وتلك من المناطق التي تتكلم الاسبانية نفسها . كما أن اللغة المحكية (العامية) أصبحت في الارجنتين مثلا غيرها في المكسيك أو البيرو أو كوبا أو غيرها . كما ظهرت في الكلام طبقات ومفردات لغوية خاصة بكل منطقة أو بلد . أما أسباب هذه الظواهر فيمكن تفسيرها بالاستناد الى القوانين الداخلية لتطور اللغات والى تأثير لغات الهنود الحمر المحلية عليها (لغة « نواتل » في المكسيك ولغة « كيتشاوا » و « مايمارا » في الدول الأندية و « غواراني » في الباراغواي والارجنتين والبرازيل و « المابوتشي » في تشيلي وغيرها) . أما التأثيرات الاوروبية على اللغة فتظهر بشكل خاص في دول لابلاتا (الارجنتين والاوروغواي والباراغواي) . بينما تظهر التأثيرات الاميريكية الشمالية على اللغة في شمال المكسيك وجمهوريات أميريكا الوسطى .

يشمل العامل الجغرافي ـ الظروف الطبيعية والوضع الجغرافي لدول أميريكا اللاتينية . ومن المعروف أن الظروف الطبيعية بكل أشكالها تتحكم عادة بهذه الدرجة أو تلك بطبيعة الموضوعات التي يعالجها الأدب . ومن جهة أخرى فان موضوعات الادب هي احدى النواحي التي تحدد هوية الادب القومية . ولذلك فان موضوعات « البامبا » و « الغاوشو » ظلت تشكل أهم قضايا الادب في دول لابلاتا ، أما موضوعات الغابات الاستوائية « السيلفا » فبقيت من اختصاص الادب الفنزويلي والكولومبي . أما حياة القبائل الهندية في المناطق الجبلية « الأند » فقد مثلت وماتزال نشيد آداب بوليفيا والبيرو

والاكوادور ٠

هذا ولم ينس كتاب أميريكا اللاتينية التحدث عن حياة الشعب الكادح المكافح وارتباط مستوى معيشته بالاقتصاد القومي والثروات الطبيعية ومدى استغلالها لصالحه ٠ وتدل أسماء عدد كبير من الروايات على ذلك ٠ ويمكن في نهاية هذه المقدمة أن نورد أشهرها : « النفط » ـ دياس ساتشيس (فنزويلا) ، « ولغرام » أو « التنجستين » ـ س٠ واليخو (البيرو) ، « ابن‌نترات البوتاسيوم » ف٠ تيتيل بويم (تشيلي) ، « أناس الذرة » ـ م٠ أ٠ آستورياس (غواتيمالا) وغيرها ٠

المرصد الأدبي

- لقاءات
- ترجمات
- أخبار أدبيّة من العالم
- جوائز أدبيّة
- ذكرى ووقائع
- كتب مُهمّة

إعداد : قلم التحرير

يرجى من الزملاء الذين ينشرون كتبا مترجمة من العربية او اليها ان يوافوا ادارة المجلة بنسخ من منشوراتهم لتعمل على تقديمها في هذا الباب .

المؤتمر الدولي للأدب والسلام (١)

الدكتور حسام الخطيب

على اية حال ، عقد مؤتمر الادب والسلام تحت عنوان INTERITT ' 82 في مدينة كولن بألمانيا الاتحادية من ١٨ ــ ٢٤ حزيران ١٩٨٢ ، ودعا الى عقده اتحاد الكتاب الالمان التابع لنقابة عمال الطابعين وصانعي الورق .

Verband deutche schriftsteller [vs] in der Industriege — werK shaft Druck und paper .

ويعد هذا الاتحاد أقوى اتحاد للكتاب في ألمانيا الغربية ، كما يعد هذا المؤتمر أول مؤتمر دولي للكتاب يجري عقده في جمهورية المانيا الاتحادية ، وكان موضوعه :

« الكتاب المعاصرون واسهامهم في السلام : العقبات والامكانات »

واعتبرت فيه اللغات الانكليزية والالمانية والفرنسية لغات رسمية للمؤتمر .

وعالج المؤتمر الموضوعات التالية :

١ ــ الامكانات ومدى التأثير في قضية السلام من خلال الادب التخييلي (الشعر ، النثر ، المسرح) .

---

(١) يجد القارىء تقريرا مفصلا عن هذا المؤتمر في مجلة المعرفة ، ع ٢٤٥ ، تموز ١٩٨٢ .

٢ ـ التأثير الثقافي والسياسي الاجتماعي للادب غير التخييلي .

٣ ـ المسؤولية المتزايدة للكاتب في العمل من خلال وسائل الاعلام الالكترونية الحديثة .

٤ ـ المترجم بوصفه مبدعا مشاركا ودوره في الوساطة الادبية .

وقد اقيمت على هامش المؤتمر امسيات ثقافية جرت فيها قراءات من الشعر والقصة تتصل بموضوع السلام وشارك فيها أدباء من مختلف أنحاء العالم . ولم تكن هذه الجلسات منظمة ، وغلب فيها الكم على الكيف ، وكان الحضور جيدا في أمسيات مدينة كولن ، ولكن الامسية الوحيدة والاخيرة التي عقدت في ١٩٨٢/٦/٢٢ في الساحة الرئيسية في العاصمة بون أكدت الحقيقة القائلة ان سكان العواصم مشغولون بما هو أكثر ملموسية من التذوق الادبي !! وكان الحضور في تلك الأمسية مقتصراً على عدد من الشباب وصديقاتهم ممن تفرقوا ايدي سبأ لدى هطول الزخة الاولى من مطر الصيف الالماني المولع بالمزاح ، اذ لايأتي الا في الوقت غير المناسب .

ومن أطرف ماحدث في أمسيات المؤتمر انه خلال امسية (كولن) يوم ١٩٨٢/٦/٢٠ اقتحم القاعة جمهور من الشباب الغاضب واستولوا على المنصة وسدوا مداخل القاعة ثم القوا كلمة حيوا فيها نضال الشعب العربى الفلسطيني والصمود في بيروت ، وادانوا اسرائيل واجرامها ، واتهموا المؤتمر بالنفاق والمراوغة لانه تجنب عرض قضية غزو لبنان وطلبوا الى المؤتمر أن ينفض" لانه لايعالج المشكلات الحقيقية .

※ ※ ※

كان المؤتمر في صلبه اوروبيا غربيا وقد حضره عدد كبير من الكتاب الالمان والفرنسيين والبلجيك والاسبان . كما ساهمت بلدان أوروبية أخرى بدرجة أقل مثل بريطانيا والبرتغال والدانمارك والسويد وفنلندا وسويسرا .

وقد لفت النظر حضور عدد كبير من الكتاب الالمان الديمقراطيين وكذلك

المجريين والبلغاريين والسوفيات والبولونيين . وتحدث بعض الكتاب الالمان لاول مرة في المؤتمرات عن المانيا واحدة على الاقل من ناحيتين : ناحية التعرض لصميم الخطر الذري ، وناحية الثقافة الالمانية المشتركة . كما لفت النظر في المؤتمر حضوراكثر من اثني عشر كاتبا من اليابان وبعضهم من ضحايا قنبلتي هيروشيما وناغازاكي ، وبعضهم ممن اختص بالكتابة عن خطر الحرب الذرية ، وكان موقف هؤلاء جميعا من القضية الفلسطينية والعدوان الصهيوني على لبنان ممتازا .

وكان اسهام الدول غير الاوربية قليلا جدا ، وحضر كتاب من الهند والسنغال وزامبيا ومالي والكونغو وكينيا ، كما حضر بعض الكتاب المقيمين في المانيا عن بلدان مثل تركيا والبرازيل وتشيلي . وتمثلت كل من استراليا وكندا والولايات المتحدة بكاتب واحد او اثنين وكانت ممثلة الولايات المتحدة زنجية شابة تقدمية وجريئة (ريتا دوف (Rita dove)

ومثل اسرائيل دايفيد روكياه ، وكان نشاطه محدودا جدا في ساحة المؤتمر ، ولم يتكلم في المؤتمر سوى بضع دقائق لم تحمل الى السامعين سوى تأكيدات افلاس المنطق الصهيوني .

وكان التمثيل العربي محدودا جدا ، وحضر من العرب فقط :

أنطون مقدسي و د. حسام الخطيب (سورية) ويوسف عساف (لبنان) و د. ماجد جعفر (تونس) . ومن المؤكد أنه لولا حضور الوفد العربي السوري واسهامه القويّ والمتابع في كل الموضوعات لما سمع صوت المآسي الناجمة عن العدوان الاسرائيلي في لبنان ولما اكترث أحد بخطر هذا العدوان وبما يحمله من امكانات تفجر على المستوى العالمي .

ولاحظت بعض الاديبات في المؤتمر أن مشاركة المرأة كانت محدودة سواء بالحضور أم بالنقاش .

وبوجه عام حضر المؤتمر بعض الكتاب البارزين ولاسيما من الالمان وفي مقدمتهم الكساندر بلوخ وهيرمان كانت وهنريش بول وبيرنت أنغلمان .

ودارت مناقشات وافية في المؤتمر حول طبيعة السلام وضرورة النضال في سبيله ، وحول موقف الادب من السلام في أوروبة وفي بلدان أخرى من العالم وقدم كل مندوب تقريرا عن الموقف في بلد ، كما تبلورت فكرة انشاء حركة المانية — أوربية — دولية تعنى بقضية الادب والسلام .

وقد قدم الاستاذ انطون مقدسي من وفد اتحاد الكتاب العرب مداخلات شاملة ناقشت موضوع الادب التحليلي والسلام ، وقضية الادب والسلام ، من خلال وسائل الاعلام الحديثة بما في ذلك الفهم المغلوط في أوروبة لحضارة العرب وواقعهم ودورهم الانساني ، كما تحدث في موضوع الترجمة الادبية ودورها في خدمة السلام وواقع الترجمة في البلاد العربية وازدهارها والصعوبات التي تعترضها . وعمل حسام الخطيب على بلورة مفهوم السلام من خلال معاناة الشعب العربي للحصول على حقوقه ودفع العدوان واقامة سلام مشروع قائم على العدل والحرية ، كما أعطى فكرة على السلام في الأدب العربي قديمه وحديثه .

وفيما يلي نص مداخلة الخطيب .

الادب والسلام « وجهة نظر عربية »

عليّ ان اسجل ثلاثة اعترافات غير خطيرة بين يدي هذه المداخلة البسيطة لكي تفهم افكاري في اطار هذه الاعترافات .

الاعتراف الاول (١) : كنت هيأت لهذا المؤتمر دراسة مزوقة عن الأدب والسلام ، وانجزتها قبل أيام من بدء الغزو الاسرائيلي للبنان ، ولكن حين بلغ الغزو مداه في منتصف هذا الشهر (حزيران) رايت ان الأحداث سبقت دراستي تلك ، فضربت عنها صفحاً .

---

(١) نص المداخلة التي القاها الدكتور حسام الخطيب باسم وفد اتحاد الكتاب العرب في سورية خلال انعقاد المؤتمر الدولي للادب والسلام في كولن في المانيا الاتحادية من ١٨ — ٢٥ / ٦/ ١٩٨٢ وقد كتب النص اصلا بالانكليزية .

الاعتراف الثاني : اتيت الى هذا المؤتمر والحماس يملأ قلبي وكنت متوقعا أن أسمع فيه ادانة للغازي المحتل وشجباً للحرب الطاحنة في لبنان ، وصبرت طويلا قبل أن اطلب الكلمة ، وهاأنذا أتكلم مندهشاً — وأكاد أقول خائبا — فحتى الان لم أسمع أية اشارة واضحة الى معاناة الشعبين اللبناني والفلسطيني من الغزو الصهيوني ، وحتى لاأعكر عليكم صفو الافكار اللطيفة عن السلام التي يتداولها المؤتمرون الكرام ، فقد قررت الاستفادة من المصطلحات الذرية الكريهة ، والاستهداء بمصطلح (القنبلة النظيفة) أي التي ليس لها اشعاع ذري ، وطرح أفكاري بمنتهى الاناقة ودون أن أعكرصفو المؤتمر .

الاعتراف الثالث :

أعدكم — وأنا القادم من منطقة الحرب — أن اكون موضوعيا وهادئاً وحيادياً ، ولكنني اعترف أنني أتلبس هذه القيم (الغربية) تلبساً في وضعي الحالي ، وأتمنى الا تصل كلمتي الى بني وطني الذين يقذفون بالصواريخ المدمرة (التقليدية التي لاتدخل ضمن نطاق هذا المؤتمر) من البر والبحر والجو ، وتسقط منهم الضحايا تلو الضحايا ذلك لانهم اذا سمعوا كلمتي هذه سوف ينكرونني ويقولون : انني مستشرق ، في أحسن الاحوال !!

والآن ما هو موقف كاتب من العالم الثالث في مثل هذا المؤتمر ؟ ماذا تعني لديه حركة السلام بتوجهها فقط ضد الاسلحة الذرية واحتمالات الحرب العالمية الثالثة ؟

ان الكاتب من البلدان غير المتقدمة يتعاطف مع مثل هذا المؤتمر ويشعر بأهميته الانسانية . ويبذل في سبيل نجاح رسالته ، ولكنه لايمكن أن يعطيه نفس الدرجة من الاهمية الاولى التي يعطيها له الكاتب الاوروبي . بالنسبة للاوروبي الخطر الذري ناجز وملموس وله أولويته ، ولكن بالنسبة لاي مواطن أو كاتب في آسية أو افريقية أو أميركا اللاتينية لاتكاد توجد فرصة للتفكير بالخطر الذري ، اذ هناك أولويات تستوعب اهتمام الكاتب وتفرض نفسها

عليه ، ومادام الخطر الذري يشبه بيوم القيامة للانسانية فان الكاتب الغائص في مآسي الجهل والمرض والفقر والبطش والاضطهاد والاحتلال والتمييز العنصري يصعب أن يجد في يوم القيامة ما يثير شجونه . وهكذا فان لنا أولوياتنا في العالم الثالث ونتمنى لو أن الاوروبيين تخلوا عن تركيزهم عن مشكلاتهم واعترفوا بوجود مشكلاتنا ولاسيما لاننا نعتقد أن كثيرا من هذه المشكلات اماناجم عن مخلفات السيطرة الاستعمارية القديمة واما ناجم عن مخططات استعمارية راهنـــة .

ولكن العالم الثالث ـــ كما يحب الاوروبيون تسميته ـــ ليس عالما بل عوالم . وكل عالم فيه له خصوصيته وأولوياته . وبالنسبة لنا في المنطقة العربية، نحن نعاني من مشكلات اضافية وملحة وحيوية . ويمكن تسميتها حسب مصطلحات مؤتمركم هذا **بالحرب المحلية** . ومنذ قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ حتى الان عانينا من سلسلة حروب واعتداءات ولم تكن لدينا بين كل حرب وأخرى فرصة للتفكير في الحرب الذرية ، والان تصوروا لو أن واحدا منكم ذهب الى بيروت المحاصرة المملوءة بجثثضحايا القصـــف وأخذ يقرأ مواعظ الســلام خوفا من الحرب الذرية القادمة . طبعا سيكون منطق الناس : ماذا يمكن أن تفعله بنا الحرب الذرية ومالفرق بين الموت بقنبلة (تقليدية) أو قنبلة ذرية(١) ؟

وبعد كل هذا ما الذي يعنيـــه (السلام) بالنســبة للمناضلين ضد الغزو والاحتلال ؟ ان الغاصب المحتل يريد السلام ، يريد السلام (الروماني) أو (الاسرائيلي) بمعنى السيطرة الكاملة ، ويصبح السلام بالنسبة للمقاتلين في سبيل الحرية هو الاستسلام ، وان طريقة المرافعات الحالية التي تتجاهل وجود خصوصية للحروب المحلية في العالم الثالث لايمكن أنتنقل للناس فـي بلادنا سوى هذا المفهوم ، مفهوم الاستسلام البديل عن السلام . واذا أراد هذا المؤتمر انينـال شـيئا من المصداقية في العالم الثالـث وربمـا في أوربـة

---

(١) استعمل كلمة (اسلحة تقليدية) مقابل الكلمة الانكليزيـة الدارجة في المؤتمرات الدولية (Conventional) ، وكلمة ذرية مقابل Atomic وكلمة نووية مقابل Nuclear

نفسها فعليه ان يدخل معالجة الحروب المحلية ضمن برنامجه من جهة وأن يربط من جهة أخرى مفهوم السلام بثلاثة مفهومات ملازمة له هي :

أولا : الحرية .

ثانيا : حق تقرير المصير .

ثالثا : العدالة الاجتماعية .

بحيث يصبح النضال من اجل السلام مرتبطا بهذه المفهومات الثلاثة . هذا اذا أردنا أن تكون حركة السلام اكثر واقعية واقل رومنتية .

وعلى اي حال ، اذا لم يكن كل هذا الكلام عن أخطار الحرب (التقليدية) مقنعاً فانه من المستحسن تذكيركم أن الدولة الغازية في لبنان الان تعد من دول (النادي النووي) ، وهي تمتلك مخزونا كبيرا من الاسلحة النووية والقنابل الذرية ، وتتمتع بسجل سيء حتى في (النادي النووي) نفسه للاسباب التاليـة :

أ ــ لانها حصلت على اليورانيوم من خلال سرقات مسرحية من مخازن الولايات المتحدة الاميركية وبعض الدول الاوربية (التي يحسن عدم تسميتها !)

ب ــ لانها توصلت الى انتاج القنبلة الذرية بالتعاون مع الدولة الوحيدة في الدنيا التي تنافسها في درجة سوء السلوك الدولي وهي اتحاد جنوب افريقية.

جـ ــ لانها ترفض التوقيع على معاهدة منع انتشار الاسلحة النووية وترفض أي تفتيش دولي على مولداتها النووية ، بل ترفض اية رقابة (أخوية) من حاميتها الولايات المتحدة الاميركية .

واذن حتى الخطر النووي موجود بالنسبة لنا نحن العرب ولسورية التي تواجه اسرائيل بوجه خاص ، ولكننا رغم ذلك مشغولون الان بالاسلحة التقليدية . وتقول احصاءاتنا انه خلال الاسبوع الاول فقط من العدوان (التقليدي) على لبنان (٦ ــ ١٣ حزيران) سقط ثلاثون الفا بين قتيل وجريح،

ومات عدد كبير من الجرحى لعدم سماح سلطات الاحتلال باسعافهم ، كما نشأت مشكلة لاجئين جديدة (حوالي ٦٠٠ الف انسان بلا مأوى) . وتذكر جريدة (التايمز) اللندنية في عدد ١٩٨٢/٦/١٨ كيف أن السلطات الاسرائيلية تمنع قوافل الصليب الاحمر ووكالة الاغاثة الدولية من الوصول الى المناطق المنكوبة وتنقل عن مراسلها في القدس تقريرا مطولا بهذا الشأن .

والآن ، ماذا عن الادب والسلام ؟

لقد تحدثت طويلا عن المفهـوم العربي للسـلام ، فماذا عن الادب العربي والسلام ؟

في مثل ظروف الادب العربي المعاصرة يصعب توقع وجود حركة أدبية للسلام على نحو مايفكر الادباء الاوروبيون . ان الادب العربي ، كالمجتمع العربي ، مشغول بقضايا الحرية والتقدم ومقاومة الاحتلال ، وبقضايا العدالة الاجتماعية بوجه خاص . وفي حالات تعرض الاقطار العربية للغزو تصبح الاولوية الاولى أمام الاديب هي حث الناس على الصمود في وجه المحتـل والتضحية في سبيل الوطن ، وهي القيم التي تفرض نفسها على كل مجتمع في مثل هذه الظروف التاريخية . وعلى الرغم من قوة هذه الظروف نجد ظاهرة غريبة مسيطرة على الادب العربي وهي ظاهرة التمسك بالاتصال بالعالم والثقة بمستقبل الانسانية والايمان بأن الضمير الدولي لابد أن يستيقظ في ساعة ما ويفهم طبيعة العدوان الذي يتعرض له الشعب العربي ، ان هذه الثقة تكاد تكون مطردة لدى الجميع ، بما في ذلك لدى شعراء المقاومة الفلسطينية الذين رفضوا أن يضعوا أنفسهم في جانب والعالم كله في جانب آخر ، رفضوا أن يكون العالم بأكمله هو (الآخر) وهو (الكافر Gentile) وأصروا على أن يأتي كفاحهم ونصرهم من خلال انسانيتهم وبذلك اختلفوا اختلافا كاملا عن مضطهديهم وظل أدبهم قريبا من المفهومات الاساسية للسلام ، وظل نبضـه معافى وغير مريض .

يضاف الى ذلك كله انه في الادب العربي في سورية بالذات ، وهي تقف منذ أكثر من ثلث قرن في بوابة المواجهة ، هناك اتجاه شعري واضح نحـو

السلام مختلط بالاتجاهات الوطنية والقومية ، وأحيانا يتخذ هذا الشعر طابعا ايديولوجيا في دعوته للسلام ، على أساس أن الدعوة للسلام جزء لايجتزأ من الدعوة الاشتراكية بوجه عام .

واذا تساءلنا عن سر احتفاظ الادب العربي بهذه الروح الايجابية باتجاه السلم على الرغم من أن مؤشرات التجربة النضالية العربية المعاصرة تكاد تدفعه الى الطرف الآخر فربما وجدنا تفسيرها السريع في العوامل التالية ، وان كان الامر يحتاج الى بحث مستفيض :

آ التقليد الادبي العربي القديم الذي كان يقوم فيه الشاعر – بوجه خاص ، بدور المحرض على القتال والبطولة وفي الوقت نفسه يدور الداعية الى الوئام والسلام . ولدينا في العصر الجاهلي العربي مثال الشاعر زهير ابن ابي سلمى الذي نجح في الوساطة بين القبائل المتحاربة وكانت معلقته المشهورة كلها مرافعة ضد الحرب وتزيينا للسلام ومدحا لاولئك الزعماء الذين عملوا على احلال السلام بين القبائل ، وليس هذا المجال مجال الاستشهاد بالاشعار ولكن يكفي أن نذكر بالبيت الاول لمقطعه المشهور في ذم الحرب :

وما الحرب الا ماعلمتم وذقتم ... وما هـو عنها بالحديث المرجم

أما في العصر الاسلامي الزاهي فلدينا مثال غريب من شاعر فروسي نذر نفسه للقتال والمجد والشرف ، ومع ذلك أتته حالات معنية استصغر فيها شأن القتال مقابل نضارة السلام ، انه المتنبي أعظم شعراء العرب قاطبة . والاشارة هنا الى قصيدة له بعنوان « شعب بوان » ، تأمل فيها خضرة الربيع وكثافة أوراق الشجر فاهتز ضميره (السلمي) وتصور حصانه ورفيق عمره يعاتبه لتركه جمال الطبيعة وركضه الدائم باتجاه ساحات القتال :

يقـول بشعب بـوان حصـاني

أعـن هذا يسار الى الطعـان ؟

أبــوكــم آدم ســن المعــاصي
وعلمكــم مفــارقــة الجنـــان

وفي الأدب العربي شواهد أخرى كثيرة يصعب الوقوف عندها في المجال الحالي ، واذا كان لها من مغزى فانها تدل على أن الروح العربية الفروسية كانت تعرف أن السلام هو الهدف النهائي للعمل البطولي .

ب ــ الموقع الجغرافي العربي الذي أهل العرب في الماضي والحاضر لان يكونوا وسطاء التجارة والثقافة والعلم والفلسفة بين الشرق والغـرب وجعل الحضور العالمي قوياً دائماً في وجدانهم ، كما جعل مناخ السلم هـو المناخ الامثل لعملية الوساطة التي قاموا بها خلال عصور التاريخ ، وتحدثنا المصادر التاريخية عن الحروب بين العرب والاوروبيين في شمال اسبانيا في العصور الوسطى وتشير بوجه خاص الى أن التبادلات التجارية والثقافيـة لم تتوقف خلال هذه الحروب حتى على المستوى اليومي ، اذ أن هدوء القتال ولو لساعات في جبهة ما كان يفسح المجال فورا لاستئناف عمليات التبـادل .

ج ــ واخيرا لعل العرب المعاصرين مدفوعون ايضا بمفهوم النقيض ، فما دام عدوهم الذي يهاجمهم بالطائرات والدبابات والبوارج يضع مراهنتـه الاساسية على القوة الطاغية ، ومادام يلجأ الى استخدام ورقة تفوقه العسكري كلما لاح في الأفق وضع يمكن ان يمكن الرعب من الحصول على حقوقهم المغتصبة فان ميلهم الطبيعي لابد ان يكون باتجاه تغليب القوى المضادة للحرب عـلى قوى التدمير والفتك . ولاعلاقة لهذا الامـر بالبطولة او الاستعداد ، فهـو (موقف نفسي) وقفته جميع الشعوب المعتدى عليها في الاغلب .

* * *

وختاما ان الميل الطبيعي لدى الكتاب والادباء والشعراء العرب هو تأييد السلام والسعي له ، والكتاب العرب مستعدون للدفاع عن السلام بقـدر ما يدافعون عن الحق والحرية والعدالة الاجتماعية ولايعتقدون بوجود فرق بين

هاتين الناحيتين من الكفاح الانساني ، ولذلك يودون لو تتجه حركة الادب من أجل السلام ، بالاضافة الى هدفها السامي النبيل بمقاومة الحرب الذرية الى معالجة مسائل العدالة والحرية وحق تقرير المصير من جهة والى مواجهة المشكلات الراهنة للحروب المحلية(١) .

ويتطلع الادباء العرب الى اليوم الذي يتحقق فيه الامل الذي عبر عنه بحرارة هـ. ج. ولز H. G. WELLS منذ عدة عقود .

« سيأتي يوم يكون فيه أي سياسي عمل عمدا على شن الحرب واذكاء الشقاق الدولي متأكدا من انه سيقف على منصة المشنقة ومتأكاد أكثر أن حبلها سيلتف على عنقه ، ربما قبل اي مجرم قاتل . وليس من المعقول الا تتعرض للعقاب حياة أولئك الذين يقامرون بحياة الاخرين » .

* * *

(١) حسب احصاء اوردته جريدة (انترناشنال هيرالد تريبيون عدد ١٩٨٢/٥/٣١ حدثت في القرن العشرين ٥٩ حربا بين الامم ، ذهب ضحيتها ٢٩ مليون قتيل في ساحة الحرب ، و ٦٤ حرب أهلية ذهب ضحيتها ٥ر٩ مليون نسمة في ساحة القتال ، يضاف الى ذلك عشرات الملايين ممن سقطوا خارج ساحات الحرب .

ندوة مشكلات أدب المسرح الآسيوي الأفريقي المعاصر

دمشق ١٥ - ١٨ / أيار (مايو) ١٩٨٢ أديب عزت

أقام اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري ، وبالتعاون مع اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا ، خلال الفترة من ١٥ ولغاية ١٨ ايار ١٩٨٢ ، بمبنى اتحاد الكتاب العرب ، وتحت رعاية الرفيق د. عبد الرؤوف الكسم رئيس مجلس الوزراء : « ندوة مشكلات ادب المسرح الآسيوي الأفريقي المعاصر » تحت شعار : من أجل مسرح ملتزم بقضايا الحرية والشعب ، بالانسان والسلام العادل » .

وقد أناب السيد رئيس مجلس الوزراء د. اسعد عربي درقاوي وزير التعليم العالي في حفل افتتاح الندوة ..

وقد حيا السيد ممثل رئيس مجلس الوزراء ، راعي الندوة وتمنى للضيوف الكرام باسم رئيس الوزراء وباسمه الشخصي اقامة طيبة على ضفاف بردى ، وفي هذا البلد :

« الذي تقدرون خيرا من غيركم طبيعة المعركة التي يخوضها وطبيعة العدو الذي يجابهه ، فمعركته التي يقودها بحكمة وإخلاص وكفاية نادرة الرئيس حافظ الأسد هي كما تعرفون صمود وتحرير ومجابهة وصيانة لحرية العرب

وكرامتهم ووجودهم ، ودفاع من خلالهم عن الانسان وحقوقه وقيمه ، والعدو الذي يتصدى له قطرنا هو كما تعرفون الصهيونية والعنصرية التي تحتل رقعة من أرض العرب وتقتل بعض من عليها من أبنائهم وتشرد بعضهم الآخر وتعبث بحرية معابدهم وتطمس معالم حضارتهم وتعمل على فرض هويتها على أشقائنا في فلسطين واهلنا في الجولان ..»

واوضح السيد الوزير بعد ذلك أهمية الندوة بقوله :

« أن اهمية ندوتكم تنبع في نظرنا أولا من اهمية المسرح نفسه بوصفه عالما له طبيعته وقوانينه وطباعه واسراره وطريقته في الدوران بين الفن والحياة . انه يستخدم نظاما تعبيريا يمكن ان يضم جميع ما في الفنون الاخرى من سحر وفتنة .فهو فن شامل ، ومجال خصب للخلق ومقياس لعبقرية الانسان . وتنبع ثانيا من اتجاهنا الى اعتبار الانسان محورا للمسرح ، الانسان المشخص في قلب الظروف التي تكتنفه والصراعات التي يعانيها . ليس المسرح في نظرنا لعبا ،بل دراما ، ونقصد بذلك الفصل المعد للحكم على التاريخ ولتغيير المجتمع والعالم .» .

ثم القى الاستاذ علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب ، نائب الامين العام لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، رئيس الندوة كلمة تحدث فيها عن هذا اللقاء الثقافي الذي تحتضنه سورية ، والذي يأتي ثمرة تعاون جاد بين اتحاد الكتاب العرب واتحاد كتاب آسيا وافريقيا وشرح اهمية هذا اللقاء والآمال المعقودة عليه وتطرق الى ذكر انواع العقبات والمشكلات التي يتعرض لها المسرح في عصرنا والتي تعيق تقدمه ، ومما جاء في كلمته :

« ايها السيدات والسادة :

« باسم اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري ، ارحب بكم جميعا احر واجمل ترحيب ، واشكر لكم تفضلكم بالمشاركة لانجاح هذه الندوة « ندوة مشكلات ادب المسرح الافرو آسيوي المعاصر » المنعقدة على أرض سورية التي تمثل بقيادة المناضل حافظ الاسد رئيس الجمهورية الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي ، قلعة التصدي والتحدي لمخططات ومؤامرات الامبريالية والصهيونية والرجعية في هذه المنطقة ، والتي تعمل وتناضل في ساحة الاحداث الساخنة من اجل الحرية والتقدم والسلام العادل ، من اجل تحقيق آمال الامة العربية في الوحدة والحرية والاشتراكية ، وعودة الشعب العربي الفلسطيني الى أرضه واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني المحرر » .

وقد شاركت في هذه الندوة وفود من : سورية ، فلسطين ، لبنان ، الجماهيرية الليبية ، الجزائر ، تونس ، الاردن ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بالاضافة الى وفود من : الاتحاد السوفييتي ، الهند ، السنغال ، الباكستان ، فيتنام ، اليابان ، تركيا .

وفي ما يلي قائمة بأسماء ممثلي الدول المشاركة :

الاتحاد السوفييتي :

اناتولي سوفرانوف

ايفلين سوفرونوفا

كالتاي محمد جانوف

كامرون حكيموف

الهنـــد :

سوبابس موكارجي

السنغال :

ممادو تراوري ديوب

الباكستان :

فايز أحمد فايز

فيتنـام :

نغوين ديان ثي

اليابان :

نوبوكي ناكاموتو

تركيـا :

عزيز نسن

فلسطين :

معين بسيسو

د. عمر صبري كتمتو

الجزائر :

عبد القادر علولة

تونس :

مصطفى الفارسي

لبنـان :

د. حسين مروة

أحمد سويد

سمير سعد

يعقوب الشدراوي

الجماهيرية الليبية :

أحمد عزيز

الاردن :

د. حسين جمعة

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

عز الدين المدني

سورية :

علي عقلة عرسان . سليمان العيسى .
عدنان بغجاتي . وليد اخلاصي . عبد الله أبو هيف . د. ناديا خوست ، الياس زحلاوي . وليد مدفعي . صميم الشريف . جان الكسان . خالد البرادعي . د. نذير العظمة . عدنان مردم . عدنان بن ذريل . ممدوح عدوان . علي كنعان عبد الرحمن الشلبي . مهاة فرح الخوري . نديم محمد . هند هارون . سعد صائب . عبد المعين الملوحي . علي خلقي . ملاحة الخاني . خيري الذهبي . عبد النبي حجازي . عبد الرحيم الحصيني . فاضل السباعي . محمود منقذ الهاشمي . عرفان عبدالنافع . خيري عبد ربه . عفيفة الحصني . محمد أبو معتوق .

قسمت الندوة الى اربعة ايام : الاول للمسرح العربي ، الثاني للمسرح الآسيوي ، الثالث للمسرح السوفييتي ، والرابع والاخير للمسرح الافريقي .

وقد تحدث في الندوة الكاتب الجزائري عبد القادر بن علولة عن الحركة المسرحية في الجزائر، بداياتها، تطورها، آفاقها ومستقبلها ..

وحاضر الاستاذ جان الكسان حول مشكلات وصعوبات المسرح السوري وقدم تصورا عن نهاية متاعب المسرح السوري التي يمكن أن تأتي عندما تقوم الدولة بالغاء الفرق الخاصة وتتمكن من طرح البديل الذي هو « المسرح الطليعي المتقدم الذي يستطيع أن يستقطب أوسع الجماهير » .

وتحدث الكاتب المسرحي والقاص التونسي الاستاذ مصطفى الفارسي عن الحركة المسرحية في تونس .. كما ألقى الكاتب والشاعر السوري د. نذير العظمة مداخلة بعنوان : « النشاط المسرحي في الكويت » تطرق فيها الى مرحلة الارتجال والتجريب في المسرح الكويتي، والتي انتهت : « عام ١٩٦٠ بتأسيس المسرح الوطني الكويتي » وخصص د. نذير العظمة قسما كبيرا من مداخلته للحديث عن المخرج الكويتي الراحل صقر الرشود .

والقى الاستاذ عبد الله أبو هيف محاضرة بعنوان : « التقاليد والتجديد في المسرح العربي المعاصر » تحدث فيها عن ثلاثة تيارات سائدة في المشهد العربي المعاصر وقال ان التيار الاول برز في الستينات وأول السبعينات وهو يدعو الى اشكال مسرحية عربية كانت في الظاهرة المسرحية، والتيار الثاني يدعو الى ترسيخ استخدام الشكل المسرحي السائد في الغرب، أما الثالث فيدعو الى التوجه الى عناصر المسرح باعتباره « فرجة » وقد راى الاستاذ المحاضر : « انه في كل قطر عربي ثمة حركة مسرحية تعاني من الانفصال والخذلان » .

وتحدث الشاعر الاستاذ معين بسيسو في كلمته المرتجلة عن اهلنا في فلسطين الذين يجلسون على الارصفة، والذين يعرفون ماذا يجري تحت قبة

الكنيست ، ولهذا فقد حولوا التقاليد القديمة الى المسرح ، فالعرس الفلسطيني تحول الى شكل من اشكال ، العروس فيه هي البطلة والعريس فيه هو البطل والجنائز تحولت الى اشكال من المسرح تقدم في البيوت والساحات ، وذكر ان المسرح الفلسطيني يعاني من المشكلات ذاتها التي تعاني منها ثورتنا الفلسطينية مشكلة مقص الرقيب ومشكلة عدم وجود الخشبة ، وتحدث عن مسرحية تدور في الوطن المحتل : « في الارض المحتلة تدور مسرحية بطلها طفل فلسطيني يقاوم الدبابة بالحجارة وما اكثر المتفرجين » .

وتحدث الاستاذ أحمد عزيز من الجماهيرية الليبية عن واقع المسرح الليبي في الوقت الحاضر ، واهتمام ثورة الفاتح من سبتمبر « أيلول » بهذا المسرح ..

وتطرق الاستاذ يعقوب شدراوي في سياق محاضرته الى مسرح مارون النقاش ، وجورج ابيض ودوره في الحركة المسرحية المصرية ، والى فرقة المسرح الحديث التي تأسست في لبنان عام ١٩٦٢ بادارة منير ابو دبس ، وحلقة المسرح اللبناني ١٩٦١ التي يرئسها انطوان ملتقى وجلال خوري ، ومحترف بيروت : روجيه عساف ونضال الاشقر ، وتوقف طويلا عند مسرح شوشو ١٩٦٢ ونوه بعروض ريمون جبارة ، ووقف عند مسرحيات عصام محفوظ ، وأشار الى شكيب خوري وزياد الرحباني .

وتحت عنوان : « اهجر المسرح لنزوجك » القى الاستاذ وليد مدفعي محاضرة تحدث فيها عن معاناة الممثلين والعاملين في المسرح بسبب رفض الهيئة الاجتماعية لهم ..

والقى الاستاذ خالد البرادعي محاضرة بعنوان : « اخصائيو التراث في المسرح العربي المعاصر » ودارت محاضرة الاستاذ وليد اخلاصي حول « حركة

التأليف المسرحي في سورية ــ الواقع والتطلعات » .

وتحدث الاستاذ علي مزاحم عباس عن : « الواقع المسرحي العراقي في وضعه الراهن ــ الواقع و .. المطامح .

وقدم الكاتب التركي عزيز نسن بحثا حول واقع المسرح التركي اليوم ، ثم تطرق الى مشكلة المكان بالنسبة للمسرح بشكل عام ، وتقدم من خلال بحثه بثلاثة مقترحات الى اتحاد كتاب آسيا وافريقيا هي : ان يقوم الاتحاد باصدار سلسلة مسرحية تنشر أعمال المسرحيين في القارتين و .. توفير فرص اللقاء بين المسرحيين ، والسعي لتنظيم مهرجان دوري تقدم فيه عروض مسرحية من دول آسيا وافريقيا .

وتعرض الكاتب الفيتنامي نغوين دي تاي في بحثه عن المسرح في فيتنام الى الاتجاهات الاساسية في المسرح الفيتنامي والدور الذي لعبه في تعبئة الجماهير ضد الاحتلال الفرنسي والوجود الأمريكي ، ثم عرض مؤثرات المسرح السوفييتي على المسرح الفيتنامي المعاصر .

وقدم الكاتب السوفييتي كالتاي محمد جانوف من جمهورية كازاخستان بحثا عن المسرح في الجمهوريات الآسيوية في الاتحاد السوفييتي ، تحدث فيه عن أصول المسرح في هذه الجمهوريات وتطوره بعد الثورة واتجاهاته الاساسية وذكر أهم المسرحيين في هذه الجمهوريات والمواضيع التي يعالجونها ، وأكد في بحثه على نقطتين هما : ضرورة التوجه المسرحي الى قضايا الشعب والتعبير عنها ، والانفتاح على آفاق الثقافة العالمية انطلاقا من البيئة .

وقدم الكاتب السوفييتي المعروف اناتولي سوفرانوف مداخلة عن المسرح السوفييتي وتطوره بعد ثورة اكتوبر مشيرا الى خصوصية المعالجة المسرحية

في كل جمهورية من جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، ومؤكدا على استفادة هذا المسرح من التراث المسرحي العالمي ، وقدم اقتراحات عدة أهمها : تأسيس مسرح صداقة الشعوب بين بلدان آسيا وافريقيا ، ونشر مسرحيات الادباء في القارتين وخاصة في مجلة « لوتس » التي يصدرها اتحاد كتاب آسيا وافريقيا وشكر في ختام كلمته اتحاد الكتاب العرب على استضافة الندوة مؤكدا على اهميتها وعلى انها فاتحة للتظاهرات الثقافية بين ادباء القارتين .

أما الكاتب السنغالي ممادو تراوري ديوب فتحدث عن المسرح الافريقي مستعرضا امكاناته وواقعه والصعوبات التي تعترضه وفي مقدمتها ايجاد المتفرج وحرية التعبير ووسيلة الايصال ، حيث ان معظم الكتاب والمسرحيين الافارقة يكتبون باللغة الفرنسية ، وليس باللغات الام مما يخلق صعوبة في ايجاد الجمهور وفي التعبير عن واقع الشعوب الافريقية ومشاكلها و .. تطلعاتها .

وفي صبيحة ١٨ — ٥ — ١٩٨٢ عقدت الندوة جلسة ختامية تلا فيها الشاعر معين بسيسو ورقة اعدتها لجنة منبثقة عن الندوة ، ومن ثم قال منوها بأهمية المسرح والدور الذي يلعبه : « ان خشبة المسرح هي جسر الصداقة الكبير الذي يربط بين قارتي آسيا وافريقيا » .

واقترحت د. ناديا خوست توجيه تحية الى المسرحيين الديمقراطيين المصريين الذين يقاومون الغزو الصهيوني في اول « بلد عربي يدخل معسكر كامب ديفيد » .

واكد الاستاذ علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب ، نائب الامين العام لاتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، رئيس الندوة ، أن الملاحظات البناءة سوف تضمن في الصيغة النهائية للورقة ، واقترح التأكيد على الثقافة القومية

وتأصيلها . وأعلن أن وقائع الندوة وابحاثها ستصدر في كتاب مطبوع باللغات العربية والانكليزية والفرنسية والروسية .

ثم تحدث الكاتب الباكستاني المعروف فايز احمد فايز فقال :

لقد توصلنا الى قناعة مشتركة ان هذه الندوة كانت حدثا عظيما بالنسبة لنا جميعا ، لاننا من خلالها تعرضنا على حالة المسرح في بلدان آسيا وافريقيا .
وقد صدر عن الندوة البيان الختامي التالي :

البيان الختامي
لندوة مشكلات ادب المسرح الأفرو ــ آسيوي المعاصر
دمشق ١٥ ــ ١٨ ايار /مايو/ ١٩٨٢

بين الخامس عشر والثامن عشر من مايو ــ ايار ١٩٨٢ ، انعقدت في دمشق المدينة التاريخية العريقة ، عاصمة الجمهورية العربية السورية الصديقة المناضلة ، وللمرة الاولى في تاريخ اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، « ندوة مشكلات ادب المسرح الآسيوي الافريقي » وقد جرى خلالها عرض لتاريخ الادب المسرحي وقضاياه وتطلعاته ووسائل تطويره ، والدفاع عن الثقافة الوطنية في وجه الغزو الامبريالي العالمي والصهيوني العنصري وكافة قوى الثورة المضادة ، وفي طليعتها الثقافة المضادة التي يقودها معسكر كامب ديفيد ، وبقية مراكز الثقافة العدوانية التصفوية الموجهة ضد آمال وتطلعات شعوب آسيا وافريقيا . والتي حالت دون مشاركة العديد من الكتاب في هذه الندوة ، وعلى رأسهم كتاب مصر العربية الذين يناضلون ضد كامب ديفيد .

لقد كانت القضية المركزية التي تبلورت حولها الابحاث والمناقشات هي

دور المسرح في توعية الجماهير وتربيتها واثراء وجدانها ، وفي نشر روح الصداقة والتضامن بينها ،وتوسيع مجرى التبادل الثقافي بين مختلف كتاب وشعوب القارتين العظيمتين ، منطلقين من قاعدة ان خشبة المسرح هي جسر الصداقة الكبير الذي يربط بين شعوب القارتين . وما هذا اللقاء الا بداية طيبة ومشجعة على طريق عملية تواصل اشمل واعمق ، وينبغي أن تستمر وتتصاعد بين مثقفي ومسرحيي وفناني آسيا وافريقيا ، من أجل مسرح يعلي شأن الادب والفن وقيمهما السامية العريقة ، ويلتزم بقضايا الجماهير ، ويؤصل هوية مميزة وثقافة قومية ووطنية أصيلة .

ولقد قدرت وفود الكتاب المسرحيين الافرو — آسيويين عاليا انعقاد هذه الندوة في العاصمة البطلة دمشق ، وفي هذه المرحلة التي تتصاعد فيها هستيريا العدوان الامبريالي الاميركي وخادمته الصهيونية ، وكافة مواقع قوى الثورة المضادة على الجمهورية العربية السورية وعلى الشعبين المناضلين اللبناني والفلسطيني في الساحة اللبنانية .

ان اتحاد كتاب آسيا وافريقيا ، من صميم القلب يوجه التحية الخالصة الى الرئيس المناضل حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية ، والى الشعب العربي واتحاد الكتاب العرب في سورية المكافحة الصامدة ، لرعايتهم وضيافتهم الكريمة التي أحاطوا بها الوفود المشاركة ، وللامكانات الكبيرة التي قدموها لانجاح هذه الندوة التاريخية .

ان اتحاد كتاب آسيا وافريقيا، لابد له ان يؤكد في هذه المرحلة التي تنعقد فيها ندوة المسرح الآسيوي الأفريقي على ان خطر الحرب النووية أصبح اكثر اشتعالا بوساطة السياسة العدوانية الاجرامية الامبريالية التي يشنها رئيس

الولايات المتحدة الأمريكية ريغان جنبا الى جنب مع دوائر العدوان الامبريالية العالمية .

ونحن كتاب آسيا وأفريقيا ، نرى انه لا بد ان نلعب دورنا المنشـــود في الدفاع عن السلام العادل لكل الشعوب ، وعن حريـــة البشر جمعاء ضد قوى الحرب والعدوان.

وفي هذا الاتجاه ، يقدر كتاب آسيا وافريقيا المجتمعون في دمشـــق عاليا النضال السلمي العادل الكبير الذي يقوده الاتحاد السوفييتي الصديق ، وبقية بلدان المنظومة الاشتراكية وقوى الحرية كافة في العالم ، في جهودها لاخماد بؤر الحرب والعدوان والامبريالية ، والحفاظ على كرتنا الارضية .

ان ندوة دمشق المسرحية كانت الخطـــوة الاولى على طريق المزيـــد من الندوات واللقاءات بين كتاب القارتين ، وقد أوصت اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا والاتحادات الاعضاء القادرة بانشـــاء مسرح الصداقـــة بين الشعوب ، وتدعيم التبادل المسرحي والثقافي بين بلدان آسيا وأفريقيا والاتحـــادات الاعضاء القادرة بانشاء مسرح الصداقة بين الشعوب ، وتدعيم التبـــادل المسرحي والثقافي بين بلدان آسيا وافريقيا وتأسيس سلسلة دورية لنشر النصوص المسرحية، وتشجيع نشر الأدب المسرحي في مجلة اللوتس ، المجلة المركزيـــة لكتاب آسيا وأفريقيا ، وتغطية أعمال هذه الندوة ، كما أوصت بنشر الدراســـات والابحاث والمناقشات كاملة في كتاب وبعدد من اللغات .

عاش الادب من اجل الحرية والسلام العادل والديمقراطية والتقدم .

عاشت الصداقـــة .

وعاش التضامن بين كتاب القارتين العظيمتين .

دمشق في ١٨ /أيار/ مايو ١٩٨٢ — اتحاد كتاب آسيا وافريقيا

محتوى العــدد

TABLE OF CONTENTS

طبع في :

مطبعة الكاتب العربي

دمشق ــ شارع خالد بن الوليد

☎ ١١٩٧٣٨ ــ ٢٢٣٧٥٢

(ص.ب ١٠١٩٢)

AL-ÁDÁB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly)

No. 32, Year 8 — Ugust 1982

Arab Writers Union — Damascus SYRIA

AL-ÁDÁB AL-AJNABIYYA

(Foreign Literature Quarterly) - Arab Writers Union - Damascus - SYRIA

منشورات اتحاد الكتاب العرب

السعر ٤ ليرات سورية

مطبعة الكاتب العربي — دمشق

وفي البلاد العربية ٦ ل.س أو مايعادلها